



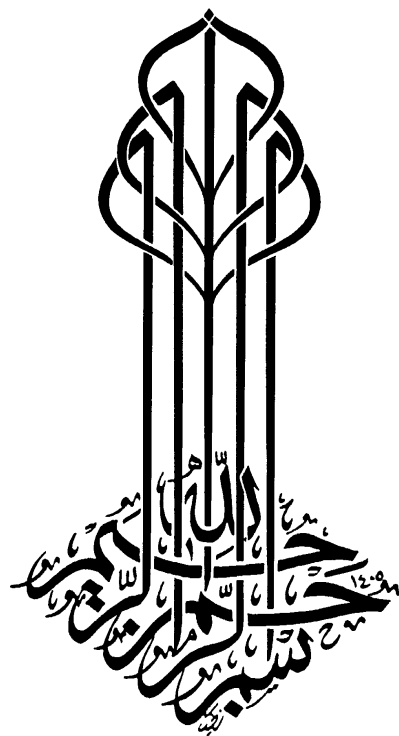
أبحاث المؤتمر الدولي



محمد صلى الله عليه وسلم

برعاية خادم الحرمين الشريفين  
الملك / عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله -

المجلد السابع





# محبة النبي ﷺ

إعداد

د. عمر بن مصلح الحسيني





## المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإنَّ الله تعالى لم يخلق الجنَّ والإنس عبثاً، بل خلقهم لحكمة عظيمة وهي عبادته، قال - جلَّ شأنه -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يترك وَجْكَ عبادَه هملًا بل أرسل إليهم رسله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأرسل الله محمداً ﷺ خاتم رسله، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> أرسله للناس كافة، وأكمل له ولأُمَّته الدين، وأتمَّ عليهم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ

(١) سورة الذَّارِيَات: آية (٥٦).

(٢) سورة النحل: آية (٣٦).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٤٠).

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾.

وإرساله ﷺ نعمة امتن بها على هذه الأمة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup> والواجب على الثقلين الإنس والجن الإيمان به وبرسالته وبما جاء به من عند ربه ولا يسع أحداً ترك ذلك والإعراض عنه، أو الخروج منه بعد الدخول فيه.

وحاجة الناس إلى الإيمان به، والأخذ بما جاء به من الدين أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

وقد أوجب تعالى لنبيه حقوقاً وواجبات يلزم من يدين بهذا الدين أن يحيط بهذه الحقوق معرفة، ويلتزم بها اعتقاداً وقولاً وعملاً، وقد بينها الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أتم بيان وأوضحه.

وجملة هذه الحقوق الواجبة له ﷺ راجعة إلى معنى شهادة أن محمداً رسول الله، ومعنى الإيمان به.

(١) سورة المائدة: آية (٣).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٦٤).



إذ معنى شهادة أن محمداً رسول الله: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. وهذا هو معنى الإيمان به ﷺ؛ إذ الإيمان به يعني: تصديقه، وطاعته واتباع شريعته.

أما تصديقه فيعني: إثبات نبوته، وتصديقه فيما جاء به من عند الله. وأما طاعته واتباع شريعته: فتعني الانقياد له ﷺ بفعل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

فالواجب على الخلق اتباع شريعته والالتزام بسنته مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة الله، وأن معصيته هي معصية الله؛ لأنه هو الواسطة بين الله وبين الثقلين في تبليغ رسالة الله.

هذه جملة الحقوق الواجبة له ﷺ أما تعدادها وتفصيلها فباب عظيم من أبواب العلم أنزله الله في كتابه وبينه النبي ﷺ في سنته، وقام به أصحابه رضوان الله عليهم، واعتنى أهل العلم بإيضاحه، وإن من أجل حقوقه ﷺ وأعظمها: محبته ﷺ بل وجوب تقديم محبته على النفس والأهل والمال والوالد والولد.

(١) سورة الحشر: آية (٧).

وهذا الحق الذي قصدت إلى بيانه وإيضاحه في هذا البحث وفق الخطة

التالية:

خطة البحث:

اشتمل البحث على تمهيد، وستة مباحث، وخاتمة:

- فالتمهيد: في بيان معنى المحبة، والمراد بمحبته ﷺ.
- والمبحث الأول: حكم محبته ﷺ.
- والمبحث الثاني: بواعث محبته ﷺ ودواعيها.
- والمبحث الثالث: دلائل محبته ﷺ.
- والمبحث الرابع: حال الصحابة في محبته ﷺ.
- والمبحث الخامس: حال الناس في محبته ﷺ.
- والمبحث السادس: فضائل محبته ﷺ وثمراتها في الدنيا والآخرة.
- ثم الخاتمة.

منهج البحث:

١ - جمعت نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بموضوع البحث، ورتبتها

بحسب خطة البحث.

٢ - أعزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله بالإحالة إلى اسم السورة،





ورقم الآية.

٣ - أخرج الأحاديث بما يفي بالمقصود: فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه، وإن لم يكن فيها خرجته من مظانه مع الحكم عليه.

٤ - أوثق النقول التي أنقلها عن العلماء في الاستدلال والشرح والغريب بعزوها إلى أصحابها من مصادرها الأصلية.

والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا ولا يجعله علينا وبالا.

\*\*\*

## التمهيد

### في معنى المحبة، والمراد بمحبته ﷺ

#### معنى المحبة ومفهومها:

المحبة في اللغة: من الحب، ويدور معناها اللغوي على خمسة أصول: اللزوم والثبات، والصفاء والبياض، والعلو والظهور، واللب، والحفظ والإمساك<sup>(١)</sup>. وتعني المحبة: تعلق القلب وميله فطرة وإدراكا ومعرفة إلى ما يوافقه ويستحسنه، ويرضاه<sup>(٢)</sup>.

ويتنوع هذا الميل بحسب الباعث عليه: فمحبة سببها الاستلذاذ بالإدراك، كحب المناظر والأطعمة والأشربة فهذه محبة فطرية، أو محبة يبعث عليها إدراك العقل، وهذه محبة معنوية التي تكون لمحبة الخصال الشريفة، والأخلاق الفاضلة، والمواقف الحسنة، وهناك محبة لمن أحسن إليك ولمن قدم لك معروفاً، فتنبعث المحبة حينئذ لتكون ضرباً من ضروب الحمد والشكر، فينبعث الشئاء بعد

(١) انظر: مختصر العين (١/٢٣٧)، ومعجم مقاييس اللغة مادة (حب)، والصحاح والقاموس

المحيط مادة (حب)، ومدارج السالكين (٢/٥٨٨)، وروضة المحبين (٤٥-٤٦).

(٢) انظر: الشفا (٢/٥٧٩)، وشرح مسلم للنووي (٢/٣٧٣)، ومدارج السالكين (٢/٥٩١).



ذلك ترجمة لها وتوضيحاً لمعانيها<sup>(١)</sup>.

ومحبة النبي ﷺ: أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلاً يتجلى فيه إثاره على كل محبوب لأسباب موجبة لمحبه عقلًا وشرعاً<sup>(٢)</sup>.

وهذا للتقريب وإلا فشأن المحبة أعظم من أن تحدّ وتعرف فهي أمر ينبعث في النفس يصعب التعبير عنه، قال ابن القيم: «لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهداها وثمراتها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الشفا (٢/ ٥٧٩ - ٥٨٠).

(٢) نقل القاضي عياض في الشفا (٢/ ٥٧٨ - ٥٧٩)، وابن القيم في المدارج (٣/ ٥٩٠ - ٥٩١)، عبارات العلماء في معنى المحبة، وحدها، وما نقله راجع لدلائل المحبة وعلاماتها لذا قال القاضي عياض في آخر نقله: «وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها».

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٥٨٨).

وقال - أيضا - : «فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهم وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة، ونظير هذا التعبير عن معنى محبته وخشيته وإجلاله ومهابته فإنَّ العبارة تقصر عن وصف ذلك ولا تدرك إلا بالاتصاف بذلك لا بمجرد الصفة والخبر كما أنك إذا وصفت لذة الوقاع لعين لم تخلق له شهوة أصلا فلو قربتها وشبهتها بما عساك أن تشبهها به لم تحصل حقيقة معرفتها في قلبه فإذا وصفتها لمن خلقت فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/٤٠٧).

## المبحث الأول

### حكم محبته ﷺ

إنَّ محبة الرسول ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. قال ابن تيمية: «محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين»<sup>(١)</sup>.

أدلة وجوبها:

• قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد جمع الله في هذه الآية كل محبوبات الدنيا، وكل متعلقات القلوب، وكل مطامع النفوس ووضعتها في كفة، وحب الله، وحب رسوله في كفة.

(١) انظر: التحفة العراقية (٨٠)، ومجموع الفتاوى (١٠ / ٤٨).

(٢) سورة التوبة، آية (٢٤).

قال القرطبي: «في الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف

في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب»<sup>(١)</sup>.

و قال القاضي عياض رحمته الله: «فكفى بهذا حُضًّا وتنبهًا ودلالة وحجة على

إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها عليه السلام؛ إذ قرع تعالى

من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى:

﴿فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية فقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله عز وجل.<sup>(٢)</sup>

وقال ابن تيمية: «لم يرض منهم أن يكون حبه لله ورسوله كحب الأهل

والمال، وأن يكون حب الجهاد في سبيله كحب الأهل والمال، بل حتى يكون

الجهاد في سبيله الذي هو تمام حبه وحب رسوله أحب إليهم من الأهل والمال،

فهذا يقتضي أن يكون حبه لله ورسوله مقدمًا على كل محبة، ليس عندهم شيء

يجبونه كحب الله، بخلاف المشركين»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: «فانظر إلى هذا الوعيد الشديد الذي قد توعد الله به من كان

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٩٥).

(٢) انظر: الشفا (٢/ ٥٦٣).

(٣) انظر: الاستقامة (١/ ٢٦٣).



أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فعلم أنه يجب أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إلى المؤمن من الأهل والمال والمساكن والمتاجر والأصحاب والإخوان، وإلا لم يكن مؤمناً حقاً<sup>(١)</sup>.

• وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين والأولوية في الآية تتضمن أموراً، منها: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه: لأن الأولوية أصلها الحب ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول ﷺ أولى به منها، وأحب إليه من نفسه، فبذلك يحصل له اسم الإيمان، ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه.

ومنها: ألا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً: بل الحكم على نفسه لرسول الله ﷺ، يحكم عليه أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به منها<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٧٥٠).

(٢) سورة الأحزاب، آية (٦).

(٣) انظر: الرسالة التبوكية (٩٣-٩٤).

• وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا من الأدلة العظيمة الشاهدة على وجوب محبة النبي ﷺ إذ لا نزاع في أن محبة الله واجبة، وأن اتباع النبي ومحبته طريق إلى محبة الله. وأما أحاديثه ﷺ فصريحة في الدلالة على فرض هذه المحبة:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فجمع تحت هذا اللفظ القليل معاني كثيرة؛ إذ المحبة ثلاثة: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة رحمة وشفقة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان، كمحبة سائر الناس بعضهم بعضاً، فجمع رضي الله عنه ذلك كله في محبته<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب

(١) سورة آل عمران: آية (٣١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب وجوب محبة النبي ﷺ (٤٤).

(٣) انظر: إكمال المعلم (١/ ٢٨٠)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧٤).





الطبع»<sup>(١)</sup>.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

• وعن عبد الله بن هشام قال: كنّا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنّ أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنّه الآن والله لأنّ أحب إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ «الآن يا عمر» رواه البخاري<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: «لا - والذي نفسي بيده - حتى أكون أحب إليك من نفسك» أي: لا يكفي ذلك لبلوغ الرتبة العليا حتى يضاف إليه ما ذكر، وعن بعض الزهاد: تقدير الكلام: لا تصدّق في حبي حتى تؤثر رضاي على هوائك، وإن كان فيه الهلاك»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري (١/٧٦).

(٢) الصحيح: كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٤).

(٣) الصحيح: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٢٥٧).

(٤) انظر: فتح الباري (١١/٥٣٦).

وقال - أيضاً - : «فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أنّ النبي ﷺ أحبّ إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولهذا حصل الجواب بقوله: «الآن يا عمر» أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب»<sup>(١)</sup>.

وقد حمل القاضي عياض المحبة في هذه الأحاديث على معنى التعظيم والإجلال، وجعلها شرطاً في صحة الإيمان<sup>(٢)</sup>، وتعقبه القرطبي بأنّ ذلك ليس مراداً هنا؛ لأنّ اعتقاد الأعظمية ليس مستلزماً للمحبة؛ إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته، قال: فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه<sup>(٣)</sup>.

وأيد الحافظ ابن حجر تعقب القرطبي فقال: « وإلى هذا يومئ قول عمر «لأنّ يا رسول الله أحب إلي من نفسي»، فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط، فإنّها حاصلة لعمر قبل ذلك قطعاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر: إكمال المعلم (١/ ٢٨٠-٢٨١).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١/ ٢٢٥).

(٤) انظر: الفتح (١/ ٧٦).



فقد دلت الآيات والأحاديث السابقة على أنّ محبة النبي ﷺ فريضة لازمة وعبادة عظيمة من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

وقد ذكر العلماء أنّ محبة النبي ﷺ على ضربين:

أحدهما: فرض، وهي المحبة التي تقتضي الإيمان بنبوته، وبعثته، وتلقي ما جاء به بالمحبة والقبول، والرضا والتسليم.

والثاني: محبة مندوبة، وهي المحبة التي تقتضي تقصي أحواله ومتابعة سنته، والحرص على التزام أقواله وأفعاله قدر المستطاع والجهد والطاقة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) انظر: قاعدة في المحبة لابن تيمية (١٦٤-١٦٥)، وذكر الحافظ ابن رجب في استنشاق نسيم الأنس (٣٠-٣٨) أنّ محبة الله على درجتين: فرض لازم، ومحبة السابقين - مندوبة -، ومحبة النبي ﷺ من محبة الله ﷻ.

## المبحث الثاني

### بواعث محبته ﷺ

للمحبة أسباب متنوعة وبواعث متعددة فقد تكون المحبة لما يستحسنه المرء من أمور ظاهرة كحسن الصوت وحسن الصورة، وقد يكون باعثها معاني باطنه كالعلم والدين ومكارم الأخلاق، وقد يدعو لها الإحسان من جلب الخير ودفع الضرر، وقد جُمع في نبينا ﷺ أنواع من البواعث والأسباب التي تدعو الى محبته منها:

أولاً: أنه خليل الله، ومن أحب الله أحبَّ كل ما أحبه الله، وأعظم محبوب من الخلق لله هو رسوله ﷺ، وقد قال ﷺ: «ولكن صاحبكم خليل الله» رواه مسلم<sup>(١)</sup> - يعني نفسه ﷺ -، والخُلة هي أعلى مراتب المحبة<sup>(٢)</sup>.

فكل ما دون الله إنما يحب لله، والله - جل وعلا - يحب لذاته، ومن دونه بدءاً من رسوله ﷺ يحب لأجله، لذلك إذا لم تكن محبة الرسول ﷺ لله كأن كانت للقراية أو لكونه عبقرية لا تنفع صاحبها، ولم تنفع تلك المحبة

(١) الصحيح: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر (٢٣٨٣).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٦٠٩/٢).



أبا طالب، ولم تنفع المستشرقين الذين يقدرونه ويبالغون في تقديره لكونه عبقرياً في التاريخ، لا لأنه رسول الله ﷺ. قال ابن تيمية: «الرسول إنما يجب لأجل الله، ويطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله»<sup>(١)</sup>، وقال - أيضاً -: «بل محبة رسول الله وجبت لمحبة الله»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن رجب: «ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا قرن الله - جل وعلا - بين محبته ومحبة خليله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وكما في حديث أنس مرفوعاً «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..» متفق عليه<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: أن محبته ﷺ من مقتضى الإيمان قال رسول الله ﷺ: «مبينا أن حبه من الإيمان: والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦٤٩).

(٢) انظر: التحفة العراقية (١٠١).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٣/١١٤٩).

(٤) سورة التوبة، آية (٢٤).

(٥) البخاري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان (١٦)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال

من اتصف بهنَّ (٤٣).

نفسه وماله وولده والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وذلك أنه لا نجاة لأحد من عذاب الله ولا وصول له إلى رحمة الله إلا بواسطة الرسول؛ بالإيمان به ومحبته وموالاته واتباعه، وهو الذي ينجي به من عذاب الدنيا والآخرة، فأعظم النعم وأنفعها نعمة الإيمان، ولا تحصل إلا به، وهو أنصح وأنفع لكل أحد من نفسه وماله؛ فإنه الذي يخرج الله به من الظلمات إلى النور، لا طريق له إلا هو»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: كمال رأفته وعظيم رحمته ﷺ بأمة: فالمرء جبل على حب من يراه محسناً إليه، شفيقاً عليه، رحيماً به، ورسول الله ﷺ أعظم الخلق بنا رحمة ورأفة، وشفقة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومما يبين ويظهر محبته ﷺ لأمة ورحمته وشفقته بها:

• ادخاره ﷺ دعوته المستجابة لأمة، فعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٢٦/٢٧).

(٣) سورة التوبة، آية: (١٢٨).



قال: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

• ما روى أبو هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة العظمى أن النبي ﷺ قال: «فأنطلق فأتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي ﻋَظِيمًا، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحته على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو: كما بين مكة وبصرى» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

• ما روى عبد الله بن عمرو بن العاص «أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً قول الله في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِبْرَاهِيمَ أَضَلَّلْنِ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة (٦٣٠٤)، ومسلم كتاب الإيمان

باب اختباء النبي ﷺ دعوته لأمته (١٩٩).

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير باب من سورة بني إسرائيل (٤٤٣٥)، ومسلم كتاب الإيمان،

باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٤).

عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١)</sup> وقرأ قول الله في عيسى ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> فبكى ﷺ فأنزل الله إليه جبريل ﷺ وقال: يا جبريل سل محمداً ما الذي يبكيك؟ - وهو أعلم-، فنزل جبريل، وقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال أمّتي أمّتي يا جبريل، فصعد جبريل إلى الله، وقال: يبكي على أمّته - والله أعلم - فقال لجبريل: انزل إلى محمد، وقل له إنا سنرضيك في أمّتك» رواه مسلم<sup>(٣)</sup>.

• ما روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية، دخل فرقع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمّتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها». رواه مسلم<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة إبراهيم، آية (٣٦).

(٢) سورة المائدة، آية (١١٨).

(٣) الصحيح: كتاب الإيمان باب دعاء النبي ﷺ لأُمّته وبكائه وشفقته عليهم (٢٠٢).

(٤) الصحيح: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٢٨٩٠).





والمواقف والصور التي تظهر محبة النبي ﷺ وشفقته ورحمته بأُمَّته كثيرة، ولو جمع ما في كتب السنة منها لجاء كتابا حافلا.

رابعاً: كمال نصحه لأُمَّته، وعنايته بتعليمهم، وتزكيتهم:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>

وقد علّم ﷺ أُمَّته كل شيء يحتاجون إليه في أمر دينهم حتى قال بعض الناس لسلمان رضي الله عنه: «قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراء»<sup>(٢)</sup>، فقال «أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم» رواه مسلم<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث أبي هريرة أنه رضي الله عنه قال: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران: آية (١٦٤).

(٢) الخراء: اسم لهيئة الحدث. انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥٥).

(٣) الصحيح: كتاب الطهارة، باب الاستطابة (٢٦٢).

(٤) أخرجه: أبو داود (٨)، والنسائي (٤٠)، وابن ماجه (٣١٣)، وأحمد (٢/ ٢٤٧)، وهو حسن.

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: «تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً». أخرجه الطبراني في الكبير<sup>(١)</sup>.

وكان ﷺ يحث أصحابه على نشر العلم وتبليغه، ويقول: «يلبغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يلبغ من هو أوعى له منه» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.  
فهذا الحرص على تعليم أمته، ونشر العلم فيها من أعظم الدواعي على محبته ﷺ لمن عقل وأدرك.

خامساً: ما اجتمع فيه من وجوه الفضائل والأخلاق والمحاسن مما تفرق في الخلق كلهم، فكان ﷺ هو مجتمع المحاسن، ويكفيها قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>. فرسول الله ﷺ أشرف الناس، وأكرم الناس، وأطهر الناس، وأعظم الناس، في كل شيء، روى مسلم<sup>(٤)</sup> عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى

(١) (٢/ ١٦٤٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٤): «رجاله رجال الصحيح غير محمد بن

عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة». وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٤١٦)، (١٨٠٣).

(٢) أخرجه البخاري كتاب العلم، باب ليلبغ الشاهد الغائب (٢٦٢)، ومسلم كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء (١٦٧٩)

(٣) سورة القلم، آية (٤).

(٤) الصحيح: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ (٢٢٧٦).



من قرش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

فكيف لا تمتلئ القلوب بمحبته، وتلهج الألسن بذكره والثناء عليه،  
وتشتاق النفوس لرؤيته، وللنظر في سيرته ومعرفة شمائله، وبواعث محبته ﷺ  
ودواعيها كثيرة متعددة، قال النووي: «وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق  
المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه كحسن الصورة  
والصوت والطعام ونحوها وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين  
والعلماء وأهل الفضل مطلقاً، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره  
عنه وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ لما جمع من جمال الظاهر والباطن  
وكمال خلال الجلال وأنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدأته إياهم  
إلى الصراط المستقيم...»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧٣).

### المبحث الثالث

#### دلائل محبة النبي ﷺ

محبة الرسول ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، كما ظهر لنا من النصوص الشرعية في المباحث السابقة.

وهذه المحبة وإن كانت عملاً قلبياً، إلا أنّ لها آثاراً ودلائل تظهر في السلوك والأفعال، يتميز بها الصادق من المدعي، والمتبع من المبتدع، وهذا المبحث لبيان هذه الدلائل والعلامات، وسأتناول كل واحدة منها في مطلب:

#### المطلب الأول: تصديقه ﷺ فيما أخبر.

من مقتضى الإيمان بالنبي ﷺ والشهادة بآله رسول الله تصديقه في كل ما أخبر به والإيمان بعصمته فيما يبلغه عن ربه - ﷻ - ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن خالف ذلك وكذب بما جاء به ﷺ، أو بعضه، أو شك فيه فقد جاء بما ينقض هذه الشهادة وسلك سبيل أهل الكفر والعناد.

(١) سورة النجم، آية (١-٤).



والمؤمن يصدقهُ ﷺ أنه رسول من عند الله، ويصدقهُ فيما يخبر به من عند الله وفيما يأتي به من أحكام ويكون حاله في ذلك حال أصحاب النبي ﷺ وتأمل هذين الحديثين في ذلك:

الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث»، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ: «فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

الثاني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدّ ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسمعوا<sup>(٢)</sup> بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أُسري به الليلة إلى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر رضي الله عنه (٣٦٩٠)، ومسلم في

كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه (٢٣٨٨).

(٢) هكذا في المستدرک، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٤٦/٢) من طريق الحاكم وفيه:

«وسعوا».

بيت المقدس، قال: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أَوْ تصدقه أَنَّهُ ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح. قال: نعم، إِنِّي لأُصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أُصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق». رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه<sup>(١)</sup>.

#### المطلب الثاني: طاعته ﷺ واتباعه.

طاعة الرسول ﷺ واتباعه من أقوى الدلائل على صدق الحب، وبدون هذه الطاعة والموافقة فإنَّ الحب دعوى كاذبة، فالاتباع هو دليل المحبة الأوَّل، بل كلما عَظُمَ الحبَّ زادت الطاعة له ﷺ، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فإذا كان الله ﷻ قد جعل اتباع نبيه دليلاً على حبه سبحانه، فهو من باب أولى دليل على حبِّ النبي ﷺ.

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنَّه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي

(١) (٣/ ٦٢)، وصححه الألباني لشواهد. انظر السلسلة الصحيحة (١ / ٣٠٥).

(٢) سورة آل عمران، آية: (٣١).



والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله»<sup>(١)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير: «هذه الآية أصل كبير في التآسي برسول الله ﷺ في أقواله

وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتآسي بالنبي ﷺ

يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من

ربه ﷻ»<sup>(٣)</sup>.

فالافتداء به ﷺ والتمسك بسنته، واتباع أقواله وأفعاله، وطاعته بامثال

أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، من

أعظم دلائل محبته ﷺ، وصدق القائل:

لو كان حبك صادقاً لأطعته \* إنَّ المحب لمن يحب مطيع<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٤٦).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١١/١٣٣).

(٤) البيت مشهور النسبة في كتب الأدب لمحمود الوراق، انظر: الكامل لابن المبرد (١/٢٣٤)،

والتمثيل والمحاضرة (١٢).

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»<sup>(١)</sup>: «فمن أحبَّ الله ورسوله محبةً صادقةً من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحبَّ بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكره الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ فإنَّ عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحب الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دلَّ ذلك على نقص محبته الواجبة».

#### المطلب الثالث: تعظيمه، وتوقيره، والتأدب معه.

ومن دلائل محبته ﷺ تعظيمه وتوقيره والأدب معه ، بما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتام التوقير ، وهو من أعظم دلائل حبه ، ومن أكد حقوقه ﷺ على أمته ، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> فالتسبيح لله ﷻ والتعزير والتوقير للنبي ﷺ ، وهو بمعنى التعظيم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٣/ ١١٥٢).

(٢) سورة الفتح، آية: (٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ٩١).





فالتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.  
والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام،  
وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج عنه عن حد  
الوقار<sup>(١)</sup>.

ومن توقير النبي ﷺ:

- عدم رفع الصوت فوق صوته: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك الأدب في مسجده بترك اللغط ورفع الصوت، روى البخاري<sup>(٣)</sup> أن عمر رضي الله عنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: «أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قال: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ».

(١) انظر: الصّارم المسلول (٣/٨٠٣).

(٢) سورة الحجرات، آية (٢).

(٣) الصحيح: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد (٤٧٠).

• التأدب عند ذكره بأن لا يذكره باسمه مجردا بل مقرونا بالنبوة أو الرسالة، ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾<sup>(١)</sup>. أي: لا تجعلوا دعاءكم الرسول ﷺ كدعاء بعضكم بعضا، بل إذا دعوتوه فوقروه، وادعوه بما شرفه الله به من النبوة والرسالة، كأن تقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله<sup>(٢)</sup>.

• توقير حديثه والتأدب عند سماعه وعند دراسته كما كان يفعل أصحابه في مجلسه ﷺ، عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ كَانُوا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ» أخرجه أحمد<sup>(٣)</sup>.  
فهذا يدل على إجلالهم وتوقيرهم - رضوان الله عليهم - مجلس رسول الله ﷺ.

وكذا كان سلف الأمة وعلماءها في إجلال حديث رسول الله ﷺ حتى إذا قيل قال رسول الله ﷺ: اشرأبت الأعناق، وشخصت الأبصار، وأصغت الأسماع، لا انصراف ولا التفات ولا تحرك، بل احترام وإجلال لرسول الله ﷺ.

(١) سورة النور: آية (٦٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٧٢).

(٣) في المسند (٥/٣٥٠)، وإسناده صحيح.



وإذا أرادوا التحديث أو السماع تهيؤوا له بما يدل على إجلالهم حديث النبي ﷺ، كان مالك ابن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث يتوضأ وضوءه للصلاة، ويلبس أحسن ثيابه، ويلبس قلنسوة، ويمشط لحيته، فقليل له في ذلك، فقال: أوقرّ حديث رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وذكر لسعيد بن المسيب حديثاً عن رسول الله ﷺ فقال: أجلسوني فإني أكره أن أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع<sup>(٢)</sup>.

وذكر عن مالك أنه «سئل عن أيوب السخيتي فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه. قال: وحجّ حجّتين فكنت أرؤمقه فلا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيتُ منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبتُ عنه، وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له يوماً في ذلك فقال: لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون، لقد كنتُ أرى محمد بن المنكدر - وكان سيّد القراء - لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنتُ أرى جعفر بن محمد - وكان كثير الدّعابة والتّبسم - فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرّ لونه، وما رأيته

(١) انظر: المحدث الفاضل (ص ٥٨٥)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٦١٠).

(٢) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٦٤١).

يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صامتاً، وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنه نزع منه الدَّم، وقد جفَّ لسانه في فمه، هيبة لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينه دموع، ولقد رأيت الزهري - وكان من أهدأ الناس وأقربهم - فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر النبي ﷺ بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه<sup>(١)</sup>.

#### المطلب الرابع: الاحتكام إلى سنته ﷺ.

ومن دلائل محبته ﷺ الاحتكام إلى سنته وشريعته، والرجوع إليها عند الاختلاف قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/٢٢٦).

(٢) سورة النساء: آية (٥٩).



قال ابن كثير: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: خذوا

بسنته<sup>(١)</sup>.

فذلك أصل من أصول الإيمان، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً فقد أقسم الله ﷻ بنفسه أن إيمان العبد لا يتحقق حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع شؤون وأحواله، وحتى لا يبقى في صدره أي حرج أو اعتراض على هذا الحكم، فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وجعل تعالى الإعراض عن سنته وترك التحاكم إليها من علامات النفاق، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٣)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/١٣٧).

(٢) سورة النساء: آية (٦٥).

(٣) سورة النساء: آية (٦٠-٦١).

المطلب الخامس: نشر سنته ﷺ والدفاع عنها.

ومن دلائل محبته ﷺ نشر سنته ﷺ وتبليغها وتعليمها للناس، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بَلِّغُوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

وعن أبي ذرٍّ ﷺ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن لا يغلبونا على ثلاث: أن نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونعلم الناس السنة»<sup>(٢)</sup>.

ومن نشر السنة الدفاع عنها ضد كل مبطل ومشكك، ورد الشبهات عنها، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، وقد دعا رسول الله ﷺ بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امرءاً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه كما سمعه، فربَّ حامل فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» أخرجه أحمد، والترمذي، والدارمي<sup>(٣)</sup>.

والتهاون في الذب عن سنته وشريعته، من الخذلان الذي يدل على ضعف

(١) الصحيح: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦١).

(٢) أخرجه الدارمي (٤٥٥/١)، (٥٦٠)، وأحمد (١٦٥/٥).

(٣) رواه أحمد (١٨٣/١)، والترمذي (٢٦٥٦)، والدارمي (٣٠٢/١) وهو صحيح.

الإيمان، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمة وسنته، فهو كاذب في دعواه.

#### المطلب السادس: محبة محابه ﷺ.

فمن أحب النبي ﷺ أحب ما يحبه ﷺ من الأقوال والأفعال، والأشخاص، فيحب أصحابه من المهاجرين والأنصار، ويحب الكتاب الذي أنزل عليه هدى ونور، ويجب سنته، والعاملين بها من السلف السابقين والأئمة التالين، ويبغض من أبغضهم وعاداهم.

قال ابن رجب: «والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حبّ المحبوبات، وبغض المكروهات»<sup>(١)</sup>، وقال - أيضاً - : «فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن القيم: «محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب ومحبة ما يعين على حبه....»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٣/ ١١٤٩).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٣/ ١١٥٠).

(٣) انظر: روضة المحيين (١/ ٣٤٠).

المطلب السابع: الإكثار من ذكره ﷺ والصلاة والثناء عليه.

من أحب إنساناً أكثر من ذكره، والثناء عليه، قال ابن القيم رحمه الله: «كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه»<sup>(١)</sup>.

ومن ذكره ﷺ الصلاة والسلام عليه فقد أمرنا الله بذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: جلاء الأفهام (٦١٦)

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وأحمد (٢٠١ / ١)، والنسائي في الكبرى (٨٠٤٦)، وابن حبان (٩٠٩)، والحاكم (٥٤٩ / ١) من حديث عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده، وسنده صحيح، وانظر: إرواء الغليل (٣٥ / ١)

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٢٥٤ / ٢)، وابن حبان (٩٠٨)، والحاكم (٥٤٩ / ١) وسنده صحيح. ورغم أنفه: لصق بالرغام وهو التراب واستعمل في الذل والعجز. انظر: تحفة الأحوذى (٤٩٢ / ٩).





وفي حديث أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، يا أيها الناس اذكروا الله، يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه» فقال أبي بن كعب: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك منها؟ قال: «ما شئت» قال: الربع؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك» قال: النصف؟ قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير لك» قال: الثلثين؟ قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير» قال: يا رسول الله، أجعلها كلها لك؟ قال: «إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك» رواه الترمذي، وأحمد<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «وسئل شيخنا أبو العباس ابن تيمية عن تفسير هذا الحديث فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي ﷺ: هل يجعل له منه ربعة صلاة عليه ﷺ؟ فقال له: إن زدت فهو خير لك، إلى أن قال أجعل لك صلاتي؛ أي: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: «إذن تكفى همك ويغفر ذنبك»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وأحمد (١٣٦/٥)، وهو حسن؛ وانظر السلسلة الصحيحة (٩٥٤).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (١٤٩).

المطلب الثامن: تمني رؤيته ﷺ والشوق إليه.

ومن دلائل محبة النبي ﷺ تمني رؤيته والاشتياق إلى لقائه؛ قال الحافظ ابن حجر: «من علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خيّر بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي ﷺ أن لو كانت ممكنة، فإن كان فقدتها أن لو كانت ممكنةً أشدّ عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبة المذكورة، ومن لا فلا، وليس ذلك محصوراً في الوجود والفقْد، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته وقمع مخالفها»<sup>(١)</sup>. وقد أخبر ﷺ عن ناس من أمته يودّ أحدهم لو رآه بأهله وماله؛ قال ﷺ: «من أشدّ أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يشتاقون للقاءه في حياته وبعد موته، فعن أنس أن الأشعرين لما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون: «غدا نلقى الأحبة محمداً وصحبه»<sup>(٣)</sup>، وروي عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ كعمار وبلال، قولهم عند الاحتضار: اليوم نلقى الأحبة محمداً وصحبه<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري (١/٧٦).

(٢) الصحيح: كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ (٢٨٣٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/١٥٥)، والنسائي في الكبرى (٨٢٩٤) وسنده صحيح.

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/٥٦٩، ٥٧٣).



المطلب التاسع: غرس محبته في نفوس الأهل والذرية.

من دلائل محبته ﷺ أن يربي المسلم هذا الحب له ﷺ ويتعاهده في نفوس من أوّمن عليهم من الأهل والذرية وذلك ببيان فضائله ﷺ لهم ومكانته وبيان ما يجب له من الطاعة والاقتراء والتمسك بسنته، ومما يغرس محبته ﷺ في نفوسهم:

• اطلاعهم على سيرته كما كان السلف ينشئون أبناءهم على ذلك قال

إسماعيل بن محمد بن سعد قال: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ

ويعدها علينا، وسراياه، ويقول: يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا

ذكرها»<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن الحسين قال: «كنا نُعلّم مغازي النبي ﷺ وسراياه، كما

نعلّم السورة من القرآن»<sup>(٢)</sup>.

• يُبين لهم كيف كان يحبه أصحابه ﷺ ويضحون في سبيله بأنفسهم

وأبنائهم وأموالهم، وكيف كانوا يقدمون سنته على رغباتهم، ويعظمونها

فلا يجعلونها عرضة للآراء المخالفة والأهواء المتبعة.

• ومن أسباب غرس محبته في نفوسهم التطبيق العملي لسنته ﷺ

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٩٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٤١).

والاقتداء به ﷺ في الأقوال والأفعال.

فمن نُصح المسلم لأبنائه عدم الغفلة عن تربيتهم على محبة النبي ﷺ،  
والسعي في ذلك باتخاذ الأسباب المشروعة.

وبعد فهذه دلائل وعلامات محبته ﷺ تظهر على المحب الصادق  
وتضعف أو تختفي بحسب ضعف المحبة وانعدامها، فليست المحبة كلمة تقال  
ولا ادعاء يدعى بل طاعة واتباع، وتمسك واقتداء، يثبت عليها الصادق وينفر  
منها المدعي الكاذب:

والدعاوى إن لم يقيموا عليها \* بينات أصحابها أدياء  
ويجمع هذه الدلائل والعلامات النصيحة له ﷺ التي جعلها ﷺ من  
دعائم الدين وأساسه بل الدين كله، كما في حديث تميم بن أوس الداري أن  
رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه  
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>، فالنصيحة له ﷺ تتضمن ما سبق من  
الدلائل والعلامات من تصديقه واتباعه، ونصرته، ونشر سنته، وتعظيمه، ومحبة  
محابه، وكثرة ذكره والصلاة عليه فالنصيحة له ﷺ علامة جامعة لأنواع  
العلامات والدلائل على محبته ﷺ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٥٥).



## المبحث الرابع

### حال الصحابة في محبتهم للنبي ﷺ

كان أصحاب رسول الله ﷺ أعلى الناس في هذا الباب مرتبة وأوفرهم حظاً ونصيباً.

وقد سطوروا أروع الأمثلة وأصدق الأعمال الدالة على عظيم محبتهم للنبي ﷺ من الدفاع عنه وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره، فهم كما قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(١)</sup> وكتب الحديث والسيرة عامرة بأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار، ونورد طرفاً مما يدل على ذلك، أمّا استيعابه أو التوسع فيه فبحث آخر يخرجنا عمّا نحن فيه:

• «لما أرسلت قريش عروة بن مسعود وجاء إلى النبي ﷺ ورأى صنيع أصحابه معه، قال عندما رجع إلى قومه: أي قوم والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قطّ

(١) سورة الحشر، آية: (٨).

يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

• قال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحداً يجب أحداً، كحب أصحاب محمد محمدًا».

قال ذلك في قصة مقتل زيد بن الدثنة: لما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك يُضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحداً يجب أحداً كحب أصحاب محمد محمدًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) الصحيح: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (٢٧٣١).

(٢) رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلًا - انظر سيرة ابن هشام (١٧٢/٢) - (١٧٣) - ورواه من طريق ابن إسحاق أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/١١٨٣-١١٨٤)، وأصل القصة في البخاري في كتاب المغازي برقم (٤٠٨٦).



• قال أنس بن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون: «اللهم إني أعترز إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بنانته» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى - النبي ﷺ - فقال: «يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ﴾

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد باب قول الله تعالى: (من المؤمنين رجال) الآية (٢٨٠٥)،

ومسلم كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠٣).

رَفِيقًا ﴿٣١﴾ رواه الطبراني (٣).

• وعن سعد بن أبي وقاص قال: «مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأيته قالت: كل مصيبة بعدك جلل - تعني يسيرة - رواه ابن إسحاق في السيرة» (٣).

هذه أمثلة ونماذج تبين عظيم محبة الصحابة للنبي ﷺ وهي غيض من فيض ولو تَبَّع ما ورد في ذلك لجاء سفرًا حافلاً.

\*\*\*

(١) سورة النساء، آية (٦٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٩٦/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٧): «رجاله رجال الصحيح، غير عبدالله بن عمران العائدي وهو ثقة».

(٣) رواه ابن إسحاق - كما في مختصر السيرة لابن هشام (٩١/٢) -، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٣٠٢).



## المبحث الخامس

### حال الناس في محبته ﷺ

محبة النبي ﷺ أصل عظيم وعبادة جليلة رسخت في قلوب أصحابه فظهرت آثارها على جوارحهم طاعة واتباعاً، وتبعهم في القيام بهذه العبادة وما تقتضيه أتباعهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وشأن المحبة شأن غيرها من الأوامر والشرائع في حرص الشيطان على انحراف العباد فيها، ولا يبالي أكان انحرافهم إلى الغلو والإفراط، أم الجفاء والتفريط، فما أمر الله ﷻ بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إمّا تقصير وتفريط، وإمّا إفراط وغلو، ولا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه، فإن وجد منه تقصيراً أو فتوراً أو توانياً وترخيصاً أخذه من هذه الجهة، فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور وفتح له باب التأويلات والرجاء حتى ربما ترك العبد المأمور جملة، وإن وجد عنده حذراً وتشميراً ونهضة أمره بالاجتهاد الزائد وسؤل به أن هذا لا يكفيك، وأن همتك فوق هذا فيحمله على الغلو والمجاوزة، كما يحمل الأول على التفريط والتقصير، لأن مقصوده إخراجهما عن الطريق المستقيم.

وقد انقسم الناس في محبته ﷺ ثلاثة أقسام: أهل الإفراط، وأهل

التفريط، والذين توسّطوا بين الإفراط والتفريط. فالقسم الأوّل: الذين غلّوا في محبته ﷺ بابتداعهم أموراً لم يشرعها الله، ولا رسوله ظناً منهم أنّ فعلها علامة المحبّة، كالغلو بصرف شيء من العبادة له كالّدعاء، والحلف به، أو الغلو في مدحه ﷺ بوصفه بشيء من صفات الربوبية، وكذا الاحتفال بمولده واتخاذه عيداً إلى غير ذلك من أصناف الغلو، فهذا كله خروج عن جادة الصراط المستقيم، الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على حماية جناب التوحيد، وتحذير أمته من الغلو والانحراف في حقه، ومما ورد في ذلك:

• مرواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ألا إنّني أنا هم من ذلك يحذر ما

(١) سورة الأنعام: آية (١٥٣).

(٢) الصحيح: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى «واذكر في الكتاب مريم» (٣٤٤٥).



صنعوا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

• وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي ﷺ: «جعلني الله عدلاً، بل قل ما شاء الله وحده» رواه ابن ماجه وأحمد<sup>(٢)</sup>.

• وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﻋﻠﻴّ» رواه أحمد<sup>(٣)</sup>.

والأدلة على تحذيره ﷺ من الغلو فيه كثيرة، والمقصود بيان أن محبة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب<sup>\*</sup> (٤٣٦)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد (٢١٤/١) من طرق عن الأجلح الكندي عن يزيد الأصم عن ابن عباس به، والأجلح مختلف فيه؛ رجح الحافظ في التقریب أنه صدوق، وللحديث شواهد منها حديث حذيفة عند أبي داود (٤٩٨٠) وأحمد (٣٨٤/٥) «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»، ونحوه من حديث الطفيل بن سخرية في المسند (٧٢/٥) بسند صحيح.

(٣) المسند (٣/١٥٣، ٢٤١) بسند صحيح.

النبي ﷺ وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.  
والقسم الثاني: من فرط وجفا في هذه العبادة فلم يؤدها كما أمر الله بتقديم محبته ﷺ على محبة النفس والأهل والمال.

ومن صور ذلك ما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: «بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله: اعدل، فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن أصحابا يحقر أحدهم صلواته مع صلاتهم، وصيامه ومع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

والجفاء والتفريط في تحقيق محبته ﷺ له صور كثيرة تدل عليه منها:  
• التقدم بين يديه ﷺ وهذا مخالف لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا

(١) الصحيح: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨)، وهو في البخاري بلفظ «من أحدث...» كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور (٢٦٩٧).  
(٢) الصحيح: كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك (٦١٦٣).



تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>ط</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(١)</sup>.

• ردّ الأحاديث الصحيحة بموجب مقتضيات العقول، أو الأذواق، أو غير ذلك.

• عدم الهيبة والتعظيم والإجلال عند ذكره أو ذكر حديثه.

• ترك الصلاة عليه ﷺ.

• عدم معرفة قدر أصحابه - رضوان الله عليهم -.

والقسم الثالث: من توسّط بين الطرفين السابقين، وهم السلف الصالح، ومن سار على نهجهم، فأمنوا بوجوب هذه المحبة حكماً، وقاموا بمقتضاها اعتقاداً وقولاً وعملاً.

فأضحت محبته ﷺ عقيدة راسخة في قلوبهم أثمرت الاقتداء والاتباع والنصرة، وهذا هو المعنى الصحيح لمحبته ﷺ الذي امتثله أصحابه ﷺ ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

\*\*\*

(١) سورة الحجرات: آية (١).

## المبحث السادس

### فضائل محبته ﷺ وثمراتها في الدنيا والآخرة

إذا غرست شجرة محبة الله ورسوله في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها في السماء<sup>(١)</sup>.

أما في الدنيا فإن من أعظم ثمارها:

• تحصيل حلاوة الإيمان: فعن أنس عن النبي ﷺ قال «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: «هذا حديث عظيم، أصل من أصول الإسلام، قال العلماء رحمهم الله: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب

بيان خصال من اتصف بهنّ (٤٣).



الله ﷺ ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه تحصل بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك محبة الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية في قوله ﷺ: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»: وهذا من أصول الإيثار المفروضة، التي لا يكون العبد مؤمناً بدونها<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن أبي جمرة: «إنما عبّر بالحلاوة لأن الله شبه الإيثار بالشجرة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٣)</sup> فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيثار، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها<sup>(٤)</sup>.

وقال البيضاوي: «وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيثار؛ لأن

(١) شرح صحيح مسلم (١/١٣)، مجموع الفتاوى (١٠/٧٥١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٧٥١).

(٣) سورة إبراهيم: (٢٤).

(٤) انظر: بهجة النفوس (١/٣٦)، وفتح الباري (١/٧٧).

المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانع ولا مانع في الحقيقة  
سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك  
أن يتوجه بكلية نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله،  
وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقيناً، ويخيل إليه الموعد كالواقع،  
فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار<sup>(١)</sup>.

• ومن ثمرات هذه المحبة في الدنيا أنها من أعظم العون على الاقتداء  
بالنبي ﷺ واتباعه في أقواله وأفعاله، وهي من أسباب إكثار العبد من عبادة  
مولاه، إذ بهذه المحبة تحف العبادة على النفس، وتقبل الروح على طلب القرب  
من بارئها.

فيكون العبد متقرباً بالطاعات اقتداءً بحبيبه وتخلقاً بأخلاقه، ويكون  
معظماً للرسول وسنته مجانباً للبدع والخرافات، مستقيماً على الطاعة محباً  
لعلماء السنة.

وأما في الآخرة فحسب المحبة أن تكون من أعظم أسباب النجاة من النار،  
واللحوق برسول الله ﷺ وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة منها:

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٦١).





١ - حديث أنس بن مالك: أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. متفق عليه<sup>(١)</sup>.

قال النووي: «قوله: «لا شيء»، وفي رواية: «ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة» أي غير الفرائض، معناه: ما أعددت لها كثير نافلة من صلاة ولا صيام ولا صدقة»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: «إنك مع من أحببت» أي: ملحق بهم حتى تكون من زميرهم، وبهذا يندفع إيراد أن منازلهم متفاوتة فكيف تصح المعية؟ فيقال: إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما، ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعية وإن تفاوتت الدرجات»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل النبي ﷺ باب مناقب عمر (٣٦٨٨)، ومسلم في البر والصلة

باب المرء مع من أحب (٢٦٣٩). شرح صحيح مسلم (١٦ / ١٨٦ - ١٨٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦ / ٤٢٦).

(٣) انظر: فتح الباري (١٠ / ٥٧١).

وقال النووي: «فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير، الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية»<sup>(١)</sup>.

٢ - وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية: «هذا الحديث حق، فإن كونَ المحب مع المحبوب أمر فطري، لا يكون غير ذلك، وكونه معه هو على محبته إياه، فإن كانت المحبة متوسطة أو قريبة من ذلك كان معه بحسب ذلك، وإن كانت المحبة كاملة كان معه كذلك، والمحبة الكاملة تجب معها الموافقة للمحبوب في محابه إذا كان المحب قادرًا عليها، فحيث تخلفت الموافقة مع القدرة يكون قد نقص من المحبة بقدر ذلك، وإن كانت موجودة، وحب الشيء وإرادته يستلزم بغض ضده وكرهه مع العلم بالتضاد، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/٤٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب علامة حب الله ﷻ (٦١٦٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب (٢٦٤٠).

(٣) سورة المجادلة: (٢٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٧٥٢-٧٥٣).



وكفى بالمحبة فضلا أن تكون سببا في كون المحب مع محبوبه، فاللهم إني  
أشهدك على حبك وحب نبيك محمد ﷺ وحب من اخترتهم لصحبته ونصرة  
دينه وهم صحابته الكرام خير الأمة وأفضلها بعد نبيها، وأسألك يارب أن تمنّ  
علي باتباع سبيلهم والثبات عليه إلى يوم ألقاك، وصلى الله وسلم على نبيه محمد  
وآله وصحبه أجمعين.

\*\*\*

## الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه أجمعين وبعد: فإن المقصود من البحث بيان عظم شأن محبة النبي ﷺ، وأنها أصل من أصول الدين وقد تبين ذلك بأدلته من الكتاب والسنة، وظهر من خلال النصوص أنّ للمحبة أسبابا وبواعث متنوعة بعضها شرعي وبعضها عقلي وبعضها جبلي، وأنه اجتمع في محبة النبي ﷺ أنواع البواعث منها: أنه خليل الله، وأنّ محبته من مقتضى الإيمان، ومنها كمال رحمته بأمته، وكمال نصحه وتعليمه لها، واجتماع خصال الخير ومحاسن الفضائل فيه ﷺ.

وتبين أنّ هذه المحبة وإن كانت عملا قلبيا إلا أنّ لها دلائل وآثارا تظهر في السلوك والأفعال بها يتميز الصادق في المحبة من المدعي لها؛ ومن هذه الدلائل: تصديقه ﷺ فيما يخبر به من ربه، وطاعته فيما يأمر به، وتوقيره والتأدب معه، والتحاكم إلى سنته، والحرص على نشرها والدفاع عنها، ومحبة محابه ﷺ والإكثار من ذكره والثناء عليه والصلاة والسلام عليه، وتمني رؤيته والشوق إليه، وتربية النشء على هذه المحبة، ويجمع هذه الدلائل النصيحة له التي جعلها ﷺ من أسس الدين ودعائمه، وتجلى أنّ سادة الأمة في هذه العبادة هم أصحابه



الذين آمنوا به ونصروه وبذلوا النفس والنفس في سبيل نصره الدين الذي جاء به شهد لهم بذلك الأعداء قبل الأتباع.

وانقسم الناس بعدهم - رضوان الله عليهم - في هذه العبادة الجليلة بين غال وجاف، وأسعد الناس حظا فيها هم من سار على هديهم واقتفى سيرهم. ومن قام بهذه العبادة كما يجب ظهرت آثارها عليها في الدنيا والآخرة، فيجد حلاوة الإيمان، ويحرص على كمال الاقتداء به ﷺ، مع ما ينتظره في الآخرة من النجاة ورفقة من أحبه ﷺ في جنات عدن فالمرء مع من أحب.

هذا ويوصي الباحث إخوانه طلاب العلم بالعناية ببيان حقوق النبي ﷺ ونشرها في الأمة، واتخاذ الأسباب المعينة على ذلك.

كما يوصي بالتعاون وتوحيد الجهود لنصرة النبي ﷺ وكشف زيغ الكفار والمنافقين ورد الشبهات والأباطيل التي يلبسون بها، فإن ذلك من مقتضيات محبته ﷺ.

كما أوصي إخواني المسلمين جميعا باتباع سبيل أصحاب النبي ﷺ في هذا الباب وفي غيره من أبواب الدين والعلم، وعدم الغلو والجفاء، مع العناية بمقتضيات هذه المحبة والحذر من التفريط في ذلك.

و صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

## قائمة المراجع

- (١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان = انظر صحيح ابن حبان.
- (٢) الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري تحقيق عبدالله الدوسري، دار الصديق ط الأولى ١٤١٩هـ.
- (٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- (٤) الاستقامة لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحارثي ٧٢٨هـ ت / محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- (٥) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ ت / أحمد عبدالرحمن، المكتب الإسلامي.
- (٦) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحارثي (٧٢٨هـ)، تحقيق د/ ناصر العقل، دار العاصمة ط ٦، ١٤١٩هـ.
- (٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ)، تحقيق د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء المنصورة مصر، ط ١، ١٤١٩هـ.
- (٨) بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ ت / علي العمران دار عالم الفوائد.



- (٩) بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة مالها وما عليها، لعبد الله ابن أبي حمزة الأندلسي،  
ت/ بكري شيخ، دار العلم للملايين، بيروت.
- (١٠) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري ١٣٥٣هـ،  
دار إحياء التراث العربي.
- (١١) التحفة العراقية لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني ٧٢٨هـ ت/ سليمان  
الحرش، دار المعراج الدولية.
- (١٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق  
مصطفى السيد وجماعة، دار عالم الكتب.
- (١٣) تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق  
صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.
- (١٤) التمثيل والمحاضرة، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي، ت / عبدالفتاح الحلو الدار  
العربية للكتاب.
- (١٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، عناية  
سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦هـ.
- (١٦) جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر  
ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، دار الحديث القاهرة.
- (١٧) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لأبي الفرج  
عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق محمد الأحدي أبو النور،  
دار السلام القاهرة.

- (١٨) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار السلام للتراث، بيروت.
- (١٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- (٢٠) الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: د/ عبدالعلي عبدالحميد حامد، الناشر مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- (٢١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، ت/ مشهور حسن، دار ابن الجوزي.
- (٢٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق د/ عبدالمعطي قلعه جي دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- (٢٣) الرسالة التبوكية، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، ت/ سليم الهلالي، مكتبة الخراز جدة.
- (٢٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ ت/ محيي الدين مستو، دار الكلم الطيب دمشق.
- (٢٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ١٤١٥هـ.





- (٢٦) سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه، (٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية بيروت.
- (٢٧) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تحقيق عزت الدعاس، دار الحديث بيروت، ط ١، ١٣٨٨هـ.
- (٢٨) سنن الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.
- (٢٩) السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، دار المعرفة بيروت.
- (٣٠) السنن الكبرى، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعب النسائي (٣٠٣هـ) ت / حسن شلبي، مؤسسة الرسالة.
- (٣١) سنن النسائي، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعب النسائي (٣٠٣هـ)، اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه عبدالفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ. مصورة عن طبعة مطبعة المصرية في القاهرة سنة ١٣٤٨هـ.
- (٣٢) السيرة النبوية، لأبي محمد عبدالملك بن هشام المعافري تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط ٢ مطبعة الحلبي.
- (٣٣) شرح صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي الشافعي (٦٧٦هـ)، دار القلم بيروت، ط ٣.
- (٣٤) شعب الإيمان = الجامع لشعب الإيمان.
- (٣٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليعصبتي (٥٤٤هـ) تحقيق علي البجاوي دار الكتاب العربي بيروت.

- (٣٦) الشئائل المحمدية، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)، إخراج ماهر ياسين الفحل، دار العرب، ط ١، ٢٠٠٠م.
- (٣٧) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق محمد عبد الله، وآخرون، الرمادي، الدمام، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- (٣٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- (٣٩) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (٤٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- (٤٠) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) مطبوع مع فتح الباري، الطبعة السلفية
- (٤١) صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استنبول - تركيا، مصورة عن الطبعة الأولى.
- (٤٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز، رقم أبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه محب الدين الخطيب، مصورة عن الطبعة السلفية، دار المعرفة بيروت.
- (٤٣) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ) ت / فواز زمري، المكتب الإسلامي بيروت.



- (٤٤) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- (٤٥) الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢٨٥هـ المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الفجالة القاهرة.
- (٤٦) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت، ط ١.
- (٤٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، الناشر دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- (٤٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.
- (٤٩) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للحسين بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٣٦٠هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- مختصر السيرة = السيرة النبوية لابن هشام.
- (٥٠) مختصر العين، لمحمد بن الحسين الزبيدي ٣٧٩هـ، ت/ نور حامد عالم الكتب بيروت.
- (٥١) مدارج السالكين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ). تحقيق عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- (٥٢) المستدرک، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم (٤٠٥هـ)، دار المعرفة بيروت.

- (٥٣) مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى أحمد بن علي التميمي (٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ.
- (٥٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، إشراف سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٣هـ.
- (٥٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٤هـ.
- (٥٦) المعجم الصغير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمار، عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- (٥٧) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجليل بيروت.
- (٥٨) معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ ت / عادل العزازي، دار الوطن.

\*\*\*



# محبة النبي المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء

إعداد

د. أبي بكر بن سالم الشها

طرابلس - لبنان





## المقدِّمة

الحمد لله الذي فطر القلوب على محبته، وأعطى الخلائق من المنح والعطايا ما استوجب عليهم أن يشكروه على نعمته، والصلاة والسلام على المبعوث إلى العالمين برحمته، الذي اصطفاه ربه على سائر بريته، الداعي إلى رضوان ربه الموصل لجنته، وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على منهجه وسنته، وعلى من تبعهم بإحسان السير على طريقته.

وبعد: فإن الله ﷻ خلق الجن والإنس لعبادته فأمرهم بتوحيده وطاعته، ونهاهم عن الشرك به وعن معصيته، وجعل القلوب منبع الأعمال، وجعل اللسان ترجمان القلوب، وجعل محرك كل ذلك المحبة، «فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له، فتتحرك محب الرحمن، ومحب القرآن، ومحب العلم والإيمان، ومحب المتاع والأثمان، ومحب الأوثان والصلبان، ومحب النسوان والمردان، ومحب الأوطان ومحب الإخوان، فتشير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء، فيتحرك عند ذكر محبوبه منها دون غيره، ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ومحب قرآن الشيطان بالأصوات والألحان لا

يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ولا عند تلاوة القرآن، حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربما، وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه وطرباً لذكره، فكل هذه المحابّ باطلة مضمحلة، سوى محبة الله وما والاها من محبة رسوله، وكتابه، ودينه، وأوليائه، فهذه المحبة تدوم، وتدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به، وفضلها على سائر المحابّ كفضل من تعلقت به على ما سواه، وإذا انقطعت علائق المحبين وأسباب توادهم وتحابهم لم تنقطع أسبابها، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: المودة....<sup>(١)</sup>.

ومحبة رسول الله ﷺ ركن ركين من أركان العبادة، وأُسُّ عظيم من أسس التوحيد، ومكانتها في الدين عليّة، ومنزلتها في القلب زكية، ولهذه المحبة علامات، ولضدها أيضاً علامات، لذا كان هذا البحث المختصر في محبة النبي المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء، ليتكلم عن هذه المحبة، وعن ذم الغلو والجفاء، وسدّ ذرائع ذلك كله، وعن نماذج من مواقف وأقوال بعض المحبين من الصحابة رضي الله عنهم. أقدمه بين يدي مؤتمر نبي الرحمة الذي تقوم بالإشراف عليه





ورعايته الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية (سنن) راجياً الله تعالى أن يتقبل  
مني صالح الأعمال إنه مجيب الدعوات.

هذا وقد سرت فيه النحو التالي:

مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

- أما المُقدِّمة: ففيها: سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث.
- وأما التمهيد: ففيه التعريفات ذات الصلة (المحبة، الغلو، والجفاء)
- وأما المباحث الخمسة فهي كالتالي:
- المبحث الأول: أهمية محبة رسول الله ﷺ ومنزلتها من الدين.
- المبحث الثاني: علامات محبة رسول الله ﷺ.
- المبحث الثالث: سد النبي ﷺ السبل المؤدية إلى الغلو.
- المبحث الرابع: سد النبي ﷺ الذرائع المفضية إلى الجفاء.
- المبحث الخامس: نماذج من مواقف وأقوال المحبين لرسول الله ﷺ.
- الخاتمة: وفيها خلاصة ما دار عليه البحث.

\*\*\*

## التمهيد

قبل الشروع في صلب الموضوع يستحسن أن نعرف المحبة والغلو والجفاء وما ورد في الشرع من ذم للغلو والجفاء.

### أولاً: تعريف المحبة:

تكاد تتفق عبارات اللغويين على أن المحبة هي الوداد وهي نقيض البغض<sup>(١)</sup>، وقد اختلفت عبارات الشراح لمعاني المحبة والمتكلمين فيها، وأغلبها يدور حول معانٍ متقاربة، وليس أحد يستطيع أن يعرف المحبة بأكثر من المحبة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: والمحبة لا تحتاج إلى تفسير، ولا يزيدها تفسيرها إلا إشكالاً وخفاءً، فالمحبة هي المحبة، ولا تفسر بأبين من لفظها<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: تعريف الغلو:

يقال غلا في الدين يغلو غلواً - من باب قعد -: تصلب وشدد حتى جاوز

---

(١) انظر الصحاح (١/١٦٢) وتهذيب اللغة (٤/٨) ولسان العرب (١/٢٨٩-٢٩٠) والقاموس المحيط (ص ٩٠).

(٢) شرح الأربعين النووية (ص ١٦٢-١٦٣) وانظر: كتاب محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة للدكتور غسان عبد الرحمن (٣٠-٣٦).



الحد، وفي التنزيل: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: تعريف الجفاء:

الجفاء - ممدود خلاف البر، يقال: جفا الشيءُ يُجفُو جفاءً - ممدوداً - إذا لم يلزم مكانه، يقال: جفا جنبه عن الفراش، وتجافى نبا عنه ولم يطمئن عليه، وجفا الشيءُ عليه ثقل، والجفاء نقيض الصلة<sup>(٢)</sup>.

### رابعاً: ذم الغلو:

جاء ذم الغلو في الكتاب والسنة، قال الله تعالى مخاطباً أهل الكتاب: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾. قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كعبادتهم لله، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أم ضلالاً أو رشاداً،

(١) تهذيب اللغة (٨/١٦٨).

(٢) الصحاح للجوهري (٦/٢٣٣) وتهذيب اللغة (١١/٢٠٦) والمصباح المنير (ص ٥٨) والقاموس المحيط (ص ١٦٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٦٠٣).

أم صدقا أو كذبا، ولهذا قال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾... الآية [التوبة: ٣١]، ثم ذكر حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»<sup>(٢)</sup> أي التشدد فيه ومجاوزة الحد، كما في حديث آخر: «إن هذا الدين مَتِين فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ»<sup>(٣)</sup>.

فالغلو في محبة النبي ﷺ أمر منهي عنه لأنه وسيلة للشرك، وليس هذا بدعاً من الأمر بل لقد حصل هذا الأمر في عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم

(١) رواه البخاري (أحاديث الأنبياء، ح: ٣٤٤٥).

(٢) رواه ابن ماجه (رقم ٣٠٢٩) وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٣٤٦/٢٠- الرسالة) من حديث أنس، ورواه البيهقي في سننه الكبرى عن ابن المنكدر عن جابر (١٨/٣) وعن ابن المنكدر عن عائشة في شعب الإيمان (٣٨٧/٦) وأشار البيهقي إلى أنه روي مرسلاً عن محمد بن المنكدر وصحح إرساله، وروي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أخرجه البيهقي في الكبرى (١٩/٣) والشعب (٣٨٧/٦: ٣٦٠٣) بلفظ (فأوغل)، وحسن الحديث الألباني في صحيح الجامع (ح: ٢٢٤٦) والأرناؤوط في تعليقه على المسند.



والصالحين قبله، أو الأحبار والرهبان.

وكذا الغلو في أمور الدين المبني على التشدد وليس على التمسك، وبناء الأحكام على التشديد دون التيسير المباح يؤدي إلى انحرافات خطيرة، منها ما وقع فيه الخوارج من تكفير العصاة، ووقوعهم في الغرور، وازدراءهم للمقصرين، أو انقلاّبهم على أعقابهم منتكسين، وذلك مصداق قول النبي ﷺ: «إن هذا الدين يسرٌ ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه»<sup>(١)</sup>. والنبي ﷺ ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، فمن هديه وسنته الوسطية، وليس التشدد والتنطع المفضي للهلاك، كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «هلك المتنطعون»<sup>(٢)</sup>.

#### خامساً: ذم الجفاء:

وقد ورد عن النبي ﷺ في بعض أحاديثه أنه ذم الجفاء وجعله في النار، فعن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (الإيمان، ح: ٣٩).

(٢) رواه مسلم (ح: ٢٦٧٠).

(٣) رواه الترمذي (ح: ٢٠٠٩) والحاكم (١/١١٩) من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ورواه ابن ماجه (ح: ٤١٨٤) =

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العي والحياء شعبتان من الإيمان، والبذاء والجفاء شعبتان من النفاق»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الجفاء - وهو البعد - مذموماً بالطبع كما في قول النبي ﷺ: «من بدا جفا»<sup>(٢)</sup>، كان البعد عن هدي النبي ﷺ باللسان والفعل مذموماً بالشرع من باب أولى.

\*\*\*

- =والبخاري في الأدب المفرد (ح: ١٣١٤) والحاكم (١/ ١١٨-١١٩) من حديث أبي بكرة وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وصححه الألباني في الأدب المفرد.
- (١) رواه الحاكم في مستدركه (١/ ١١٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرطهما (وذكر حديث أبي بكرة السابق).
- (٢) رواه أحمد (٣٠/ ٥٨٤) والرويان في مسنده (رقم ٣٨٣) عن البراء، والطبراني في الأوسط (ح: ٥٦٠) والكبير (١١٠٣٠) عن ابن عباس، وراه أحمد عن أبي هريرة (١٤/ ٤٣٠، ١٥/ ٤٢٧ الرسالة) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٥٥ رقم ٦١٢٣، ٦١٢٤) رواه الترمذي (الفتن: ٢٢٥٦) وأبو داود (الصيد، ح: ٢٨٥٩) بلفظ من سكن البادية.. الخ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٦).



## المبحث الأول

### أهمية ومكانة محبة النبي ﷺ

إن لمحبة النبي ﷺ مكانة عظيمة وهي شرط لركن من أركان التوحيد إذ بها يصح قول (محمد رسول الله) وبهذه الشهادة تصح شهادة لا إله إلا الله، فكانت الشهادتان متلازمتين كما أن محبة الله تستلزم محبة رسوله ﷺ.

قال ابن تيمية رحمه الله: «محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة... فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله ﷻ...»<sup>(١)</sup>.

وحقيقة المحبة التامة ميل القلب بكليته إلى المحبوب: وهذا الميل هو الحامل على طاعته وتعظيمه، وكلما كان الميل أقوى: كانت الطاعة أتم والتعظيم أوفر وهذا الميل يلزم الإيمان بل هو روح الإيمان ولبه، فأى شيء يكون أعلى من

(١) التحفة العراقية لابن تيمية (ص: ٥٢).

أمر يتضمن أن يكون الله سبحانه أحب الأشياء إلى العبد وأولى الأشياء بالتعظيم وأحق الأشياء بالطاعة، وبهذا يجد العبد حلاوة الإيمان كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»<sup>(١)</sup>.

فجعل ﷺ وجود حلاوة الإيمان معلقاً بما هو موقف عليه ولا يتم إلا به وهو كونه سبحانه أحب الأشياء إلى العبد هو ورسوله وبالمحبة فيه في الله وبكراهة ضد الإيمان<sup>(٢)</sup>.

فلا بد ههنا من مقامات ثلاث:

الأول: مقام التكميل: وهو أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يكفي فيه أصل الحب ومبتدؤه بل لا بد من غاية الحب وكماله. فيحب الله أعظم مما يحب كل محب لمحبوبه، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وكل ما يحب سواه فإنما يحب لأجله. وهو:

(١) رواه البخاري (ح: ١٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (ح: ٤٣).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٨٣).





المقام الثاني: وهو مقام التفريق: وذلك بأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، فيفرق بين محبة الله وبين ما يحب لأجله وبين ما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأشخاص وبين ما يبغضه الله سبحانه ويكرهه.

المقام الثالث: مقام دفع الضد: وذلك بأن يكره ما يضاد الإيمان، كما يكره أن يلتقى في النار<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان (ص: ١١٧).

## المبحث الثاني

### علامات محبة الرسول الأكرم محمد ﷺ

إن لمحبة الرسول ﷺ علامات عدة، منها:

#### ١- محبة رؤيته ﷺ:

من علامة محبة النبي المصطفى ﷺ الشوق لرؤية النبي عليه الصلاة والسلام، ولو كان ذلك بالاستغناء عن الأهل وبذل المال، فقد قال ﷺ: «من أشدَّ أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله» رواه مسلم<sup>(١)</sup> فهذه علامة واضحة على المحبة الصادقة للنبي ﷺ، فرويته مع الإيمان به أعظم من امتن الله بها على الصحابة رضي الله عنهم، فنالوا بذلك شرف الإيمان وشرف الصحبة، فيتمنى المؤمنون لو أنهم حازوا شرف الرؤية كما نال ذلك الصحابة رضي الله عنهم، فليحقن بهم، ولكن عزاؤهم قول النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»<sup>(٢)</sup>. وفضل الله يؤتیه من يشاء.

(١) رواه مسلم (٢١٧٨/٤) حديث (٢٨٣٢).

(٢) رواه البخاري (الأدب، ح: ٦١٦٨، ٦١٦٩) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود، والبخاري (ح: ٦١٧٠) من حديث أبي موسى الأشعري.



## ٢- طاعته واتباعه عليه الصلاة والسلام:

كما في قوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:

٣١] ومحبة الله تستلزم محبة رسوله، فهما متلازمان تلازم الشهادتين، فهذه الآية

صریحة في أن «اتباع نبيه موجب لمحبتة جل وعلا ذلك المتبع، وذلك يدل على أن

طاعة رسوله ﷺ هي عين طاعته تعالى، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى: ﴿مَنْ

يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]» كما أنه «يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة

المحبة الصادقة لله ورسوله ﷺ هي: اتباعه ﷺ، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه

كاذب مفتر؛ إذ لو كان محباً له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب

الطاعة، ومنه قول الشاعر<sup>(١)</sup>:

لو كان حبك صادقا لأطعته \* إن المحب لمن يحب مطيع

وقول ابن أبي ربيعة المخزومي:

ومن لو نهاني عن حبه \* عن الماء عطشان لم أشرب

(١) محمود الوراق رحمه الله، نسبه له: المبرد في الكامل (١/ ٢٣٤) والثعالبي في لباب الآداب

ص ١٨٣، وقد ينسب للشافعي، انظر ديوان الشافعي (ص ٧٤).

وقد أجاد من قال<sup>(١)</sup>:

قالت: وقد سألت عن حال عاشقها \* بالله صفة ولا تنقص ولا تزيد  
فقلت: لو كان رهن الموت من ظمأ \* وقلت قف عن ورود الماء لم يرد<sup>(٢)</sup>  
ومن الاتباع المذكور في هذه الآية: التزام السنة ونبد البدعة: إذ يقول ﷺ:  
«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم  
ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ في النهي عن الإحداث في  
الدين: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(٤)</sup> متفق عليه. وفي رواية  
لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي: مردود غير متقبل، لأنه  
ليس من الدين.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

(١) بنحوه نسبه ابن النجار في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١١٥-١١٦) لأبي المطاع ذي  
القرنين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بوجيه الدولة ت ٤٢٨هـ، ونسبه الثعالبي  
في يتيمة الدهر (١/٤٩٨) لابن طباطبا العلوي، ت ٣٤٥هـ وانظر: وفيات الأعيان  
لابن خلكان (١/١٢٩-١٣٠).

(٢) أضواء البيان: (١/٢٧٨).

(٣) رواه أبو داود (ح ٤٦٠٧) والترمذي (ح ٢٦٧٦) وابن ماجه (ح ٤٢).

(٤) رواه البخاري في الصلح (ح ٢٦٩٧) ومسلم في الأقضية (ح ١٧١٨).



الْخَسِيرِينَ ﴿[آل عمران: ٨٥] فَأَيُّ دِينٍ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ لَا يَقْبَلُ، كَمَا أَنَّ أَيَّ شَرِعةٍ أَحْدَثَتْ فِي الدِّينِ وَلَيْسَتْ مِنْهُ لَا تَقْبَلُ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا شَرَعَ، لِأَنَّ التَّشْرِيعَ حَقُّ اللَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاتُؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ صَالِحاً وَالصَّالِحُ هُوَ الْمَوْافِقُ لَشَرَعِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] مَعَ شَرْطِ الْإِخْلَاصِ بِنَوْعِيهِ: الْإِخْلَاصُ الْعَامُّ وَذَلِكَ بِنَبْذِ الشَّرِكِ وَالدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْإِخْلَاصُ الْخَاصُّ فِي الْعِبَادَةِ الْمَعِينَةِ الْخَاصَّةِ، وَذَلِكَ بِتَجَنُّبِ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ وَمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَبْطُلَ هَذِهِ الْعِبَادَةُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فَجَعَلَ الْإِيمَانَ قِيداً فِي ذَلِكَ. ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣].

### ٣- الصلاة عليه ﷺ:

مِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَسُولِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ كَلِمَا ذَكَرَ، كَمَا

في قول رسول الله ﷺ: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليّ»<sup>(١)</sup>، وكذلك كثرة الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة تنفيذاً لأمر الحبيب لمحبيه «أكثرُوا الصلاة عليّ في يوم الجمعة؛ فإنه ليس يصلي عليّ أحدٌ يوم الجمعة إلا عُرضت عليّ صلاته»<sup>(٢)</sup>، وفي حديث آخر: «أكثرُوا الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرًا»<sup>(٣)</sup>.

#### ٤- النصيحة لرسوله ﷺ:

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال فيما رواه عنه تميم الداري (رضي الله عنه): «الدين النصيحة» قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(٤)</sup>.

قال الخطابي: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له

- (١) رواه الترمذي (٣٥٤٦) حسن صحيح غريب والنسائي في الكبرى (٨٠٤٦، ٩٨٠٠، ٩٨٠١) وغيرهم، وصححه الألباني، صحيح الجامع (٢٨٧٨).
- (٢) رواه الحاكم في مستدركه (٤٥٧/٢) وقال صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٨) والسلسلة الصحيحة (١٥٢٧).
- (٣) رواه البيهقي في الكبرى من حديث أنس (٢٤٩/٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٩).
- (٤) رواه مسلم (١/٧٤: ٥٥).



وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها<sup>(١)</sup>، كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب أجمع خير الدنيا والآخرة منه<sup>(٢)</sup>، ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله: الحج عرفة، أي عماده ومعظمه عرفة انتهى. قال النووي: «أما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاذة من عاداه وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفى التهمة عنها، واستثارة علومها والتفقه في معانيها، والدعاء إليها والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) معالم السنن للخطابي (٥/٢٣٣ بحاشية سنن أبي داود).

(٢) قيل: النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه، إذا خاطه، فشبها فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب، وقيل: إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبها تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط، وانظر: معالم السنن (٥/٢٣٣ بحاشية سنن أبي داود) وشرح مسلم للمازري: (١/٦٢).

(٣) شرح النووي (٢/٣٧-٣٨).

٥- إيثار شرعه ﷺ على نفسه وعياله ومتاع الدنيا كلها:

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فلم يرض منهم أن يكون حبهم لله ورسوله كحب الأهل والمال وأن يكون حب الجهاد في سبيله كحب الأهل والمال، بل حتى يكون الجهاد في سبيله الذي هو تمام حبه وحب رسوله أحب إليهم من الأهل والمال فهذا يقتضي أن يكون حبهم لله ورسوله مقدما على كل محبة ليس عندهم شيء يحبونه كحب الله بخلاف المشركين<sup>(١)</sup>.

بل إنه ﷺ علق صحة الإيمان على صحة محبة رسول الله ﷺ وذلك بأن تكون مقدمة على محبة جميع الخلائق، فقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الاستقامة (١/ ٢٦٣).

(٢) رواه البخاري (ح ١٥) ومسلم (ح ٤٤) من حديث أنس، ورواه البخاري (ح: ١٤) من حديث أبي هريرة.





## ٦- تحكيم شرعه:

جعل الله ﷻ تحكيم شرعه والرجوع إلى سنة نبيه ﷺ آية واضحة ودلالة بينة على صدق محبته ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فجعل الله سبحانه أمره وأمر رسوله مانعاً من الاختيار، موجباً للامتثال<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك «ألا يجعل لنفسه حكماً مع الله فيما حكم به، فلا يتصدى للتحكم في قبول بعض ما أمر الله به ونبذ البعض. كما حكى الله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ۖ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾ [النور: ٤٨-٤٩].

وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]<sup>(٢)</sup>.

(١) أضواء البيان (٤/ ٥٠٥-٥٠٦).

(٢) التحرير والتنوير (٣/ ٢٠٤).

## ٧- الجهاد في سبيل الله<sup>(١)</sup>:

من علامة محبة رسول الله ﷺ الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك لأن حقيقة الجهاد بذل الجهد في حصول ما يحبه الله ورسوله ﷺ من الإيمان والعمل الصالح، ودفع ما يبغضه الله ورسوله من الكفر والفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ﴾ [التوبة: ٢٤] فقد جعل الله تعالى الجهاد في سبيله علامة واضحة على صحة محبة الله ومحبة رسوله ﷺ.

وحقيقة محبته ﷺ ورسوله ﷺ لا تتم إلا بموالاته، وهي موافقته فيما يحب ويكره، فيحب العبد ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص: ١١٨، ومحبة الله ورسوله، د. غسان

عبد الرحمن، ص ٣٠٩ وما بعدها.



والمحبة هي التي تحرك إرادة القلب، وكلما قويت طلب القلب فعل  
محبوباته، وكلما ضعفت الإرادة ضعف طلب القلب للمحجوب، فدل على  
ضعف المحبة في القلب..

\*\*\*

### المبحث الثالث

#### سد النبي ﷺ ذرائع الغلو في شخصه

لقد سدَّ النبي ﷺ ذرائع الغلو في شخصه الكريم، وحسبي في هذا المختصر أن أشير إشارات سريعة إلى ذلك:

#### ١- النهي عن المبالغة والتجاوز في مدحه ﷺ:

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»<sup>(١)</sup> والإطراء هو الغلو في المدح، أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى ابن مريم فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله ورسوله فصفوني بما وصفني به ربي ولا تزيدوا على ذلك، وقولوا: عبد الله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الرَّسُولُ﴾، وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ﴾.

(١) رواه البخاري (ح ٣٤٤٥) وقد تقدم.



فأبى الضلال إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، فعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وشابهوا النصارى في غلوهم وشركهم، وجرى منهم من الغلو في حقه ﷺ بما هو صريح الشرك في نثرهم وشعرهم، كقول البوصيري في «البردة» يخاطب النبي ﷺ:

يا أكرم الخلق ما لي من ألؤذبه \* سواك عند حلول الحادث العمم  
وما بعده من الأبيات التي مضمونها توجيه الدعاء والعياذ واللياذ إلى الرسول ﷺ وطلب تفريج الكربات منه في أضيق الحالات وأشد الصعوبات، ونسي الله ﷻ!!<sup>(١)</sup>.

## ٢- تحذيره من اتخاذ قبره عيداً ومسجداً:

نهى رسول الله ﷺ أصحابه وحذر أمته من أن يتخذوا قبره مسجداً أو عيداً وذلك لما في ذلك من وسيلة للغلو فيه والوقوع بالشرك الذي بُعث محمد ﷺ لاجتثاثه من هذه الأرض، ولهذا قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٢)</sup>.

وفي السنن أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد - للعلامة الفوزان (ص ٣٩).

(٢) رواه مالك في الموطأ (١/ ١٧٢ ح ٨٩) وهو من مراسيل عطاء بن يسار.

عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»<sup>(١)</sup>. وقد التزم الصحابة ذلك ووفوا بما عهد به رسول الله إليهم، ففي الصحيح أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا؛ قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره لكن خشي أن يتخذ مسجداً<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: «ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر رسول الله ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها وجعلوها محدة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة، إذ كان مستقبلاً المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره، ولهذا الذي ذكرناه كله قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره». اهـ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (ح: ٧٢٢٦)، ورواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٧١، ٥٧٧) من حديث الحسن بن علي أنه رأى أناساً عند القبر فنهاهم وقال الحديث، نحوه. وكذا رواه غيره، انظر فتح المجيد (ص ٢٩٠-٢٩٢) حيث ذكر شواهد، وجود إسناده ونقل عن ابن عبد الهادي وابن تيمية تقويتها لهذا الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (الجنائز: ح: ١٣٣٠) ومسلم (٣٧٦/١: ح: ٥٢٩).

(٣) المفهم في شرح مختصر مسلم للقرطبي: (١٢٨/٢).



## ٣- منعه من السجود أو القيام له:

كان رسول الله ﷺ شديد الحذر والتحذير من كل ما من شأنه أنه يخل بالتوحيد، ومن ذلك تعظيم الأشخاص ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها ولو كان ذلك مع رسول الله، فهذا معاذ بن جبل رجع من الشام فوجد النصراني من أهل الشام يعظمون بطارتهم وأساقفتهم بالسجود، فأحب أن يعظم رسول الله ﷺ بهذا الأمر فما كان منه إلا أن سجد للنبي، وفي رواية: قال للنبي أفلا نسجد لك؟ فنهاه رسول الله عن ذلك، فعن معاذ بن جبل، قال: قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارتهم، فوقع في نفسي أن نفعل هذا بالنبي ﷺ، فقدمت المدينة فسجدت له فقال: «ما هذا يا معاذ؟» قلت: يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارتهم فوقع في نفسي أن نفعل هذا بالنبي ﷺ فقال: «لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق الله تعالى عليها حتى تؤدي حق زوجها»<sup>(١)</sup>.

وعن قيس بن سعد قال: «قدمت الحيرة فرأيت أهلها يسجدون لمرزبان لهم

(١) رواه أحمد (١٤٥/٣٢) و(٣٦/٣١٢- الرسالة) والبيهقي (٧/٢٩٢) وصححه الألباني في

صحيح الجامع (٥٢٩٤).

فقلت نحن كنا أحق أن نسجد لرسول الله ﷺ فلما قدمت عليه أخبرته بالذي رأيت، قلت نحن كنا أحق أن نسجد لك فقال لا تفعلوا رأيتم لو مررت بقبري أكنت ساجداً؟ قلت: لا، قال: فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله من حقهن عليهن<sup>(١)</sup>.

بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع الناس تكبيره فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً، فلما سلم قال: «إن كدتم أنفساً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم إن صلي قائماً فصلوا قياماً وإن صلي قاعداً فصلوا قعوداً»<sup>(٢)</sup>، وقال: «من سره أن يمثُل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو داود (ح: ٢١٤٠) والحاكم (٢/ ٢٠٤) وصححه ووافقه الذهبي ورواه البيهقي (٧/ ٢٩١) وصححه الألباني ما عدا جملة القبر، وله عدة شواهد، وانظر: صحيح الجامع الصغير ٥٢٩٤، ٥٢٩٥.

(٢) رواه مسلم (ح: ٤١٣).

(٣) رواه الترمذي (ح: ٢٧٥٥) وحسنه، ورواه أحمد (٢٨/ ١٢١، ٤٠ - الرسالة) والبخاري في الأدب المفرد (ح: ٩٧٧) وغيرهم من حديث معاوية، وفي الباب عن أنس وأبي أمامة، وصححه الألباني في تعليقه على الأدب المفرد، والأرناؤوط في تعليقه على المسند.





## ٤- ومن صور سدّ النبي ﷺ ذرائع الغلو:

إنكاره على تلك الجارية التي كانت تغني يوم عرس أشعار الآباء والأجداد، فقالت بعدها: وفينا نبي يعلم ما في غدٍ. فما كان من النبي ﷺ إلا أن أنكر على هذه الجارية التي قالت ذلك حبا للنبي ﷺ.

عن الربيع بنت معوذ قالت: دخل علي النبي ﷺ غداة بنى عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين»<sup>(١)</sup> وفي لفظ الترمذي: «اسكتي، والنسائي: أمسكي، عن هذا وقولي الذي كنت تقولين قبلها».

وعن عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ: «كَانَ النِّسَاءُ إِذَا تَزَوَّجَتِ الْمَرْأَةُ أَوْ الرَّجُلُ خَرَجَ جَوَارٍ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ يُغَنِّينَ وَيَلْعَبْنَ قَالَتْ فَمَرُّوا فِي مَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ يُغَنِّينَ وَهُمْ يَقُلْنَ أَهْدَى لَهَا زَوْجَهَا أَكْبَشَ تُحْبِبُحْنَ فِي الْمُرْبِدِ وَزَوْجَهَا فِي النَّادِي يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ إِلَيْهِنَّ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ لَا تَقُولُوا هَكَذَا وَقُولُوا أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ

(١) رواه البخاري (ح: ٤٠٠١، ٥١٤٧).

فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ<sup>(١)</sup>.

وليس هذا من باب التواضع كما يظن بعض الناس الجهلة بل هو من باب التبعّد لله تعالى والنهي عن المنكر وسدّ الذريعة الموصلة للشرك كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن مسروق قال: «قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمّاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت لقد وقف شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟ من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾... الآية [المائدة: ٦٧].

(١) قال البيهقي (٢٨٩/٧): هَذَا مُرْسَلٌ جَيِّدٌ. انتهى ورواه متصلاً: (٢٨٩/٧) والحاكم مختصراً

نحوه، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. (٢/٢٠١).

(٢) رواه البخاري (ح: ١٠٣٩، ٤٦٢٧، ٤٦٩٧، ٤٧٧٨، ٧٣٧٩).



ولكنه رأى جبريل ﷺ في صورته مرتين<sup>(١)</sup>.

فدلت هذه الأحاديث على أن ادعاء علم الغيب من القول على الله بلا علم ومن افتراء الكذب الذي لا يرضاه الله سبحانه ولا رسوله ﷺ.

٥- نهيه ﷺ عن تفخيمه بالألفاظ وإن كان يستحقها:

ومن ذلك لفظ سيدنا، حيث نهى عن ذلك سداً للذريعة ومنعاً للوقوع في المدح الزائد وخاصة في وجه الممدوح «وارتكاب ما نهى عنه ﷺ من الإفراط في مدحه وترك متابعتة في أقواله وأفعاله، وعدم الرضى بحكمه هو التنقص الحقيقي له ﷺ، فلا يحصل تعظيمه ولا تتحقق محبته إلا باتباعه ونصرة دينه وسنته»<sup>(٢)</sup>.

وفي سنن أبي داود من حديث أبي نضرة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال قال أبي: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا، فقال: السيد الله، قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان»<sup>(٣)</sup>، وفي المسند من حديث قتادة قال:

(١) رواه البخاري (ح: ٤٨٥٥).

(٢) الإرشاد (ص: ٣٩).

(٣) سنن أبي داود (الأدب ٤٨٠٦).

«سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّحِيرِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ فُرَيْشٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: السَّيِّدُ اللَّهُ، قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلًا وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلَا يَسْتَحِرَّهُ الشَّيْطَانُ»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله: ففي هذا الحديث منع ﷺ هؤلاء أن يقولوا له: أنت سيدنا، وقال: «السيد الله تبارك وتعالى»، ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً! وذلك لأنه خشي عليهم الغلو، وكره أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو، وقال: «لا يستجربنكم الشيطان»؛ أي: يتخذكم جرياً له، والجري الرسول والوكيل، فبين بهذا أن مواجهة المادح للممدوح بالمدح - ولو بما فيه - أنه من عمل الشيطان؛ لأن ذلك يسبب تعاضم الممدوح، وذلك مما ينافي كمال التوحيد؛ كما أنه قد يسبب غلو المادح حتى ينزّل الممدوح منزلة لا يستحقها<sup>(٢)</sup>. انتهى.

قلت: إذا قيد لفظ السيادة بالإضافة جاز ذلك، فيقال: «سيد المرسلين»،

(١) مسند أحمد (٢٦/ ٢٣٥، ٢٣٧) وصححه الأرنؤووط على شرط مسلم في تعليقه على

المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٢) الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد (ص ٤٠).



و«سيد بني آدم»، و«سيد الأنصار» كما في قوله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»<sup>(١)</sup>، وقد جاء في الحديث عند أبي داود من قوله ﷺ: «السيد الله»، أي على وجه الكمال والإطلاق مراداً به العَلَمِيَّة ودالاً على الوصفية، مسنداً إليه المعنى محمولاً عليه، ودخلت عليه (أل) التعريف، فهي السيادة المطلقة التي تتضمن كل أوجه الكمال والجمال، فالسيد إطلاقاً هو رب العزة والجلال، ولم ينف ﷺ السيادة المقيدة التي تليق بال مخلوق، أو السيادة النسبية التي تتضمن المفاضلة والتفوق على الآخرين.

قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد ما نصه<sup>(٢)</sup>: «اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله». وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم»<sup>(٣)</sup> وهذا أصح من الحديث الأول. وقال في تحفة المودود<sup>(٤)</sup>: ولا ينافي هذا قوله أنا سيد ولد آدم فإن هذا إخبار منه عما أعطاه الله من

(١) رواه البخاري (الجهاد، رقم: ٣٠٤٣) وفي كتب أخرى، ومسلم (الجهاد، رقم ١٧٦٨) من

حديث أبي سعيد الخدري رحمه الله.

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٧٢٩).

(٣) تقدم في الحاشية السابقة.

(٤) تحفة المودود (ص ١١٤).

سيادة النوع الإنساني وفضله وشرفه عليهم وأما وصف الرب تعالى بأنه السيد  
فذلك وصف لربه على الإطلاق.

قَالَ الْحَلِيمِيُّ فِي اسْمِهِ تَعَالَى السَّيِّدُ: وَمَعْنَاهُ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالْإِطْلَاقِ، فَإِنَّ سَيِّدَ  
النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ رَأْسُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، وَيَأْمُرُهُ يَعْملُونَ، وَعَنْ رَأْيِهِ يَصْدُرُونَ  
وَمَنْ قَوْلِهِ يَسْتَهْدُونَ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ خُلُقًا لِلْبَارِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ  
وَلَمْ يَكُنْ بِهِمْ غَنِيَّةٌ عَنْهُ فِي بَدْءِ أَمْرِهِمْ وَهُوَ الْوُجُودُ، إِذْ لَوْ لَمْ يَوْجِدْهُمْ لَمْ يَوْجِدُوا،  
وَلَا فِي الْإِبْقَاءِ بَعْدَ الْإِيجَادِ، وَلَا فِي الْعَوَارِضِ الْعَارِضَةِ أَثْنَاءَ الْبَقَاءِ، كَانَ حَقًّا لَهُ  
جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَكُونَ سَيِّدًا، وَكَانَ حَقًّا عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعُوهُ بِهَذَا الْأَسْمِ. انتهى<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٣٩).



## المبحث الرابع

### سدُّ النبي ﷺ ذرائع الجفاء

- كما أن النبي ﷺ كان يحرص على عدم وقوع أصحابه في الغلو فيه، كان في الوقت نفسه يحذر أصحابه وغيرهم من الوقوع في الجفاء في حقه ﷺ، سواء كان ذلك من التقصير في محبته الواجبة أو الوقوع في بعض الأمور التي يظهر منها تنقيص قدره وحقه:

١- من ذلك أنه ﷺ نبّه على أنه لا يكون إيمان إلا بمحبته، كما في قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» وقد تقدم الكلام على أهمية محبته ﷺ.

٢- ومن ذلك أنه لا يكون إيمان إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كما تقدم في الحديث «وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» «وكان النبي ﷺ آخِذاً بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْآنَ يَا عُمَرُ»<sup>(١)</sup>. فحذر النبي ﷺ من الوقوع في التقصير

(١) رواه البخاري (ح: ٦٦٣٢).

في محبته وأنه لا يتم إيمان عبد حتى تكون محبة رسول الله مقدمة على كل محاب الدنيا حتى من محبة النفس والوالد والولد.

وهكذا نجد أن النبي ﷺ سدّ على عمر وسائر الصحابة باب القصور في محبته، وأرشدهم إلى أعلى مقامات المحبة، لئلا يقعوا فيما يحبط أعمالهم. نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يرقى بمحبته أعلى الدرجات، وينال بها رضوان الله الأكبر.

٣- ومن سبل سدّ الذريعة المفضية إلى الجفاء: تنبيهه ﷺ وتحذيره أمته من عدم الصلاة عليه حين ذكره، حيث قال ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ»<sup>(١)</sup> وذلك لأن إهمال الصلاة عليه يؤدي إلى عدم نماء حبه في القلب، وهذا الأمر يؤدي إلى الجفاء؛ لذلك حذر منه النبي ﷺ.

٤- ومن سبل سدّ الوسائل المفضية للجفاء: إنكاره ﷺ على من غمز ببعض أفعاله وأحكامه، وتأنيبه إياهم حتى لا يقع في مثل هذا أحد مرة أخرى، ولكي يحذر المسلمون بعد ذلك من صفات هؤلاء الناس الذين يعيبون على رسول الله ﷺ أحكامه، فلا يقعوا بالجفاء المؤدي لسخط الله تعالى؛ فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُتَيْنِ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٦) حسن صحيح غريب والنسائي في الكبرى (٨٠٤٦، ٩٨٠٠، ٩٨٠١) وغيرهم، وصححه الألباني، صحيح الجامع (٢٨٧٨).





الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةً مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عَدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَيْنَاهُ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ [ثم قال: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ قُلْتُ لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا فَقَالَ دُو الْحُوَيْصِرَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، قَالَ وَبِكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَلَأَضْرِبَ عُقْقَهُ، قَالَ لَا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَمُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَنَدِي الْمِرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ تَدْرُدُرُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ

(١) رواه البخاري (ح: ٣١٥٠، وغيرها) ومسلم (١٤٠-١٠٦٢) وما بين المعقوفتين من

ﷺ وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قَاتَلَهُمْ فَالْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ فَأُتِيَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ  
الَّذِي نَعَتَ النَّبِيَّ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

ولما بلغ النبي ﷺ عن الأنصار شيء من الاستغراب لما حصل يوم حنين  
من توزيع الغنائم وعدم إصابتهم بشيء من ذلك: عاتبهم عتاب المحيين الخائف  
عليهم زلة ترددهم أو عيباً يشينهم، فعن أنس بن مالك قال: لما كان يوم الفتح<sup>(٢)</sup>  
وغدت قريش قالت الأنصار: والله إن هذا لعجب إن سيوفنا تقطر من دماء  
قريش وإن غنائمنا تقسم بينهم! فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إلى الأنصار  
خاصة فقال: «ما هذا الذي بلغني عنكم؟» قال - وكانوا لا يكذبون - قالوا: هو  
الذي بلغك، قال: «أما ترضون أن يذهب الناس بالغنائم وترجعون برسول الله  
إلى بيوتكم؟» وقال رسول الله ﷺ: «لو سلك الناس وادياً - أو قال شعباً -  
لسلكت شعب الأنصار»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: أي عام فتح مكة لأن الغنائم المشار إليها كانت غنائم حنين، وكان  
ذلك بعد الفتح بشهرين (١٤١/٧).

(٣) رواه البخاري (مناقب الأنصار - باب مناقب الأنصار - ح: ٣٧٧٨) مسلم (الزكاة، ح:



فهذا يدل على أن النبي ﷺ كان حريصاً على أصحابه من أن يصيبهم شيء يؤثر في إيمانهم، فيضعفه أو يزيله، فلم يترك شيئاً يقربهم من الجنة ويبعدهم عن النار إلا أرشدهم ودلهم عليه.

\*\*\*

## المبحث الخامس

### نماذج وصور من أقوال وأفعال المحبين لرسول الله ﷺ

#### ١- نموذج من محبة أبي بكر:

تميز أبو بكر الصديق رضي الله عنه بشدة محبته للنبي ﷺ والمتبع لسيرته ﷺ يجد من ذلك مواقف عظيمة جليلة: من ذلك قصة الهجرة، وحديثها طويل وفداؤه للنبي فيها واضح جلي.

ومن شدة تعلقه بالنبي ﷺ وحبه له تلك الحادثة العجيبة التي استنبط منها الصديق قرب وفاة النبي ﷺ - فبكى بكاء شديداً - ولم يفهم باقي الصحابة ذلك لعدم بلوغهم ما بلغ من العلم والمحبة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله». قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: «إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يَفْقِنُ في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب



أبي بكر<sup>(١)</sup>.

## ٢ - نموذج من مواقف وأقوال عمر في محبة النبي ﷺ:

كان عمر بن الخطاب شديد الحب لرسول الله ﷺ وذلك بشهادة رسول الله ﷺ فقد تقدم أن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْآنَ يَا عُمَرُ»<sup>(٢)</sup>.

وحينما توفي النبي ﷺ اشتد على الفاروق، وحزن حزناً يفوق حزن باقي الصحابة. فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ وَقَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلُهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ

(١) رواه البخاري (ح: ٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤) ومسلم (ح: ٢٣٨٢).

(٢) تقدم.

عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَنْتَى عَلَيْهِ وَقَالَ، أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَظِرُونَ﴾ أَوْ قَتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ...»<sup>(١)</sup>.

ومن مواقفه ﷺ في محبته لرسول الله ﷺ مبادرته للسمع والطاعة والبيعة كما حدث نافع مولى ابن عمر قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ عُمَرُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى فَرَسٍ لَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْتِي بِهِ لِيُقَاتِلَ عَلَيْهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَايِعُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ وَعُمَرُ لَا يَدْرِي بِذَلِكَ فَبَايَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْفَرَسِ فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ وَعُمَرُ يَسْتَلْتُمُ لِلْقِتَالِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَالَ فَاَنْطَلَقَ فَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهِيَ النَّبِيُّ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ»<sup>(٢)</sup>.

وحينما طعن عمر ﷺ استأذن عائشة ﷺ أن يدفن في بيتها مع رسول

(١) رواه البخاري (ح: ٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

(٢) رواه البخاري (ح: ٣٩٥٠).



الله ﷺ، ودفن حيث تمنى بعد إذن عائشة له بذلك<sup>(١)</sup>، وكان ﷺ صاحب رسول الله ﷺ في كثير من حياته حتى شهد له علي بذلك، وما ذاك إلا لشدة محبته للنبي المصطفى ﷺ، كما قال ابن عباس: «وُضِعَ عمرُ على سريرِه فتكَنَّفَه الناسُ يدعون ويصلون قبل أن يُرْفَعَ وأنا فيهم فلم يُرْعني إلا رجل أخذ منكبي فإذا علي بن أبي طالب فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحبَّ إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول ذهبنا أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- نماذج من محبة عثمان رضي الله عنه :

وهذا ثالث الخلفاء الراشدين كانت محبته ظاهرة واضحة في مواقف كثيرة من حياته فمن ذلك: أنه كان مندوب رسول الله ﷺ لقريش عام الحديبية بعدما عرض ذلك على عمر فقال له: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بها من بنى عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها،

(١) روى القصة كاملة البخاري في صحيحه (فضائل الصحابة ج: ٣٧٠٠) وانظر مناقب أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٢١٩-٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (فضائل اصحاب النبي ﷺ ج: ٣٦٧٧، ٣٦٨٥).

ولكن أدلك على رجل هو أعز مني: عثمان بن عفان، قال فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فخرج عثمان حتى أتى مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردف خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماً قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: «إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ قال فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل..»<sup>(١)</sup>. فلشدة حبه لرسول الله ﷺ وتعظيمه له رفض أن يطوف بالبيت - مع أن ذلك مئى كل مسلم - حتى يطوف به رسول الله ﷺ.

ولشدة محبته لله ولرسوله وللجنة لبي نداء رسول الله ﷺ حينما قال: «من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير منها في الجنة»، قال عثمان فاشتريتها من صلب مالي<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن إسحاق (٤٢٦/٣-٤٣٧) رواه أحمد (٣٢٤/٤) والبيهقي في الكبرى (٢٢٩/٩) وحسن إسناده الأرنؤوط في تعليقه على المسند. وانظر السيرة النبوية للدكتور مهدي رزق الله أحمد (ص ٤٨٦).

(٢) رواه البخاري تعليقاً (الوصايا، ح: ٢٧٧٨) وأحمد في المسند (١/٥٥٨-٥٥٩) وحسن =





«من جهز جيش العسرة فله الجنة»، فلما سمع عثمان ذلك وكان رجلاً موسراً جهزه، فجاء وهو يحمل ألف دينار فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل ﷺ يقلبها بيده ويقول: «ما ضرَّ ابن عفان ما فعل بعد اليوم» يرددها مراراً<sup>(١)</sup>.

#### ٤- علي بن أبي طالب عليه السلام:

وعلي كسائر الخلفاء وكبار الصحابة من حيث تميزه في حب النبي ﷺ وليس أدل على ذلك مما ورد عنه عليه السلام أنه فدى النبي ﷺ يوم الهجرة حيث مكث في فراشه، والقصة مشهورة ومعروفة<sup>(٢)</sup>.

---

=إسناده الأرنؤوط على المسند، ورواه الترمذي في السنن (٥/ ٥٨٥-٥٨٦ ح: ٣٧٠٣، ونحوه ٣٦٩٩) وحسنه واللفظ له ورواه النسائي في المجتبى (٦/ ح: ٣٦٠٨-٣٦١١) وفي الكبرى (٤/ ح: ٤٣٧٦، ٦/ ح: ٦٤٠٠-٦٤٠٣).

(١) رواه أحمد في المسند (٢٣٢/ ٣٤) والترمذي (٣٧٠١) وقال حسن غريب من هذا الوجه، والحاكم في المستدرک (٣/ ١١٠) وصححه ووافقه الذهبي في تلخيصه. وحسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند، وله شاهد عند أحمد (٢٧/ ٢٤٧) من حديث عبد الرحمن بن خباب السلمي.

(٢) انظر: المسند لأحمد (٥/ ٣٠١) ومصنف عبد الرزاق: (٥/ ٣٨٤) حسنه ابن كثير في السيرة النبوية (٣/ ١٨١-البداية والنهاية) وابن حجر في الفتح (٧/ ٢٩٥) وانظر عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٢٩٣) وأسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب للصلاحي (ص ٤٦) والسيرة النبوية في فتح الباري للدكتور الجكني (١/ ٢٧٧-٢٧٨).

وإذا كان علي رضي الله عنه قد فدى رسول الله ﷺ بنفسه في وقت الهجرة، فإنه كذلك قد رفض أن يمسح كلمة محمد رسول الله ولو بقلمه، كما ثبت ذلك في الصحيح في حادثة صلح الحديبية، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لَا تَكْتُبْ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ تُقَاتِلْكَ فَقَالَ لِعَلِيِّ أَنَّهُ فَقَالَ عَلِيُّ مَا أَنَا بِالَّذِي أَحْمَاهُ، فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ.. الحديث»<sup>(١)</sup>.

وقد شهد له رسول الله ﷺ بحبه لله ولرسوله وذلك يوم خيبر حيث قال: «لَأَعْطِينَ الرَايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية على الشك «يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ».

هذه نماذج يسيرة من محبة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ، وكانت محبتهم مُتَزِنَةً وسطاً بلا إفراط ولا تفريط، كما رباهم النبي ﷺ.

\*\*\*

(١) رواه البخاري (الصلح، ح: ٢٦٩٩) ومسلم (ح: ١٧٨٣).

(٢) رواه البخاري (ح: ٣٧٠١).



## الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمما تقدم تبين لنا أن محبة رسول الله من محبة الله فهي واجبة بل ركن أساس من أركان التوحيد، وأنه لا يكون إيمان إلا بمحبته ﷺ، وأن هذه المحبة تزداد وتنمو إلى ما شاء الله، وأنه ينبغي أن تكون فوق محبة كل شيء، وأن الناس في محبة رسول الله ﷺ أنواع ثلاثة: غالٍ وجافٍ ووسط، فمن الغلو فيه عليه الصلاة والسلام مدحه مدحاً زائداً يرفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، وكذا وصفه ببعض أوصاف الربوبية أو الألوهية، كدعوى أنه يعلم الغيب أو أنه بيده الرزق وأنه يكشف الكُرب، وغير ذلك.

ومن الجفاء عدم اتباعه وطاعته وتعظيمه، وعدم الرضا بما قسم، ومما يدل على عدم حبه أيضاً عدم الصلاة عليه.

وقد سدَّ ﷺ كل السبل المؤدية للغلو فيه وجعله فوق منزلته، وكذا منع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التساهل في محبته، وعدم الرضا بحكمه.

فمحبتة الحقيقية الصحيحة لا إفراط فيها ولا تفريط فهي بين الغلو والجفاء.

وتقدم أثناء هذا البحث المختصر بعض نماذج من كلام ومواقف الخلفاء الأربعة في رسول الله ﷺ، تبين من خلالها: شدة محبتهم له، وتضحيتهم في الدفاع عن شخصه الكريم وعن سنته وشريعته. فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

### التوصيات:

وقبل الختام: أودّ أن أجعل بين أيديكم بعض التوصيات المتعلقة بهذا المؤتمر المبارك:

١- الاهتمام بدور المساجد في إنشاء جيل محافظ صلب في دينه يستطيع ردّ شبه المغرضين والمعادنين، لأن المساجد إذا تخلت عن دورها في التعليم والتربية والتأسيس فالنشء سوف تربيهم الفضائيات وتغسل أدمغتهم فينقلبون علينا بدل أن يكونوا سياجاً واقياً لهذا الدين.

٢- اعتماد منهجية خاصة في تعليم الروضات ثم المرحلة الابتدائية فالإعدادية فما بعدها تشمل معرفة كل الجوانب المتعلقة بالنبي ﷺ، ومن ذلك ردّ الشبهات حول بعض الأمور المثارة حوله، وهذه المنهجية لا بدّ أن تنظم



وتعتمد من قبل أصحاب المسؤولية الأولى وهم القائمون على وزارات التعليم في العالم الإسلامي.

٣- اعتماد منهجية في إعداد الأطفال عبر الفضائيات المتخصصة بهم، يتعلم من خلالها الطفل حب النبي ﷺ وأصحابه، باعتماد أساليب متنوعة تقترحها فئة متخصصة بالأعلام المتخصص بالأطفال، ثم بمرحلة الشباب وهكذا، بدل أن تكتفي الفضائيات بالتعريب دون الإنتاج وبالخرافات دون الحقائق.

٤- إنشاء فضائيات الأطفال والناشئة بشتى اللغات العالمية وخصوصاً الفارسية والأوردية وسائر اللغات الأوربية تبرز فيها المنهجية المعتمدة في الفضائيات الإسلامية باللغة العربية.

٥- التشجيع على كتابة بحوث في جوانب متعلقة بالنبي ﷺ ودين الإسلام تخدم عموم الناس وإعطاء جوائز قيمة للكتاب، وترجم هذه البحوث بعد تحكيمها إلى أهم اللغات العالمية، بل إلى اللغات التي يحصل في أهلها هذا اللغظ.

٦- توجيه بعض المخرجين والكتاب ممن لهم حب وتعظيم للإسلام إلى إنتاج موادّ تخدم هذه الفكرة، حيث إن تعلق الناس بالمشاهدة أكثر من تعلقهم بالسماع.

٧- استكتاب شريحة كبيرة من أهل العلم والفضل باستقراء سيرة النبي ﷺ الصحيحة والكتاب والسنة واستخراج الوسائل والأساليب والأمثلة التي كان يستخدمها الرسول ﷺ في تفهيم أصحابه، وفي الدعوة إلى الله تعالى، ولا يظن أن الكتب المصنفة في الدعوة تكفي لسد هذه الثغرة فهناك أمور كثير يغفل عنها الكتاب لأن الكتاب عموماً يقلد بعضهم بعضاً ويمشي بعضهم على خطى بعض.

٨- استكتاب الروائيين الإسلاميين بإبراز الجوانب السابقة في الروايات الأدبية المقروءة.

وبعد: فهذه نقاط رئيسة يبرز من خلالها الاهتمام بالنبي الأمي محمد ﷺ، وهناك جوانب أخرى كثيرة، نسأل الله أن يأخذ بأيدينا ويوفقنا لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

\*\*\*



## قائمة المراجع

- (١) القرآن الكريم - كلام الله المنزل على قلب سيد المرسلين محمد ﷺ.
- (٢) الأدب المفرد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تخريج وتعليق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط ١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.
- (٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، العلامة صالح بن فوزان الفوزان.
- (٤) الاستقامة - الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.
- (٥) الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥، ١٩٨٤ م.
- (٦) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (شخصيته وعصره)، تأليف الدكتور علي بن محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط ١، ١٤٢٥، ٢٠٠٤ م.
- (٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت لبنان.
- (٨) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- (٩) بدائع الفوائد، الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ - ١٩٩٦.
- (١٠) التحرير والتنوير - للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- (١١) التحفة العراقية في أعمال القلوب، - الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق سليمان الحرش، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٧، ١٩٨٧ م.
- (١٢) تحفة المودود في أحكام المولود، الإمام محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ت ٧٥١، ط١، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، دار ابن حزم، بيروت لبنان.
- (١٣) تفسير القرآن العظيم - الإمام أبو الفداء ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (١٤) تهذيب اللغة - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ت ٣٧٠ هـ تحقيق عبد الكريم العزباوي، ومحمد علي النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة.
- (١٥) الجامع الصحيح - الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- (١٦) الجامع الصحيح (مع فتح الباري) - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام الرياض، ط١، ١٤٢١، ٢٠٠٠ م.





- (١٧) الجامع لشعب الإيمان: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية بالهند، إصدار إدارة الشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف في قطر، ١٤٢٩-٢٠٠٨م
- (١٨) ديوان الإمام الشافعي، جمع وشرح: الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ٥، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (١٩) السنن: الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عزت عبيد دعاس، وآخر، دار الحديث، بيروت، لبنان، ط ١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م
- (٢٠) السنن: الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي - مع حاشية الإمام السيوطي، تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة/ بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (٢١) السنن: الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
- (٢٢) السنن الكبرى: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة بيروت.
- (٢٣) السنن الكبرى: الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وفريقه، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (٢٤) السنن: الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد شاکر (الأول والثاني) وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (الثالث) وتحقيق كمال يوسف الحوت (الرابع والخامس)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- (٢٥) السيرة النبوية، (مع البداية والنهاية) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، مكتبة المعارف - بيروت.
- (٢٦) السيرة النبوية، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥، ١٩٥٥ م.
- (٢٧) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- (٢٨) السيرة النبوية في فتح الباري، جمع الدكتور محمد الأمين بن محمد محمود الجكني، طبع على نفقة مريم الدوسري حرم سعد عبد العزيز الراشد - الكويت، ط٣، ١٤١٨ هـ.
- (٢٩) شرح الأربعين النووية، للعلامة محمد بن صالح ابن عثيمين، إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دارالثريا، ط١، ١٤٢٤، ٢٠٠٣ م.
- (٣٠) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي أبو زكريا يحيى شرف، المطبعة المصرية، بالأزهر، ط١، ١٣٤٧ هـ.
- (٣١) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت٣٩٣، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، ود. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٣٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، الكتب الإسلامي.



- (٣٣) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، أبو الفتح محمد ابن سيد الناس اليعمري، ت ٧٣٤هـ حققه د. محمد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة النبوية، دار ابن كثير، بيروت - دمشق. ط ١ / ١٤١٣، ١٩٩٢.
- (٣٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام الرياض، ط ١، ١٤٢١، ٢٠٠٠م.
- (٣٥) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، للعلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ت ١٢٨٥، تحقيق: الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- (٣٦) القاموس المحيط - للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - ت ٨١٧، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧، ١٩٨٧م.
- (٣٧) الكامل في اللغة والأدب - أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، ت ٢٨٥هـ - مؤسسة المعارف، بيروت.
- (٣٨) لباب الآداب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ط ١، تحقيق: أحمد حسن ليج.
- (٣٩) لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري المصري، دار صادر.

- (٤٠) محبة الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة، الدكتور غسان عبد الرحمن، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م بيروت.
- (٤١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- (٤٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، - د. إبراهيم بن محمد البريكان. دار السنة للنشر، الخبر - السعودية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- (٤٣) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- (٤٤) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد - للحافظ محب الله أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن محاسن البغدادي - انتقاء كاتبه: أحمد بن أيك الحسيني المعروف بابن الدمياطي، تحقيق: د. قيصر أبو الفرح، دار الكتاب العربي - بيروت.
- (٤٥) المسند - الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط وفريقه، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م بيروت - لبنان.
- (٤٦) مسند الصحابة، المعروف بمسند الروياني، الحافظ أبو بكر محمد بن هارون الروياني الرازي الآملي الطبري، ت ٣٠٧ هـ تحقيق: صلاح بن محمد عويضة، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.



- (٤٧) المصباح المنير، العلامة أحمد بن محمد الفيومي المقرئ، عناية يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٤٨) المصنف، الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعائي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- (٤٩) معالم السنن - شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد الخطابي، تحقيق عزت عبيد دعاس، وآخر (ملحق بالسنن) دار الحديث بيروت، ط ١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.
- (٥٠) المعجم الأوسط - الحافظ أبو القاسم الطبراني، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م
- (٥١) المعلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي المازري، ٥٣٦هـ تحقيق: متولي خليل عوض الله وآخر، مطبوعات وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي (مصر) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٥٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، حققه: محيي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق بيروت. ط ١، ١٤١٧ - ١٩٩٦م.
- (٥٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تأليف الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية.
- (٥٤) الموطأ، الإمام مالك بن أنس الأصبغي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥٥) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ١٤٠٢هـ.

(٥٦) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، ٤٢٩، شرح وتحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

\*\*\*



# عِزُّ الْأُمَّةِ؛ فِي اتِّبَاعِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ

إِعْلَانٌ

د. صَالِحُ بْنُ سَعِيدٍ عُمَارٍ

ابيض



## المُقَدِّمَةُ

الحمد لله ربِّ العالمين، أما بعد:

فإنَّ حقَّ المصطفى ﷺ على متبّعيه عظيم، وإنَّ طريق الهداية منوطة بطاعته: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾، وواجب على المسلمين اتّباعه، ونصرته، وذلك أحد ركائز دين الإسلام وأساسه، بل هو من مُسلمات الشريعة والأُمور المعلومة منها ضرورة.

لكن، لأسباب عدة؛ نأى بعض المسلمين بأنفسهم عن جادة الصواب، واتبعوا السبل، فتفرقت بهم عن صراط الله المستقيم.

وما هذه الحملة الشرسة التي تعرّض لها رسول الله ﷺ إلا بسبب ضعف مكانة نبيِّ الرحمة ﷺ في قلوب بعض أتباعه، وتهاونهم في اتّباع هديه، والجفاء الذي تلاقىه سنته، وتضييعهم العديدَ من حقوقه ﷺ؛ فكانت العقوبة تسلط الأعداء، علَّنا نستفيق ونتعظ: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وإن من نعم الله تعالى على هذه الأمة الطيبة أنها لن تموت، قد يكبو جوادها

وتضعف، لكنها سرعان ما تستفيق وترجع.

فكانت انتفاضة المسلمين ضد من أساءوا للنبي ﷺ، وهي دليل واضح على حبهم له عليه الصلاة والسلام، وهي محمودة مشكورة، إلا أن الانتفاضة الحقة والمرجوة من أتباع المصطفى ﷺ هي العودة بحق، وصدق إلى روضة الهدي النبوي؛ طاعة للنبي ﷺ، وأداءً لحقوقه؛ دون غلو أو جفاء، عندها تعزّ الأمة، ويهاجم الأعداء، وتكون في حصن حصين من كيدهم؛ بل ويحسبون لها ألف حساب قبل المساس بها، أو بشيء من مقدّساتها ورموزها.

تلك هي قضية الأمة الإسلامية الأساس، التي يجب أن يدندن حولها المصلحون والمجددون؛ كي ترسخ في النفوس، وتثمر واقعا صالحا راشدا. فاللوم والتنديد بما يفعله أعداء الإسلام من طعن في السنة النبوية، أو انتقاص من مقام النبوة، شيء جميل؛ لكن الأجل بل الواجب هو تطهير البيت المسلم، وتحصينه من الثغرات التي دخل العدو من خلالها؛ كالتقصير في الاقتداء بنبي الرحمة ﷺ، والتهاون في اتباع سننه، وعدم المبالاة بمخالفتها، بل وتنفير المسلمين منها بنشر الشبهات والآراء المخالفة لما عليه أهل السنة، ومعارضة السنن بالأفكار الحديثة، والاستهزاء بالمتمسكين بالسنن.

فالأعداء إذن، ما تجرّأوا على مقام النبوة إلا بسبب تحلّي بعض المسلمين عن



نبيهم وعن سنته علما وعملا، قال ابن القيم: «تا الله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تَوَلَّى عَنْكَ الْوَلِيُّ، فلا تظنَّ أن الشيطان غلبَ، ولكن الحافظ أعرَضَ»<sup>(١)</sup>.

ولأجل ما سبق فإني رأيت أن تركز فكرة البحث حول لفت انتباه المسلمين إلى ضرورة نشر ثقافة الاتباع لنبي الرحمة ﷺ؛ لأنها أساس عزنا في الدنيا، وفوزنا في الآخرة، التي تقتضي منا العمل على اتجاهين رئيسين:

### الأول: الجانب التأصيلي:

وذلك بالتأصيل الشرعي لحقيقة اتباع النبي ﷺ، وبيان معانيه، ومعامله، وإقامة الأدلة والبراهين من الكتاب والسنة الصحيحة، وأقوال الأئمة، على هذا الأصل القويم، وتنبيه الأمة إلى عظم هذا الأصل في دينها، فيُعْطونه حَقَّه، لأنهم إنما أوتوا من جهة غفلتهم عنه.

### الثاني: الجانب التطبيقي العملي:

وفيه بيان لأهم الخطوات العملية لتعليم الأمة سنة المصطفى ﷺ علما وعملا، وذلك ببيان قيمة الاتباع، وأهميته في عز الأمة وسؤدها، مع تأصيل ثقافة الاتباع في جميع الأوساط العلمية، والتربوية، والدعوية بالعناية المتواصلة والدائمة بـ:

(١) كتاب «الفوائد» ص ٧٩.

دواوين السنة النبوية - كتب الشئائل - والسيرة - والخصائص -  
والدلائل - ونشر علومها بين الناس.

### والهدف:

ليكون الهدف الرئيس من هذه الجهود هو:  
- تحصين الأمة من الداخل؛ لأن العدو ما دخل إلا من الثغرات في صفوفها،  
والخلل في بنائها، ولو كان سدّ الأُمَّة منيعاً مهاباً؛ ما تجرأ على نبيّها أحدٌ.  
- تصحيح سلوك المسلمين المخالفة للهدي النبوي؛ لأن هذه السلوك  
الخاطئة من أهم أسباب البلاء الذي يلحق بالأمة.  
- دفع بعض الشبهات التي تُثار دائماً حول حقيقة اتباع المصطفى ﷺ،  
وهي للأسف تثار عادة من بني جلدتنا من مثقفين، وأساتذة، وباحثين،  
وإعلاميين، وغيرهم.

\*\*\*

## المبحث الأول

### اتباع نبي الرحمة ﷺ: حقيقته، وأدلته

#### ١ - حقيقة اتباع نبي الرحمة ﷺ:

الاتباع لغة: مصدر اتبع الشيء إذا سار في أثره وتلاه، ومن معاني الكلمة: اللّحاق، والتطلب، والافتقاء، والافتداء والتأسي، والاتباع أن يَسِيرَ الرجل وأنت تسير وراءه.

ويقال: اتبع الرسول ﷺ: اقتدى به، واقتفى أثره، وتأسى به<sup>(١)</sup>.

واصطلاحاً: هو الافتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، والتروك، بنية التقرب إلى الله تعالى؛ على الوجه الذي عمله ﷺ من إيجاب، أو ندب، أو إباحة، أو كراهة، أو حظر.

- فاتباع النبي ﷺ في الاعتقادات: بأن يعتقد العبد ما اعتقده النبي ﷺ، على الوجه الذي اعتقده؛ في ذات الله تعالى، وفي أصول الإيمان، وفي أسس هذا الدين وقواعده.

- واتباعه ﷺ في الأقوال: بامتثال مدلولها، وما جاءت به من معاني،

(١) لسان العرب «مادة: تبع» ٢٧/٨.

فقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» يكون بالصلاة كصلاته، في جميع الأقوال والأفعال والهيئات: ركنية، وإيجاباً، واستحباباً.

وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» يكون اتباعه بأن تحب للمسلمين ما تحبه لنفسك من خير وعلم وطاعة.

- كما يكون الاتباع للنبي ﷺ في الأفعال: بأن تفعل مثل فعله، على الوجه الذي فعله، من أجل أنه فعله.

فقولنا: «مثل فعله»؛ لأنه لا تأسي مع اختلاف صورة الفعل وكيفيته.  
وقولنا: «على الوجه الذي فعله»: معناه المشاركة في قصد ذلك الفعل ونيته، وتحديد الفعل من حيث كونه واجباً أو مندوباً، أو أحياناً أو مداومة؛ لأنه لا تأسي مع اختلاف القصد والنية، وإن اتحدت صورة الفعل.  
وقولنا «من أجل أنه فعله»؛ لأنه لو اتحدت الصورة والقصد ولم يكن المراد التأسي والاقتداء؛ فإنه لا يكون اتباعاً.

ولتوضيح الاتباع في الفعل: لو أردنا أن نقنطري بالنبي ﷺ في صومه فلا بد أن نصوم على الصورة التي صامها ﷺ، كما لا بد أن نصوم على الوجه الذي صامه ﷺ من ناحية القصد بحيث نريد بصيامنا وجه الله تعالى، وصيام الواجب أداءً أو قضاءً أو نذرًا، أو النفل، كالقصد الذي صام لأجله ﷺ.

كما لا بد أن نصوم من أجل أنه صام ﷺ؛ ولذا لا يُعَدُّ الشخص متأسياً بشخص آخر غير النبي ﷺ يشاركه في الصورة والقصد إذا كان كل منهما يعمل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، واتباعاً لرسوله ﷺ.

- ويكون اتباعه ﷺ في التروك: بأن نترك ما ترك على الصفة والوجه الذي ترك؛ من أجل أنه ترك، وهي القيود نفسها في الاتباع في الأفعال.

ولتوضيح ذلك: قام النبي ﷺ بترك الأذان لصلاة العيدين، فترك المتأسي ذلك على الوجه الذي ترك النبي ﷺ، لأجل أنه ترك<sup>(١)</sup>.

- فاتباعه ﷺ بالتزام الكتاب والسنة في جميع الأحكام، قال عطاء: «طاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنة»<sup>(٢)</sup>، وقال العلامة السعدي:

«وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وإن نصّ الرسول على حكم الشيء، كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

يؤكد هذا ويبيّنه ما جرى عليه عمل الصحابة والخلفاء الراشدين في

(١) ينظر لهذا التفصيل «مجموع الفتاوى» لابن تيمية ٤٠٩/١٠.

(٢) رواه الدارمي «المقدمة، باب: الاقتداء بالعلماء» رقم (٢٢٥).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ص ٧٨٩.

اتباعهم نبي الرحمة ﷺ، ملتزمين بهدي القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وبمعاني تلك الكلمة الجامعة المانعة التي قالها ﷺ:

«فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(١)</sup>.

- فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: «لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ»<sup>(٢)</sup>.  
نعم، فصديق الأمة يخشى على نفسه الانحراف عن الصراط المستقيم؛ إن هو فرط في شيء من هدي النبي ﷺ مع أنه كان شديد التمسك بما دق وجل من سنة نبيه ﷺ.

وهذه الكلمة قالها ﷺ في مناسبة قصته مع علي وفاطمة ومطالبتها إياه بتركته ﷺ حيث قال: «إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا صدقة... وإني والله لا أُغَيِّرُ شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في

(١) رواه البخاري رقم (٧٢٨٨) - ومسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه البخاري في «كتاب فرض الخمس، باب: فرض الخمس» رقم (٣٠٩٢، ٣٠٩٣) من

حديث عائشة رضي الله عنها.





عهد رسول الله ﷺ، ولأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً موقفه ﷺ من مانعي الزكاة، وفيه مقولته المشهورة: «والله لو

منعوني عناقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»<sup>(٢)</sup>.

وكذا موقفه من بعث جيش أسامة ﷺ: «فقال أبو بكر: أنا أحبس جيشا

بعثهم رسول الله ﷺ! لقد اجترأتُ على أمر عظيم، والذي نفسي بيده لأن تميل

عليّ العربُ أحبَّ إليّ من أن أحبس جيشا بعثه رسول الله ﷺ، إمضِ يا أسامةُ

في جيشك للوجه الذي أُمِرْتَ به... (القصة)»<sup>(٣)</sup>.

«هذا هو تمسك أبي بكر بالسنة على الرغم من فاجعة موت رسول

الله ﷺ، وفاقرة ارتداد العرب، أضف إليهما تثبيط بعض الناس له انطلاقاً من

العقل الذي يقضي بما قضوا، ولكن الشرع الذي تعلّمه أبو بكر من النبي ﷺ

هو الذي هدها إلى ما شَحَّتْ به قرائحهم؛ ألا وهو خوفه ﷺ من تأخير ما قدّمه

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ٣٧١١، ٣٧١٢، ٤٠٣٥، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٤٢٤١)

(٢) ٦٧٢٥، ٦٧٢٦ - ومسلم في «كتاب الجهاد والسير، باب: حكم الفيء (نوي)»

٧٦/١٢ - ٨١.

(٣) رواه البخاري رقم (١٣٩٩، ١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٦٩٢٥، ٧٢٨٤، ٧٢٨٥) - ومسلم

٢٠١/١ - ٢٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء «سير الخلفاء الراشدين» ص ٣٣.

رسولُ الله ﷺ .

فكانت عاقبة التمسك بالسنة الانتصار على العدو والثبات على

الإسلام»<sup>(١)</sup>.

- وفي صحيح الإمام البخاري عن شيبه بن عثمان بن طلحة قال: «جلس

إليَّ عمر في هذا المسجد - المسجد الحرام - فقال: هممتُ أن لا أدع فيها صفراء

ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين، قلت: ما أنت بفاعل، قال: لم؟ قلت: لم

يفعله صاحبك، قال: هما المرآن يُقتدى بهما»<sup>(٢)</sup>.

- وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: «كنا نحاقِلُ على عهد رسول الله ﷺ،

فنُكرِها بالثلث والربع والطعام المسمّى... فنهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان لنا

نافعا، وطواعيةُ الله ورسوله أنفعُ لنا...»<sup>(٣)</sup>.

- ومن أمثله أيضا ما رواه البخاري «عن الحسن عن معقل بن يسار قال:

زوجتُ أختي لي من رجل - ابن عمِّ له - فطلَّقها، حتى إذا انقضت عدَّتُها جاء

(١) «مدارك النظر» لعبد المالك رمضاني ص ٧٢.

(٢) الجامع الصحيح «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ»  
رقم (٧٢٧٥).

(٣) رواه مسلم في «كتاب البيوع، باب: كراء الأرض بالطعام (نووي)» رقم (١٥٤٨).



يُخْطِبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوْجَتُكَ وَأَفْرَشَتُكَ وَأَكْرَمَتُكَ فَطَلَقْتُهَا ثُمَّ جِئْتُ تُخْطِبُهَا، لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا. وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. فَقُلْتُ: الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ - فَكَفَرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ<sup>(١)</sup>.

وغير هذا كثير جدا في حياة الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث كانوا يتمثلون الاتباع والافتداء بالنبي ﷺ في أصحّ، وأحسن، وأبهى الصور؛ فنالوا شرف الخيرية والفضل على سائر الأمم.

- وضد الاتباع المخالفة، فكل من لم يتبع النبي ﷺ فيما ينبغي فيه الاتباع، فهو مخالف له ﷺ إما اعتقادا، أو قولاً، أو فعلاً، أو تركاً، أو حكماً، أو قصداً ونية.

- فحقيقة الاتباع إذن: الافتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في جميع ما جاء به في شريعته الغراء؛ عقيدة، وشريعة، أخلاقاً وآداباً، أحكاماً وهدايات، والتمسك بسنته، والعصّ عليها بالنواجذ، والثبات عليها مهما كانت الأحوال والأزمان.

(١) الجامع الصحيح في «كتاب النكاح، باب: من قال لا نكاح إلا بولي» رقم (٥١٣٠).

وهذا كله يقتضي منا تربية المسلمين على معاني السنة النبوية وهداياتها، وتعليمهم إياها، وغرسها في نفوسهم؛ كي تصبح عقيدة تخالط القلوب، ثم واقعا عمليا معاشا؛ مما ينتج عنه رسوخه وبقاؤه؛ لا أن نحسّهم بانفعالات عاطفية سرعان ما تزول بزوال أسبابها.

## ٢ - الاتباع واجب شرعي:

اتباع النبي ﷺ أحد ركائز دين الإسلام، وأحد أسسه المتينة، وطاعة الرسول ﷺ ثابتة في كتاب الله تعالى في نحو ثلاثة وثلاثين موضعاً كما قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>، وهي من مُسلمات الشريعة، ومن الأمور المعلومة منها بالضرورة؛ التي لا يسع أحدا الجهل بها، نظراً لتواتر النصوص الدالة على ذلك، واستفاضها في بيان ذلك والتأكيد عليه، فمن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

- وقوله ﷺ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيفًا﴾ [النساء: ٨٠].

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» رقم (٩٧) - وذكره ابن تيمية في «الصارم المسلول» ص ٥٦، ٥٧.

- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

- وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فهذه الآيات البيّنات المحكمات عامّة في وجوب الاتباع في كل شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصاً فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، بل إن الله تعالى يُقسم بنفسه الكريمة المقدسة؛ إنه لا يؤمن أحدٌ حتى يُحكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، وحذّره من العواقب الوخيمة لمخالفة أمره أو نهيهِ، وسبيله وطريقته، وشريعته عليه الصلاة والسلام. وإذ قد غفل المسلمون اليوم عن طاعة المصطفى ﷺ واتباعه؛ فإن الحاجة ملحة لإعادة تذكيرهم بهذا الأصل المهم، وغرسه في نفوسهم، لعلهم يرجعون فيعزّون ويُنصّرون..<sup>(١)</sup>

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي

(١) ينظر لهذه المعاني: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير ١/ ٥٢٠، و٣/ ٣٠٧ - و«فتح القدير» للشوكاني ٥/ ٢٨٢.

فليس مِنِّي<sup>(١)</sup>، يقول الحافظ ابن حجر:

«المراد بالسنة الطريقة، لا التي تُقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقي، وأخذ بطريقة غيري فليس مِنِّي<sup>(٢)</sup>». وهذا الأسلوب «ليس مِنِّي» من أساليب الوعيد الدالة على وجوب الشيء وحثيته، ولا شك أن من أخذ يميناً أو شهاً لا عن سنة المصطفى فهو زائع ضال عن صراط الله المستقيم، يؤكد هذا المعنى أيضاً حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ:

«وإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَصُوا عليها بالنَّوَاجِذِ، وإِيَّاكم ومُحَدَّثَاتِ الأمور، فإنَّ كُلَّ بدعة ضلالةٌ»<sup>(٣)</sup>.

فاتباع المصطفى ﷺ إذن واجب شرعي، لا يتم إسلام المرء وإيمانه إلا

(١) رواه البخاري رقم (٥٠٦٣) - ومسلم (١٤٠١).

(٢) الفتح ٧/٩.

(٣) حديث صحيح؛ رواه أحمد ٤/١٢٦، ١٢٧ - والترمذي رقم (٢٦٧٦) وقال «هذا حديث

حسن صحيح» - وأبو داود رقم (٤٦٠٧) - وابن ماجه رقم (٤٣، ٤٤) - والدارمي رقم

(٩٦) - وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٧، ٢٨) - وابن حبان في «صحيحه» رقم (٥)

- وغيرهم...



بتحقيقه، وليس هو مما يتفضل به المسلم، أو يَمْتَنُّ به، أو يعطيه نافلةً وقته وجهده، لأنه حق أوجبه الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ على أتباعه، وهو الآتي:

### ٣ - الاتباع من حقوق المصطفى ﷺ:

نعم، فمن أعظم حقوق نبي الرحمة ﷺ على أمته وأتباعه هو: طاعته، والاقتراء به، واتباع سنته، وهو حق فرضه الله تعالى على عباده، لأن حق الله تعالى في عبادته لا يتأتى إلا من طريق المصطفى ﷺ، ولهذا قرن شهادته بشهادته، وطاعته بطاعته، وجعل معصيته في معصيته، وحذّر من خالف أمره، أو أعرض عن سبيله وهديه؛ لأنه جعل الهداية في طاعته واتباعه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، فكل من شهد أن محمداً رسول الله، وآمن بما جاء به، وصدّقه في رسالته، وأحبه... فالواجب عليه اتباعه والاقتراء به في جميع سنته، وإلا فهو مُدْعٍ بلسانه ما ليس عليه عمله.

### ٤ - الاتباع واجب شرعي ماضٍ إلى قيام الساعة:

والنبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته هي خاتمة الرسالات، وقد بين الله ﷻ في محكم تنزيله أنه بعث محمداً ﷺ للناس أجمعين؛ بل للإنس

والجن على حد سواء، فحجّة الله قائمة على خلقه بمبعثه إلى قيام الساعة، ومنه فواجب الاتباع مُحْكَمٌ وباق إلى يوم الدين، وهذا من المعلوم ضرورة من دين الإسلام، وعليه إجماع المسلمين فمن خالف هذا، أو زعم أن الاتباع قد وُلِّيَ زمانه، وأن اتباع السنن لا يتناسب مع ثقافة العصر، ولا يصلح لدعوة الناس ولهدايتهم؛ فهو مُفتر على الدين، جاهل به، زائغ عن سبيل المؤمنين.

\*\*\*





## المبحث الثاني

### معالم في اتباع نبي الرحمة ﷺ

إن اتباع نبي الرحمة ﷺ ليس شعارا يرفع، أو أبياتا تنشد، أو صيحات تطلق هنا وهناك... وإنما هو أقوال وأعمال، وعلم وعمل، يمكن أن نوجزها في المعالم أو الدلائل الآتية:

#### ١ - الحب:

من أهم المعالم والدلائل على الاتباع؛ هي محبة رسول الله ﷺ، والتي أوجبها الله تعالى على عباده، وهي محبة لا تتم إلا بتقديمها على محبة النفس، والمال، والولد، والوالد، والناس أجمعين؛ كما في حديث أنس ؓ:

«ثلاثٌ من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه البخاري رقم (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١) - ومسلم في «كتاب الإيمان، باب: خصال الإيمان (نووي)» ٢/ ١٣، ١٤.

« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: « كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر »<sup>(٢)</sup>.

ولا سبيل لتحصيل تلك المحبة للنبي ﷺ وتحقيقها إلا عن طريق الاتباع والحرص على الكمال فيه، يقول الخطابي حول هذا المعنى:

« لم يُرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار؛ لأن حب الإنسان لنفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، قال: فمعناه: لا تصدق في حبي حتى تُفني في طاعتي نفسك، وتؤثر رضائي على هواك وإن كان فيه هلاكك »<sup>(٣)</sup>.

فهذا الحب حتى يكون صادقا، وصحيحا يحبه الله تعالى ويرضاه؛ ينبغي أن

(١) رواه البخاري رقم (١٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٦٣٢).

(٣) شرح النووي على مسلم ١٥/٢.

ينتج عنه لازمه وهو الانقياد والاستسلام، والاتباع لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهو الآتي:

## ٢ - التسليم والانقياد لسنة ﷺ، والتحاكم إليها؛

من أهمّ المعالم التي يبرز فيها الاتباعُ لنبي الرحمة ﷺ جلياً تجرّيدُ العبد المتابعة لرسول الله ﷺ، والانقيادُ لما جاء به امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، والرضا بحكم رسول الله ﷺ وشرعه، والتسليمُ لسنة، والتحاكمُ إليها عند كل كبيرة وصغيرة، فعن العباس ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»<sup>(١)</sup>.

فإذا رضي المسلم بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً؛ قَبِلَ حكمه وانقاد له، وتابعه واتبّعه، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه، فيسكن قلبه لذلك، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره لهديه، ولم يلتفت عنه إلى غيره، ولم يعول في سلوكه على ما سواه. والرضا كلمة تجمع القبول والانقياد؛ فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق، والانقياد الكامل ظاهراً وباطناً لما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه.

(١) رواه مسلم في «كتاب الإيمان» ٢/٢.

فدين الإسلام مبناه أساسا على الوحي والنقل الصحيح، فما جاءنا من أمر أو نهي في كتاب الله تعالى، أو في سنة رسوله ﷺ؛ وجب علينا قبوله والمبادرة إلى امتثاله.

ولذا كان السلف رحمهم الله يدورون مع النصوص حيث دارت، ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق المستقيم ما كان على الأثر، قال الزهري: «من الله الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلىنا التسليم»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي العز شارحاً قول الطحاوي: «(ولا تثبت قَدَمُ الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام): أي لا يثبت إسلام من لم يُسلم لنصوص الوحيين، وَيَنْقُذَ إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه»<sup>(٢)</sup>. وما أجمل مقولة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ:

«إِيَّاكُمْ والاستئذان بالرجال؛ فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء، وأشار إلى

(١) رواه البخاري معلقاً ١٣/٥٠٤ (الفتح).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢١٩.

الرسول ﷺ وأصحابه الكرام<sup>(١)</sup>.

وتشبه مقولة علي مقولة أبي الزناد رحمته الله: إذ يقول: «إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرًا على خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بُدًّا من اتباعها، من ذلك: أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

فما جاء به الرسول ﷺ في الكتاب والسنة، هو الميزان الذي يُتَحاكَمُ إليه، وتوزن به الاعتقادات والأقوال، والأفعال والتروك، فما وافقه فذاك، وما خالفه رُدَّ على صاحبه، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وهذا التحاكم إلى الشريعة والحرص عليه في جميع شؤون العبد، هو السمة البارزة للمسلم الحريص على الاتباع، المتجرد من هواه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، وقال عليه السلام: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(١) ذكره الشاطبي في «الاعتصام» ٣٥٨/٢.

(٢) ذكره البخاري معلقا في صحيحه «كتاب الصوم» عند الحديث رقم (١٩٥١).

### ٣ - تعظيم النصوص الشرعية:

من أبرز مظاهر الاتباع ودلائله تعظيم النصوص الشرعية الثابتة، وإجلالها، وتقديمها وعدم هجرها، واعتقاد أن الهدى فيها لا في غيرها، وتعلّمها وفهمها، والعمل بها وعدم معارضتها، وقد كان هذا هو هدي أئمة الاتباع وسادته من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم.

فقد «رأى عبد الله بن مُغَفَّل رجلاً من أصحابه يُخَذِّف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ كان ينهى عن الخذف، وكان يكرهه، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: ألم أخبرك أن رسول الله ﷺ كان ينهى عنه؟ ثم أراك تخذف؟ والله لا أكلمك أبداً»<sup>(١)</sup>.

وحدّث ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ قال: إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها، فقال بلالُ ابنه: والله لنمنعهنّ، فأقبل عليه ابن عمر فشتمه شتيمَةً لم يشتمها أحداً قبله قط، ثم قال: أُحدّث عن رسول الله ﷺ، وتقول: إذن والله أمنعها»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «لو رأيتُ الطَّبَّاءَ بالمدينة تَرْتَعُ ما دَعَرْتُها، قال رسول

(١) رواه مسلم في «كتاب الصيد والذبائح» رقم (١٩٥٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٨٧٣، ٥٢٣٨) - ومسلم رقم (١٣٤، ١٣٥).

الله ﷻ: ما بين لابتئها - أي: المدينة - حرام<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «تمتع النبي ﷺ - يعني: متعة الحج -، فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون: نهى أبو بكر وعمر<sup>(٢)</sup>».

وحدث ابن سيرين «رجلاً بحديث عن النبي ﷺ، فقال رجل: قال فلان وفلان كذا، فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي ﷺ، وتقول: قال فلان وفلان كذا؟ والله لا أكلمك أبداً<sup>(٣)</sup>».

#### ٤ - ترك معارضة السنن بالاعتراضات العقلية:

ترك معارضة السنن بمختلف الاعتراضات العقلية والمنطقية، أو باتباع المشابهات وترك المحكمات؛ من المعالم البارزة في تحقيق الاتباع لنبي الرحمة ﷺ، والدالة على الرضا والتسليم، واتباع سبيل المؤمنين.

(١) رواه البخاري في «كتاب فضائل المدينة، باب: لابتئ المدينة» رقم (١٨٧٣) - ومسلم في

«كتاب الحج، باب: فضل المدينة (نوي)» ١٤٥ / ٩.

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» رقم (٢٣٨١).

(٣) رواه الدارمي رقم (٢٤٧).

ذلك أن الأصل في العبادة هو الامتثال والتسليم دون الالتفات إلى الحكم والمعاني، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله:

«يجب أن نعلم أن ما أمر الله به ورسوله، أو نهى الله عنه ورسوله فهو الحكمة، فعلينا أن نسلم، ونقول إذا سألنا أحدًا عن الحكمة في أمر من الأمور: إن الحكمة أمر الله ورسوله في المأمورات، ونهْيُ الله ورسوله في المنهيات، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وسُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: كان يُصيّبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصيام، ولا نؤمر بقضاء الصلاة»<sup>(١)</sup>، فاستدلّت بالسنة ولم تذكر العلة، وهذا هو حقيقة التسليم والعبادة أن تكون مسلمًا لأمر الله ورسوله عرفت حكمته أم لم تعرف، ولو كان الإنسان لا يؤمن بالشيء حتى يعرف حكمته لقلنا: إنك ممن اتبع هواه فلا تمتثل إلا حيث ظهر لك أن الامتثال خير»<sup>(٢)</sup>.

ولله دَرُّ الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال: «فيم الرَّمْلان والكشف عن المناكب

(١) الحديث رواه البخاري رقم (٣٢١) - ومسلم رقم (٣٣٥).

(٢) الشرح الممتع ٤/ ١٦٥، ١٦٦.



وقد أطأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهلكه؟ ومع ذلك؛ لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ولا يعني هذا بحال أن البحث عن الحكم والمعاني التي دلت عليها القرائن ليس بمطلوب، بل ذلك مما نبّه إليه تعالى في كتابه في العشرات من الآيات التي بينت علل الأحكام، ومقاصدها، وحكمها، كما بينتها السنة النبوية أيضاً في عشرات الأحاديث.

وإنما المقصود هو التحذير من التنطع في استخراجها والإيغال في ذلك، أو تعليق العمل بالأحكام على إدراكها ومعرفتها، فإن ذلك هو الخطأ المرغوب عنه<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم الاعتراضات العقلية التي فشت اليوم - وهي قديمة حديثة - في مختلف الأوساط العلمية والدعوية والتربوية دعوى عرض السنة على القرآن، أو معارضة السنة للعقل، أو أن السنن النبوية هي مجرد قشور، وتفاهات لا داعي للاشتغال بتعلمها، وتعليمها، وللأسف فمثل هذه الشبهات والاعتراضات

(١) سنن أبي داود في «كتاب المناسك، باب: في الرمل» رقم (١٨٨٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» رقم (٢٦٦٢).

(٢) راجع مبحث الإمام الشاطبي النفيس في ذلك في «الموافقات» ٢/ ٣٠٠-٣١٠.

العقلية تجد رواجاً كبيراً في أوساط المسلمين، وتصدهم عن الاتباع الحق لنبي الرحمة ﷺ. وقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً في بيان تهافت مثل هذه الاعتراضات وبطلانها؛ فالذي ينبغي هو مواصلة دفعها، والتصدي لها نصرة لسنة المصطفى ﷺ، وخدمة لها.

فالله ﷻ كرم الإنسان وفضله بالعقل، وامتدح في كتابه ذوي الألباب، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ كَتَبْنَا لَهُ الْكِتَابَ أَنْ يَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، ولكن كثيراً من الناس لم يستعملوا العقل في المكانة التي ارتضاها الله تعالى، بل أطلقوا له العنان، وجعلوه مصدراً للتشريع، وقدموه على النقل الصحيح، حيث بنوا لأنفسهم ضلالات يُسمونها تارة بالحقائق واليقينيات، وتارة بالمصالح والغايات، ثم يعارضون بها النصوص الثابتة - والتي يسمونها بالظنيات -، فيقبلون منها بعضاً ويرفضون منها البعض الأكثر، اعتماداً منهم على قاعدة: اليقين لا يزول بالشك!

ويغفل هؤلاء أن للعقول حدوداً تنتهي في الإدراك إليها، وأن الله تعالى لم يجعل لها سبيلاً إلى إدراك كل شيء، كما أن العقول والأفهام تختلف في تعيين الحقائق والمصالح من إنسان لآخر، فلمن المرجع إذن؟ لذا فإن الله تعالى أمرنا



بالتسليم لحكمه ولحكم رسوله، تسليماً مطلقاً، لا بمحاكمة النصوص إلى العقول قبل التسليم بها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وما أحسن كلام ابن أبي العز الحنفي السابق:

«ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام»، فقال: «أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه».

- وفي هذا السياق دائماً يقول الإمام الشافعي بعد أن بين أن السنة مبينة ومخصصة لعموم القرآن:

«وأن قول من قال: تُعرض السنة على القرآن؛ فإن وافقت ظاهره، وإلا استعملنا ظاهر القرآن، وتركنا ظاهره جهلاً لما وصفت...»<sup>(١)</sup>. وهذا مما يدل على أن من سلك هذا المسلك هو مخالف لما عليه أئمة الإسلام.

كما يدخل الخلل على العديد منهم من باب تقليد الآباء والأكابر، وهو شيء نعاه الله ﷻ على الأمم السابقة جلّها، وللأسف ما زلنا واقعين في شبابه، ولم نتخلص من برائثه.

(١) اختلاف الحديث ص ٣٣.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ هُمُ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [١١] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿١٢﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

قال الشوكاني: «وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا، والتحذير منه والتنفير عنه، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله، ويقتدي به وينصف من نفسه، لا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب»<sup>(١)</sup>.

نعم، فمن عوائق الاتباع الكبرى: تقديم آراء الآباء والشيوخ والأكابر على النصوص الصحيحة، وقد وردت آثار كثيرة عن السلف تحذر من ذلك: من ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً؛ إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لابد مقتدين فبالميت، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة»<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح القدير ٤/ ٤٣١.

(٢) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ١/ ١٠٥ رقم (١٣٠، ١٣١).



وقال عمر بن عبد العزيز: «لا رأي لأحد مع سنة سنّها رسول

الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وقال الشافعي: «أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ؛

لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن خزيمة: «ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قولٌ إذا صح الخبر»<sup>(٣)</sup>.

ولابن تيمية كلام نفيس في الموضوع، إذ يقول:

«فدين الله مبني على اتباع كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وما اتفقت عليه

الأمّة، فهذه الثلاثة هي المعصومة، وما تنازعت فيه الأمّة فحكمه إلى الله

والرسول، وليس لأحد أن يُنصّب للأمّة شخصاً يدعو إلى طريقته، يوالي عليها

ويعادي، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمّة، بل هذا من فعل أهل

البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرّقون به بين الأمّة، يوالون به على

ذلك الكلام، أو تلك السنة، ويعادون»<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين» ٢/ ٢٠١.

(٢) نفسه.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٧٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٦٤.

## ٥ - الحذر من معصيته ﷺ:

يقول ابن تيمية رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]:

«أمر من خالف أمره أن يحذر الفتنة، والفتنة الردة والكفر، قال سبحانه: ﴿وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، و[الأنفال: ٣٩]. قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد: نظرتُ في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال أبو طالب المشكافي حين قيل له: إن قوما يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان، فقال: أعجبُ لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحّته، يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، قال الله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وتدرى ما الفتنة؟ الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي.

فإذا كان المخالف عن أمره قد حُدِّرَ من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم، دلَّ على أنه قد يكون مفضيا إلى الكفر أو العذاب الأليم<sup>(١)</sup>.

- كما أن مخالفة الرسول ﷺ ومعصيته، والإعراض عن سنته؛ سبيلٌ إلى عقوبة الله تعالى بِبَرِّ شَانِي الرِّسُولِ ومُخَالَفِهِ؛ «فَيُبْرِئُ قَلْبَهُ فَلَا يَعْيِي الْخَيْرَ، وَيَبْتَرِ أَعْمَالَهُ فَلَا يَسْتَعْمِلُهُ فِي طَاعَتِهِ، وَيَبْتَرِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَا يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا، وَيَبْتَرِهِ مِنْ جَمِيعِ الْقُرْبِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلَا يَذُوقُ لَهَا طَعْمًا وَلَا يَجِدُ لَهَا حُلَاوَةً. وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ شَنَأَ بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ الرِّسُولُ ﷺ، وَرَدَّهُ لِأَجْلِ هَوَاهُ، أَوْ مَتَّبِعَهُ أَوْ شَيْخَهُ، أَوْ أَمِيرَهُ أَوْ كَبِيرَهُ... وَمَنْ أَقْوَى عِلَامَاتُ شَنَائِهِ لَهَا وَكَرَاهَتِهِ لَهَا؛ أَنَّهُ إِذَا سَمِعَهَا حِينَ يَسْتَدِلُّ بِهَا أَهْلُ السَّنَةِ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ إِشْمَازًا مِنْ ذَلِكَ، وَحَادَ وَنَفَرَ مِنْ ذَلِكَ، لَمَّا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْبَغْضِ لَهَا وَالنَّفَرَةِ عَنْهَا، فَأَيُّ شَانِيٍّ لِلرِّسُولِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا! وَكَذَا مِنْ أَثَرِ كَلَامِ النَّاسِ وَعُلُومِهِمْ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ.

فالحذر الحذر، أيها الرجل من أن تكره شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده لأجل هواك، أو انتصارًا لمذهبك أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا؛ فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله ﷺ، والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبدُ جميعَ الخلقِ واتبَعَ الرسولَ؛ ما سألَهُ

(١) الصارم المسلول ص ٥٦، ٥٧ - والأثر عن أحمد رواه ابن بطة في الإبانة رقم (٩٧).

الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يُطاع تبعاً للرسول...  
فاعلم ذلك واسمع وأطع، واتبع ولا تبتدع؛ تكن أبتر مردوداً عليك  
عملك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتباع، ولا خير في عامله، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

#### ٦ - عدم الإحداث والابتداع:

الإحداث في الدين من أعظم الجنايات على السنة النبوية، ومن أهم مظاهر  
المخالفات لنبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، وهو من أخطر معاول الهدم  
لشريعته السمحاء، مع ما فيه من تشويه لصورة الإسلام، ولهداياته القيّمة.  
ولذا، اشتهر نكير الأئمة السابقين كلهم في هذا الباب، بل إن نصوص  
الكتاب والسنة واضحة حاسمة في المنع من الإحداث في الدين مهما كانت  
المبررات أو المسوغات.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]،

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن تيمية «مجموع الفتاوى» ١٦/٥٢٦-٥٢٩.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) - ومسلم (١٧١٨) - وأحمد ٦/٧٣، ٢٤٠، ٢٧٠ - وأبو داود =



وقال أيضا: «فعلِكم بِسُنَّتِي وَسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنَّواجِدِ، وإِيَّاكم ومُحَدَّثَاتِ الأمور، فَإِنَّ كُلَّ بدعة ضلالةٌ».

فتحقيق الاتباع لنبي الرحمة ﷺ يوجب على المسلم تعلُّم سنته، ولزومها، والاكْتفاء بما ثبت منها؛ ففيه غُنية عن كل زيادة وإحداث، فالْحذر الحذر من الابتداع، ومن خطورته على الدين، وعلى صاحبه.

«ومما ينبغي التنبيه إليه والتحذير منه في هذا الزمان هو أن ما تركه النبي ﷺ من جنس العبادات ولم يفعله، مع وجود المقتضي لفعله على عهده ﷺ؛ ففعله بدعة، وتركه سنة، كالاحتفال بالمولد، والهجرة، ورأس السنة، ونحوها، يقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»<sup>(١)</sup>، ويقول ابن تيمية: «والترك الراتب سنة، كما أن الفعل الراتب سنة»<sup>(٢)</sup>، ويقول ابن كثير: «وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل أو قول لم يثبت عن الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ هو بدعة؛ لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه»<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

= (٤٦٠٦) - وابن ماجه (١٤)، كلهم: من حديث عائشة رَحِمَهُمُ اللهُ.

(١) الاعتصام للشاطبي ٤٩/١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٥٦/٤.

(٤) من مقال «اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين» ليفصل بن علي البعداني.

٧ - نبذ العصبية المذهبية:

فالمذهبية حادثة في تاريخ هذه الأمة، ولم تكن على العهد الأول؛ خير القرون، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، وبعد حدوثها - وما لازمها من عصبية، وتعسف في رد النصوص النبوية، وتأويلها - كانت سببا في تفريق المسلمين، وتحزبهم، ومخاصمة بعضهم بعضا.

فكانت تلك العصبية مظهرا من مظاهر تخلف المسلمين، ولا تزال جاثمة على صدر الأمة إلى يوم الناس هذا، فالواجب هو التخلص منها ونبذها - أي: العصبية -، وإحياء منهج الاتباع الصحيح للأئمة، والعودة بالأمة إلى ما كانت عليه في العهد النبوي والراشدي، حتى يلتئم شملها، وتعود إلى عزها وقوتها.

٨ - الدعوة إلى إحياء السنة، وترغيب الناس فيها:

وهو معلم بارز وواضح في الكتاب والسنة، حيث دلت تلك النصوص على دعوة المسلمين إلى اتباع النبي ﷺ في ما جاء به، وطاعته، والتمسك بهديه، وترغيبهم في ذلك، وقد كان عليه الصلاة والسلام يُرَغِّب أصحابه وأُمَّته في التمسك بسنته، وعدم الإعراض عنها يمينا أو شمالا، فقال كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر



عليكم عبْدٌ، وإِنَّه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسُنَّتِي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِدِ».

وكان يقول كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup>.

فالواجب هو دعوة الناس إلى اتباع السنة وإحيائها، وأن تكون الدعوة إلى هذا واضحة صافية لا لبس فيها، ولا مdahنة بحيث تجرد الدعوة إلى لزوم السنة، نعم بالحكمة والموعظة الحسنة، مع تنبيه المسلمين إلى خطورة مخالفة هذا السبيل، ليحيى من حيي عن بيته، ويهلك من هلك عن بيته.

فإن عدم الوضوح في الحق، أو المdahنة فيه، أو مجالسة أهل الأهواء والتساهل معهم؛ كان سببا مباشرا في خلط كثير من المفاهيم، ونشر الشبهات في أوساط المسلمين، وإبعادهم عن المعين الصافي لهدي نبي الرحمة ﷺ، بل كان سببا في عزوف عوام المسلمين عن السنة النبوية لما رأوه من تضارب في الأقوال والمفاهيم بين دعاة الإسلام، فاختلط عليهم الأمر، فتركوه بالكلية.

(١) رواه مسلم في «كتاب الجمعة/ باب: خطبته ﷺ في الجمعة (نووي)» ١٥٣/٦ -

والبخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رقم (٧٢٧٧).

خاصة وأن دعواتهم تصب في تزهيد الناس في السنة النبوية، وربما الاستهزاء بها، مع ما يدندنون حوله من شبهاتهم من الاهتمام بالأصول، ونبذ القشور، وأن هذه السنن تفرق الأمة،...

لذا فإن وضوح الحق - وإن كان ثقيلا على الناس - إلا أنه موافق للفطر السليمة وللعقول السوية، وسوف تنقاد له ولو بعد حين، خلافا للضبابية التي تُكدر صَفْوَ الفهوم كلها.

#### ٩ - تعلم السنة النبوية، والدفاع عنها:

وذلك لأن الإسلام دين مبني على الوحي، والوحي لا يُدرك إلا بالتعلم والتعليم، ومنه: لا وسيلة للعمل بأحكام الإسلام واتباع النبي ﷺ إلا عن طريق التعلم لما جاء عنه في سنته؛ لأنه من غير الممكن أن نعمل بشيء لا نعرفه ولم نتعلمه، قال الإمام البخاري في صحيحه:

«باب: العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم<sup>(١)</sup>.

(١) الجامع الصحيح «كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل» ١/ ٢١٠ (الفتح) بعد الحديث رقم (٦٧).



ولا شك أن الجهل بالسنة النبوية من أعظم عوائق الاتباع، بل هو أعظم أسباب الوقوع في المحرمات جميعها من: كفر، وبدع، ومعاص، سواء أكان الجهل جهلاً بالنصوص بعدم الاطلاع عليها، أم كان جهلاً بمنزلتها من الدين، أم كان جهلاً بدلالات الألفاظ، ومقاصد الشريعة، وقواعد العلوم وأصولها.

ونظرا لخطورة الجهل الكبيرة، وجدنا الوحيين حافلين بالنصوص التي تحذر من الجهل، وتبين خطورته، وتحث على العلم، وتبين فضله، ومنها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْأَنْبَغِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله:

«وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات وأعظمها إثماً؛ ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه، فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾، فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدّها إثماً؛ فإنه يتضمن الكذب على الله، ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبتته، وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله، وإبطال ما حقّقه، وعداوة من والاه، وموالاته من عاداه، وحبّ ما أبغضه، وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في

ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثماً، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أُسِّست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم<sup>(١)</sup>.

- وفي السنة النبوية من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول

الله ﷺ:

«إن الله لا يَقْبِضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعه من الناس - وفي رواية: من العباد - ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جُهاًلاً، فسُئِلُوا، فأفتوا بغير علم - وفي رواية: برأيهم -، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»<sup>(٢)</sup>، فقلَّة العلم وأهله سبيل إلى تصدر أنصاف المتعلمين، أو الجهال؛ وهذا مؤذن بهلاك الناس وضلالهم، وانحرافهم عن جادة الصواب، وهو للأسف ما يُعاني منه المسلمون في العديد من بلدانهم.

#### ١٠ - العناية بكتب السنة ودواوينها:

لا شك أنه من أهم معالم اتباع نبي الرحمة ﷺ ونصرته هو تعلم سنته

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٧٨.

(٢) رواه البخاري رقم (١٠٠، ٧٣٠٧) - ومسلم ١٦/ ٢٢٣، ٢٢٥.



والعمل بها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى دواوين السنة النبوية، والعناية بها؛ قراءة، وحفظاً، وفهماً، وتفهماً. فهي الكتب التي جمعت بين طياتها كل ما يتعلق بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام من شريعة، وأحكام، وسيرة، وأدب، وشئائل، ودلائل النبوة مع ما امتازت به هذه الكتب من جودة تصنيف، وحسن ترتيب، ودقة تبويب، ونقاوة أسانيد، فهي بحق دواوين الإسلام بكل أبعاده وعناصره الأساسية؛ عقيدة وأخلاقاً، آداباً وأحكاماً، قصصاً ومواعظ.

يقول د/ عبد المجيد محمود:

«إن نظرة المحدثين للفقه، تُمثل الاتجاه الديني، والتصور الإسلامي للحياة ووظيفتها، هذا الاتجاه الذي لا ينسى وهو يُقرّر الضوابط للسلوك الإنساني في الحياة أن يُعَدَّ الإنسان أولاً، وأن يثير في نفسه الدوافع التي تحته على تقبّل هذه الضوابط، والرغبة في تطبيق الأحكام التي يكلف بها...»

وإغفال هذا الإعداد الروحي، الذي يُضيء القلب، ويوثق الصلة بين العبد وخالقه... ويوحى بالتنافس في رضاه؛ يؤدي إلى انفصال المجتمع الإسلامي عن تشريعاته، ويتسبب في إيجاد هوة عميقة تفصل بين واقع الناس، وما يُلقَى إليهم من أحكام، فيعمدون إلى تأويلها والتحايل على إخضاعها لواقعهم، وكلما اتسعت الفجوة اشتدت الجفوة، وهى سلطان هذه الأحكام،

واستخفَّ الناس بها، فيصبح الناس وعلاقاتهم في جانب، وسلوكهم في جانب،  
وتتبع الأحكام والتشريعات في جانب قَصِيٍّ عنها لا تأثير لها ولا حياة فيها.  
وقد حرص المحدثون على الفقه بهذا المعنى السِّلَفي النابض بالحياة،  
والذي تَسْري فيه حرارةُ الإيمان... وهذا الفقه الصادر من حسِّ إلهي، ووجدان  
ديني، واستمساك بالأخلاق والقيم، لم يكن يتمثِّل في فقه أيٍّ من المذاهب في  
أوضح صورة وأبَّهاها، كما كان يتمثِّل في فقه المحدثين...»<sup>(١)</sup>.

#### ١١ - اتباع الصحابة؛ علماً، وعملاً:

فمن أهمِّ المعالم الدالة على حقيقة اتباعه ﷺ؛ هو اتباع صحابته رضي الله عنهم في  
علمهم، وعملهم بالإسلام، في هديهم وفهومهم، وكذا بإكرامهم، ونشر  
فضائلهم ومناقبهم، وعدم الإساءة إليهم، أو الخوض في الحديث عن أخطائهم  
وما جرى بينهم...

وهذا من سلوك سبيل المؤمنين، كما كان سلف الأمة الأخيار؛ حيث  
خدموا علم الصحابة وعملهم أيما خدمة؛ فدوّنوا آثارهم، وصنّفوها، ورتّبوها،  
بل ونصّوا على حجيتها وعدم جواز الخروج عنها. فلنواصل إذن على منوالهم،

(١) الاتجاهات الفقهية ص ٤١٣...٤١٦ بتصرف.





والسير على خطاهم.

وفضائلهم ﷺ عديدة وفيرة منها؛ قوله ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث العُرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لهم: «وإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسُنَّتِي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَصُوا عليها بالنَّوَاجِدِ...».

قال الحافظ ابن رجب: «وفي أمره ﷺ باتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين؛ دليلٌ على أن سنة الخلفاء الراشدين مُتَّبَعَةٌ، كاتِّبَاعِ سنته، بخلاف غيرهم...»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضا: «هذا إخبار منه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه... وفي الحديث أمرٌ عند الافتراق والاختلاف؛ بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة = هي الطريقة

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨) - ومسلم ١٦/٨٤، ٨٦.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/١٢١-١٢٦.

المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات، والأعمال، والأقوال، هذه هي السنة الكاملة»<sup>(١)</sup>.

والنبي ﷺ إنما جعل كلمته هذه وصيةً لأئمة من بعده، ثم قابل الاختلاف الذي سيقع بالأمة بالتزام هذا المنهج أي منهج الخلفاء الراشدين، مما يدل على أصالة هذا الضابط، وأنه سبب النجاة من التفرق، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «فَقَرَنَ ﷺ كما ترى سنة الخلفاء الراشدين بسنته، وأن من اتبع سنته اتباع سنتهم، وأن المحدثات خلاف ذلك...»<sup>(٢)</sup>.

لذا، فلا طريق لمن أراد أن يستمسك بدينه، ويتبع رسول الله ﷺ اتباعاً نقياً صحيحاً، إلا أن يضبط فهمه للنصوص الصحيحة واستيعابه لها، وعمله على تنفيذها؛ بالطريقة التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم، ومن جاء بعدهم ممن سار على نهجهم، حذو القذة بالقذة؛ نظراً لكون النبي ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى - قد حدّد أن الحق هو ما كان عليه هو وأصحابه الكرام، وبخاصة مع قلّة العلم وانتشار الأهواء، وكثرة الخلاف والتنازع، مما يدعو بإلحاح إلى إحياء طريق السلف ولزومها، وما أحسن نصيحة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال:

(١) نفسه ٢/ ١٢٠.

(٢) الاعتصام ١/ ١٠٤.



عِزُّ الْأُمَّةِ؛ فِي اتِّبَاعِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ

«من كان منكم متأسياً، فليتأس بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه  
الأمّة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها خلالاً، قومٌ  
اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ، فاعرفوا لهم قدرهم، واتّبعوهم في آثارهم، فإنهم  
كانوا على الهدى المستقيم»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ٩٤٧/٢ رقم (١٨١٠).

### المبحث الثالث

#### أهمية اتباع نبي الرحمة ﷺ، وخطوات عملية في طريق تحقيقه

وهذا الآن بيان لأهم الخطوات العملية؛ التي أراها مناسبة جدا في تحقيق اتباع نبي الرحمة ﷺ، وإحياء ذلك في النفوس، وتجديده في واقع الأمة.

١ - قيمة الاتباع، وآثاره الإيجابية على الفرد، وعلى الأمة:  
أ/ الاتباع أحد أركان الإسلام:

لا يتحقق إسلام المرء إلا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فلا معبود بحق إلا الله، ولا متبع بحق إلا رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

يقول ابن تيمية: «وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان، أحدهما: ألا نعبد إلا الله، والثاني: ألا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بعبادة مبتدعة، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»<sup>(١)</sup>، ويقول ابن القيم: «فلا يكون العبد متحققاً بـ ﴿إِلَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلا بأصلين عظيمين أحدهما: متابعة



الرسول ﷺ، والثاني: الإخلاص للمعبود<sup>(١)</sup>، ويقول ابن أبي العز الحنفي: «فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المُرسَل، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

فتحقيق اتباع نبي الرحمة ﷺ هو تحقيق لأركان الإسلام ودعائمه المتينة، وهو الأساس الذي قام عليه علم الأمة وصرحها الشامخ أيام عزها وسؤدها، وهو معلم رئيس من معالم أهل السنة والجماعة على اختلاف أمصارهم وأزمانهم، يقول الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: «مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذاهب أهل الأثر، مثل الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، ولزوم الكتاب والسنة».

ونعتقد أن الله ﷻ على عرشه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأن الإيمان يزيد وينقص، ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وبالمساءلة في القبر، وبالشفاعاة، ونترحم على جميع الصحابة...»<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين ١/ ١٠٤.

(٢) شرح الطحاوية ١/ ٢٢٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٠.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة»<sup>(١)</sup>.

### ب/ الاتباع أساس قبول العمل:

لا قبول لعمل العبد إلا بالاتباع والموافقة لما جاء به النبي ﷺ، بل إن العمل بلا اتباع وتأس لا يزيد عامله من الله إلا بُعداً؛ لأن الله تعالى إنما يُعبد بأمره الذي بعث به رسوله ﷺ، لا بالآراء والأهواء؛ قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ»، وقال الحسن البصري: «لا يصح القول إلا بعمل، ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الحافظ ابن رجب: «فكما أن كل عمل لا يُراد به وجهُ الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمرُ الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ١/ ٧٩ رقم (٧٤).

(٢) نفسه ١/ ٦٣ رقم (١٨).

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ١٧٦.

## ج/ الاتباع من صفات المؤمنين، وسبب دخول الجنة:

يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١ - ٥٢]، كما نفى الله ﷻ الإيذان عمن أعرض عن طاعة الرسول ﷺ، ولم يرص بحكمه قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، فهؤلاء المستسلمون المتبعون هم المؤمنون حقاً، المستحقون لنعيم الجنة.

قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»<sup>(١)</sup>، وقال الزهري رحمه الله: «الاعتصام بالسنة نجاة»<sup>(٢)</sup>.

## د/ الاتباع دليل محبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ:

الذين يقولون أنهم يحبون الله تعالى، ويحبون نبي الرحمة ﷺ؛ هم أكثر لا يُحصون؛ لكن الذين تصدق أفعالهم أقوالهم هم قلة في الناس، وأهم أدلة المحبة

(١) رواه البخاري في «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» رقم (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ١/ ٦٢ رقم (١٥).

هي متابعة الرسول ﷺ، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، يقول ابن تيمية: «وما ينبغي التفتن له أن الله سبحانه قال في كتابه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، قال طائفة من السلف: ادعى قومٌ على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية، فيبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحنَ الله بها أهل دعوى محبة الله؛ فإنَّ هذه الباب تكثر فيها الدعاوى، والاشتباه<sup>(١)</sup>، ويقول ابن كثير: «هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر؛ حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن القيم: «ثباتها - أي محبة الله - إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله، وأقواله، وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانها يكون نقصانها»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى ٨١ / ١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٥٨ / ١.

(٣) مدارج السالكين ٣٧ / ٣.



## ٢ - من فوائد الاتباع عَزَّ الْأَمَّةُ:

إن عز الأمة وسؤدها إنما هو في تحقيق الاتباع الصحيح لنبي الرحمة ﷺ؛  
تعلمنا لسنته وهديه، وعملا به في جميع مجالات الحياة؛ عقيدة، وشريعة، آدابا  
وأخلاقا، وتلك هي النصرة الحقة لرسول الله ﷺ.

فاتباعه ﷺ هو صمام الأمان من الإساءة إليه، فقد وعد الله ﷻ بنصرة  
رسله وتأييده لهم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ [١٧١-١٧٣]، ومن كان لهم مُتَبِعًا كان له  
﴿وَأِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلِيْبُونَ﴾ [الصفات: ١٧١-١٧٣]، ومن كان لهم مُتَبِعًا كان له  
مثل ما لهم من النُّصْرَة والتأييد، كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة  
والسلام ولأتباعهما: ﴿أَنْتُمْ وَمَنْ أَتْبَعَكُمْ مِنَ الْغَلِيْبُونَ﴾ [القصص: ٣٥]، وقال لعيسى  
عليه الصلاة والسلام ولأتباعه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَثَلُ الْفَكْرِ الْإِنْسَانِ  
وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الْذِّنِّ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران ٥٥].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كل من كان متبعا للرسول ﷺ كان الله معه  
بحسب هذا الاتباع، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي حسبك وحسب من اتبعك، فكل من اتبع  
الرسول من جميع المؤمنين؛ فالله حَسْبُهُ، وهذا معنى كون الله معه، والكفاية

المطلقة مع الاتباع المطلق، والناقصة مع الناقص».

وفي المقابل، فما تجرأ الأعداء اليوم على مقام النبوة إلا بسبب مخالفتنا للرسول ﷺ.

فكما أن أتباع الرسل منصورون، فإن مخالفيهم مخذولون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، وقال ﷺ: «وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصُّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»<sup>(١)</sup>، يقول ابن تيمية: «والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة»<sup>(٢)</sup>.

وقد أجمع عقلاء أهل العلم على أن أعظم أسباب الهزيمة وتمكن الأعداء؛ هو التنازع، وأشدّه التنازع في الدين، والتنازع سببه التقصير في طاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ، لذلك قرن الله بينهما فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٥٠ - وابن أبي شيبة في «المصنف» كتاب الجهاد، باب: ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ٢٩/ ٧ رقم (١٩٦٢٩) - والبخاري معلقاً في «كتاب الجهاد، باب: ما قيل في الرماح» عند الحديث رقم (٢٩١٤)؛ كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.  
والحديث سكت عنه الحافظ ابن حجر في (الفتح) ٦/ ١٢٠ - وحسنه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» رقم (١٢٦٩).

(٢) الاستقامة ١/ ٤٢.

تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴿ [الأنفال: ٤٦]، كما نبّه إلى ذلك النبي ﷺ بعد إعلامه أمّته بحدوث الخلاف فيها، وأن لزوم السنة هو سفينة النجاة في بحر الاختلاف: «وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي». نعم، فسفينة نجاة الأمة، وبرّ الأمان لها إنما هو في اتباع نبيّ الرحمة ﷺ، ولزوم سنته علماً، وعملاً.

### ٣ - تأصيل ثقافة الاتباع في الأوساط العلمية والتربوية:

من الخطوات العملية المهمة في طريق تحقيق الاتباع الصحيح لنبي الرحمة ﷺ، هو نشر هذه المعالم والهدايات في الأوساط العلمية، والتربوية، والدعوية، وجعلها ثقافة يُدندن حولها الكل؛ معلمين، وأساتذة، وخطباء، ومدرسين حتى ترسخ في النفوس، وتتأصل فيها، وتتمكن من شغاف قلوب المؤمنين عندها تُصبح قضية الاتباع حقيقةً علمية، وسلوكاً عملياً تعيشه الأمة، ولا تنفك عنه في عقائدها، وعباداتها، ومعاملاتها، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

### ٤ - نشر ثقافة الاتباع؛ بالتربية والتعليم المتواصلين:

ومن الخطوات العملية الأساسية لتحقيق اتباع نبي الرحمة ﷺ؛ السعي لنشر ثقافة الاتباع وترسيخها في الأمة، وبذل الأوقات والأموال والجهود

لتحقيق ذلك المقصد العظيم، ويتحقق ذلك بالتربية والتعليم المتواصلين عبر جميع الوسائل المشروعة في المساجد، والمؤسسات التربوية كلّها، والمعاهد والجامعات، ووسائل الإعلام المقروءة والمرئية بالخطب، والدروس والمحاضرات العلمية المتواصلة، وتقدير المواد الدراسية المختلفة والمتنوعة على جميع المستويات.

تتناول تأصيل قضية الاتباع من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، وبيان حقوق المصطفى ﷺ، وتعليم سننه وهداياته، وشمائله وأخلاقه ﷺ، وتدرّيس سيرته العطرة، مع التركيز أساساً على تقريب دواوين السنة بمختلف تصنيفاتها للأمة، وتعليمها إيّاها.

مع التنبيه إلى أنه لا ينبغي أن تُصرف الجهود والأوقات في سبّ الطاعنين في السنة النبوية وانتقادهم إلا في حدود أداء الواجب؛ لأن ذلك مما يصرفنا عن أداء الواجب الحقيقي وهو تعليم الأمة سنة نبيها ونشر ثقافة الاتباع في أوساطها.

\*\*\*

## الْخِثَامَةُ

وختاماً أقول: لا شك أن حقَّ المصطفى ﷺ على متّبعيه عظيم، وإن طريق الهداية منوطة بطاعته ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾، وكل الأبواب مغلقة إلا باب اتباعه عليه الصلاة والسلام، وإن عز الأمة وسؤدها إنما هو في تحقيق الاتباع الصحيح والتام لنبي الرحمة ﷺ؛ تعلمنا لسنته وهديه، وعملاً بهما في جميع مجالات الحياة، وتلك هي النصرة الحقة لرسول الله ﷺ.

كما أنه يجب علينا أن نعلم ونستيقن أن اتباعه ﷺ هو صِمام الأمان من الإساءة إليه، كما وعد الله ﷻ بذلك رسله وأتباعهم بنصرهم وتأييده لهم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْأَمْرَ سَلِينِ﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ ﴿وَأِنْ جُنَدْنَا لَهُمْ أَلْغَلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

لأن الأعداء ما تجرؤوا اليوم على مقام النبوة إلا بسبب تقصيرنا في اتباع نبي الرحمة ﷺ، فمخالفتنا للسنة النبوية هي سبب الخذلان، والذل والهوان، والتفرق والتشتت، ومن ثم تسلط الأعداء، الذي نعيشه هذه الأيام. فالواجب هو العودة بحق، وصدق، وعزم إلى حظيرة السنة النبوية،

وتحقيق معنى الاتباع للمصطفى عليه الصلاة والسلام؛ فسفينة نجاة الأمة، وبرّ الأمان لها إنما هو في اتباع نبي الرحمة ﷺ، ولزوم سنته؛ علماً، وعملاً.  
والله أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

\*\*\*

## قَائِمَةُ الْمُرْجِعِ

- (١) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث خلال القرن الثالث الهجري، د. عبد المجيد محمود.
- (٢) اختلاف الحديث، محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٣) الاستقامة، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية - تحقيق: محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة، ط٢.
- (٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية - المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) - مكتبة دار الفيحاء، دمشق - ومكتبة دار السلام، الرياض - ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٧) جامع الأصول من أحاديث الرسول، مبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ) - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- (٨) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر - دار ابن الجوزي، السعودية.
- (٩) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي - تحقيق شعيب الأرنؤوط، الجزائر، ط ١، ١٤١١هـ.
- (١٠) السنن، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) - دار الكتاب العربي، بيروت.
- (١١) السنن، سعيد بن منصور (٢٢٧هـ) - تحقيق: د. سعد الحميد - دار الصميقي، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (١٢) السنن، سليمان بن الأشعث أبو داود (٢٧٥هـ) - دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- (١٣) السنن (أو: المسند)، عبد الله بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ) - دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- (١٤) السنن، علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ) - عالم الكتب، بيروت، ط ٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (١٥) السنن، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار عمران، بيروت.
- (١٦) السنن، محمد بن يزيد بن ماجه (٢٧٥هـ) - دار الفكر، بيروت.
- (١٧) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) - دار الفكر.
- (١٨) سير أعلام النبلاء، الذهبي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٤١٧هـ.



- (١٩) صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ) - تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (٢٠) صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني - مؤسسة غراس، الكويت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- (٢١) صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين النووي - دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- (٢٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله اللالكائي - تحقيق: د. أحمد بن سعد الغامدي - دار طيبة، الرياض، ط ٨، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- (٢٣) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علي بن أبي العز الحنفي (٧٣١هـ) - تقديم: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وتحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، بيروت - ط ٣، ١٤١٢هـ.
- (٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ) - دار السلام، الرياض، ومكتبة الفيحاء، دمشق، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٢٥) فتح القدير، محمد بن علي للشوكاني - طبع البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٨٣هـ.
- (٢٦) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (٧٢٨هـ) - جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، الرباط.
- (٢٧) المسند، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) - دار الفكر، بيروت.

- (٢٨) المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة (٢٣٥هـ) - تحقيق: عامر العمري الأعظمي - الدار السلفية، بومباي، الهند، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (٢٩) الموافقات في أصول الأحكام، أبو إسحاق الشاطبي - تعليق: محمد حسنين مخلوف - دار الفكر.
- (٣٠) الموطأ، مالك بن أنس (١٧٩هـ)، رواية أبي مصعب الزهري - تحقيق: د. بشار عواد معروف، ومحمود محمد خليل - مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (٣١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور - دار المعارف.
- (٣٢) «اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين»، فيصل بن علي البعداني - مقال منشور على شبكة الانترنت.

\*\*\*



# حقيقة الاتِّباع لنبيِّنا المُطاع ﷺ

إعداد

وليد بن سيف النصر

ابيض

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فخير هدي عرفته البشرية هدي محمد ﷺ، لذا رأيت أن أسهم في (مؤتمر: نبي الرحمة) بشيء يسير في بيان مكانة السنة والحث على اتباعها، وبيان حقيقة الاتباع للنبي ﷺ وسنته، إذ إن اتباع النبي ﷺ، ونشر سنته، والقيام بحق الله فيها هو أعظم سبيل للدفاع عنه ﷺ، فإنه هو الغاية العظمى من كل هذه الجهود المباركة.

وهذا يوجب بيان ما عليه الطوائف المبتدعة - بإجمال - التي وقفت وقفات شنيعة مشينة في وجه السنة النبوية واتباعها، وقدّموا لأعداء الإسلام خدمة لم تخطر لهم على قلب.

فالجفاة عن السنة كثيرون، والانحراف في هذا الباب طل بقرنيه، نخراً في جسد الأمة، وكاد يفتك بها لولا رسوخ السنة وشموخها، وهم مع ذلك أنواع، وجميعهم يحسبون أنفسهم متّبعين، وكلهم يزعم أنه صاحب دعوة الحق، ولم

ينكر أحد منهم السنة كلها، بل من أصولهم اتباع السنة والحديث، ولكن يؤمنون ببعض السنة وينكرون بعضاً، فأين هم من حقيقة الاتباع؟!

وكل يدّعي وصلاً بليلي \* وليلى لا تقر لهم بذاكا  
ولست أريد هنا الردّ على الصّادين عن السنة من المستشرقين وأذناهم،  
وشبهاتهم، فإن هؤلاء أنكروها من جذورها، وسعوا بكل ما أوتوا من جدلٍ في  
تكذيبها وإنكارها.

وأنا في هذه المقدمة أشير إلى أذئاب هؤلاء المستشرقين في العصر الحديث  
من أمثال: محمد عبده، والدكتور توفيق صدقي، وأحمد أمين، حتى نشر إسماعيل  
أدهم رسالته سنة ١٣٥٣هـ وصرح فيها بأن أحاديث الصحيحين «ليست ثابتة  
الأصول والدعائم، بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع».

حتى حمل الراية أبو رية، ونشر كتبه الضالة، والتي منها: «أضواء  
على السنة المحمدية»، ثم ألف بعض المعاصرين على نسقه. وهؤلاء لهم أسوة  
بقوم سابقين من بعض المعتزلة والروافض ونحوهم.

ثم إن بيان زغل المستشرقين وضلالاهم والرد عليهم يحتاج إلى مؤلفات  
ومجلدات، وشبهاتهم لم ترج - والله الحمد - إلا على بعض المتلقفين من هذه الأمة من  
مدعي الثقافة، وقد قام جمع من أهل العلم وطلابه بالردّ عليهم، وشبهاتهم لا



تنقضي، وكأن من منهجهم إشغال العلماء وطلاب العلم بالردّ عليهم لضياع أوقاتهم وأعمارهم بذلك، ونحن نشير إلى بعض ما أُلّف في الرد عليهم، وأرى أن معرفة سبيل ومنهج هؤلاء أهم من معرفة الردّ على كل صغيرة وكبيرة يلقونها في الأمة لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

فمن الكتب النافعة في الرد على المستشرقين وأذناهم والمتأثرين بهم كتاب: «زوابع في وجه السنة» للشيخ الفاضل صلاح الدين مقبول، وكتاب: «السنة ومكانتها في التشريع» للشيخ السباعي، وكتاب: «الأنوار الكاشفة»، وكتاب: «ظلمات أبي رية» كلاهما للعلامة العلمي اليماني، «دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه»، و«دفاع عن السنة» كلاهما للشيخ الدكتور محمد أبوشهبة، وكتاب: «دراسات في الحديث النبوي» للدكتور محمد مصطفى الأعظمي وغيرها.

وسأذكر - بعون الله تعالى - بعض ما أطلعت عليه من كلام قيم لأهل العلم في حقيقة الاتباع، وحقيقة مخالفه.

#### خطة البحث:

قسمت البحث إلى أربعة فصول، وخاتمة:

- الفصل الأول: عظم شأن الاتباع، وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مقدمة في حقيقة الاتباع، وبيان أنه نوع من التوحيد.
- المبحث الثاني: مكانة السنة ومنزلتها، وكيف انتفع السلف بها، وتعاملوا معها؟
- المبحث الثالث: أهل الحديث هم أهل الاتباع حقاً وصدقاً.
- الفصل الثاني: الأمر بالاتباع وثماره اليانعة، وما يترتب على التهاون به، وينقسم إلى مبحثين:
  - المبحث الأول: أهمية وثمار الاتباع.
  - المبحث الثاني: الآثار السيئة المترتبة على ترك الاتباع في الدنيا والآخرة.
  - الفصل الثالث: عوائق في وجه الاتباع.
  - الفصل الرابع: الأسباب المعينة على الاتباع.
- الخاتمة.

هذا والله - تعالى - أسأل أن يرزقنا السداد في القول والعمل، وأن يمن علينا بحسن الاتباع إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

\*\*\*





## الفصل الأول

### عِظَمُ شَأْنِ الْإِتِّبَاعِ

مما لا شك فيه أن اتباع النبي ﷺ له حقيقة طالما غفل كثير من الناس عنها، وادعى كثير منهم الاتباع، ولكنه لا يعلم حقيقته، أو لا يحسنه، بل قد يقف في وجهه ويصد عنه، ويحسب أنه يحسن صنعاً، وفيما يأتي بيان لقدر الاتباع وأهميته، ولنرى كيف علم السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان حقيقته، وكيف قاموا به على الوجه الأكمل، وكانوا قدوة صالحة، وأسوة حسنة لمن جاء بعدهم كما يأتي بعض الأمثلة لذلك.

\*\*\*

## المبحث الأول

### توحيد اتباع النبي ﷺ

إن الكلام على قضية اتباع النبي ﷺ مهم جداً؛ لأن الإيمان بذلك هو من مقتضيات الشطر الثاني من الشهادتين، وهو من التوحيد الذي شرعه الله تعالى لعباده، ولا يصح عمل ولا يقبل إلا بشرطين هما الإخلاص لله تعالى، وموافقة سنة النبي ﷺ.

وعلى الرغم من كثرة النصوص المنقولة في هذه المسألة، ووضوحها في الكتاب والسنة، وبيان أهل العلم من السلف والخلف لها، ومن أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وأئمة الدعوة النجدية رحمهم الله جميعاً.

فإننا نرى تقصير البعض في اتباع السنة، وليس معنى قولنا بتوحيد الاتباع يعني أنه قسيم لأنواع التوحيد الثلاثة المشهورة، فإن هذه الأنواع متعلقة بتوحيدنا لربنا ﷻ، وأما توحيد الاتباع متعلق بالنبي ﷺ وإفراده دون من سواه من البشر بالاتباع، والانقياد لأمره، ولا يتحقق التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بالاتباع للنبي ﷺ، والرجوع إلى سنته الصحيحة.

أما التقليد، وتقديم آراء وأقوال الرجال في العقائد، والتحليل والتحريم



ونحوه على قول النبي ﷺ فقادح في الإيِّان، وثالم فيه، قال أبو عمر بن عبد البر: قد ذم الله - تبارك وتعالى - التقليد في غير موضع من كتابه فقال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۚ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١)، وصح عن حذيفة وغيره قال: «لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أحلُّوا لهم، وحرَّموا عليهم فاتَّبِعُوهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الشافعي رحمه الله: «من قلَّد معيَّنًا في تحريم شيء أو تحليله وقد ثبت الحديث الصحيح على خلافه، ومنَعَهُ التَّقْلِيدُ عن العمل بالسنة، فقد اتخذ من قلَّده ربًّا من دون الله تعالى، يُحِلُّ له ما حرَّم الله، ويُحرِّم عليه ما أحلَّ الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون»<sup>(٢)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

---

(١) حسن: رواه ابن جرير (١٠/١١٤)، فإنه أثر في تفسير الآية، وقد قال بعضهم: إن تفسير الصحابي له حكم المرفوع، وله شاهد من حديث عدي رواه الترمذي (٣٠٩٥)، حسنه شيخنا الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٧١).

(٢) هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان (ص ٦٩)، ومثله عن الشوكاني في «فتح القدير» (٣٤٨/١).

لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿النساء: ٦٥﴾. وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣).

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «قال بعض علماء السنة: كل من صح عنده  
شيء من أمر رسول الله ﷺ، ونهيه بلا معارض له يعرفه من حديثه، أو ناسخ له  
ثم قال: قال رسول الله كذا، وأنا أقول بخلافه، فقد تكلم بعظيم... فمن قَبِلَ عن  
النبي ﷺ فإنما يقبل عن الله، ومن رَدَّ عليه فإنما يردُّ على الله، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ  
الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: ٨٠).<sup>(١)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾  
(الكوثر: ٣): «فالحذر الحذر من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده  
لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك، أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو  
الدنيا... فلو خالف العبد جميع الخلق، واتبع الرسول ﷺ ما سأله الله عن مخالفة  
أحد... فاعلم ذلك واسمع، وأطع واتبع، ولا تبتدع تكن أبتَر مردوداً عليك  
عملك، بل لا خير في عمل أبتَر من الاتباع، ولا خير في عامله، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٨).

وقال الإمام ابن القيم، وكذا ابن أبي العز الحنفي - شارح الطحاوية - رحمهما الله: «توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسل (ﷺ)، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يُحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف في تنفيذ أمره، وتصديق خبره، على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفّذه، وقيل خبره، وإلا فإن طلب السلامة: أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وإلا حرّفه عن مواضعه، وسمّى تحريفه: تأويلاً، وحملًا، فقال: نؤوله ونحمله. فلأن يلقي العبد ربّه بكل ذنب على الإطلاق - ما خلا الشرك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال»<sup>(١)</sup>.

وقد سئل شيخنا العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «عن سؤال يتعلق بأقسام التوحيد وأنواعه»<sup>(٢)</sup> فقال: «هذا مأخوذ من الاستقراء؛ لأن العلماء لما استقروا ما جاءت به

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص ٤٥١ / ط الأوقاف بالإمارات)، و«شرح الطحاوية» (/ ص ٢١٧ ط المكتب الإسلامي)، وكتاب: «الاتباع» لابن أبي العز (ص ٧٩، ٨٠)، وينظر «جهود علماء الحنفية» (١/ ١٠٥: ١٠٦) لشمس الأفغاني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) تنبيه: ولا نقول بإفراد ما يُسمى بتوحيد الحاكمية، كما قال بعض من لا علم عنده، فإنهم جعلوه قسماً لأنواع التوحيد الثلاثة لجهلهم بحقيقة أمر التوحيد، أو لغفلتهم، أو لغلوهم في مسألة الحكم والتحاكم والتحكيم، فإن ذلك داخل في جميع أنواع التوحيد بحسب المقصد من الحاكمية المذكورة.

النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعاً رابعاً هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء..... ويجد آيات تدل على وجوب اتباع الرسول ﷺ ورفض ما خالف شرعه، وهذا هو توحيد المتابعة، فهذا قد عُلِمَ بالاستقراء وتتبع الآيات ودراسة السنة....»<sup>(١)</sup>.

وقال الأخ محمد عبد الوهاب الوصابي - حفظه الله - : «سألت عنه (أي: توحيد المتابعة) الشيخ الألباني رحمه الله حين التقيتُ به فأكد من شأنه وقال: بأنه ممن يدعو إليه»، وسألت عنه الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي رحمه الله فأكد من شأنه وقال: اثبت ولا تبال بهم»<sup>(٢)</sup>.

«وقال شيخنا العلامة الألباني رحمه الله: «واعلم أيها الأخ المسلم، أنه لا يمكن لأحد أن يرقى إلى هذه المنزلة من الحب لله ورسوله؛ إلا بتوحيد الله تعالى في عبادته دون سواه، وبإفراد النبي ﷺ بالاتباع دون غيره من عباد الله؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا اتباعي». (حسن) قلت: فإذا كان مثل موسى كليم

(١) مجموع الفتاوى لابن باز (١/ ٨٤: ٨٧).

(٢) القول المفيد في أدلة التوحيد (ص ٨٥).



الله لا يسعه أن يتبع غير النبي ﷺ، فهل يسع ذلك غيره؟! فهذا من الأدلة القاطعة على وجوب إفراد النبي ﷺ في الاتباع، وهو من لوازم شهادة «أن محمداً رسول الله» «ولذلك جعل الله تبارك وتعالى في الآية المتقدمة اتباعه ﷺ - دون سواه - دليلاً على حب الله إياه»<sup>(١)</sup>.

وقال فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: «قد يُقسَم التوحيد عند طائفة من أهل العلم إلى أربعة أقسام، ويجعلون الرابع توحيد المتابعة، يعني متابعة النبي ﷺ، وهم يقصدون بهذا التقسيم ما دلَّت عليه الشهادتان، فإذا قالوا (توحيد الله) قالوا ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وإذا قالوا (التوحيد) بدون الإضافة إلى الله ﷻ، جعلوه أربعة أقسام؛ ثلاثة مختصة بالله ﷻ، والرابع هو: توحيد المتابعة للنبي ﷺ؛ لأنه لا يُتَّبَع في التشريع غير المصطفى ﷺ»<sup>(٢)</sup>. وهو مع هذا مستلزم لتوحيد الإلهية؛ إذ لا يمكن أن نعبد الله حق عبادته إلا بما جاء عن النبي ﷺ.

\*\*\*

- (١) من مقدمة تحريم آلات الطرب/ ص ١٦. وقد يسميه بعضهم بتوحيد الطريق كما في نونية ابن القيم (ص ١٥٧).
- (٢) تفريغ شرح الطحاوية ١٢/ ١ من «المكتبة الشاملة»، وكذا شرحه للعقيدة الواسطية ١٣/ ١.

## المبحث الثاني

مكانة السنة ومنزلتها، وكيف انتفع السلفُ بها، وتعاملوا معها؟

مَنْزِلَةُ السَّنة فِي الْإِسْلَامِ:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤)، فبين ﷺ كتابَ ربه بالسنة، قولاً وفعلًا وتقريراً أتمَّ بيانٍ، وتركنا على مثل البَيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

فالسنة وحياة النبي ﷺ وسيرته، وأخلاقه، وآدابه - إذن - توضيح وتفسير للقرآن الكريم، فهي بيان لمجمله، وتقييد لمطلقه، وتخصيص لعامه، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣-٤)، فلا يجوز - والحالة هذه - أن تضرب السنة بالقرآن، أو يتوقف عن العمل بها حتى ينظر فيه هل هي موافقة لظواهر الكتاب أم لا؟ وهل قال بها أحد من العلماء بعدها أم لا؟ وهل توافق القياس والمعقول أم لا؟ إذ كله وحْيٌ.

وقد جاء في حديث المقدام بن معدٍ كَرِبَ عن النبي ﷺ: «ألا إني أُوتِيتُ الكتابَ ومثلُهُ، ألا إني أُوتِيتُ القرآنَ ومثلُهُ، ألا إنه يوشك رجلٌ شبعانٌ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما





وجدتم فيه من حرام فحرموه» وفي رواية: «ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي نضرة قال: كنا عند عمران بن حصين رضي الله عنه فجعل يحدثنا فقال رجل - فكأنه كره الحديث عن رسول الله ﷺ - حدثنا عن كتاب الله: فغضب عمران وقال: «إنك أحمق، ذكر الله الزكاة في كتابه فأين في مئتين خمسة دراهم؟، وذكر الصلاة في كتابه فأين الظهر أربعاً؟،... إنما يحكم ما هناك وتفسره السنة»<sup>(٢)</sup>.

عن حماد بن زيد عن أيوب قال رجل لمطرف بن عبد الله بن الشخير: إنا نريد كتاب الله، فقال مطرف: «إنا لا نريد بكتاب الله بديلاً، ولكن نريد من هو أعلم به منا»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الشافعي: «وتقام سنة رسول الله ﷺ مع كتاب الله وَعَلَيْكُمْ مقام البيان عن الله وَعَلَيْكُمْ وليس شيء من سنن رسول الله ﷺ يخالف كتاب الله في حال؛ لأن الله تعالى قد أعلم خلقه أن رسوله ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٨٤٨).

(٢) صحيح: خرجته في «الشریعة» (١٠٤).

(٣) صحيح: ينظر «صحيح جامع بيان العلم» (ح ١٦٩٨).

(٤) الرسالة.

وعن مكحول قال: «القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن قال: تعرض السنة على القرآن فإن وافقت ظاهره وإلا استعملنا ظاهر القرآن، وتركنا الحديث، فهذا جهل، وقد قصَّ الله علينا أن ننتهي إلى سنة نبيه، وليس لنا معها من الأمر شيء إلا التسليم لها واتباعها»<sup>(٢)</sup>.

وقول أيوب السخيتي: «إذا حدث الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا وحدثنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال»<sup>(٣)</sup>.

### تسليم السلف لنصوص الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وعن أبي سعيد رضي الله عنه «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه (في رواية: استطلق بطنه)، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثانية فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثالثة فقال:

(١) إسناده صحيح: رواه ابن عبد البر «جامع بيان العلم» (ح ٢٣٥٢).

(٢) الحجة (٢/ ٣٠٦).

(٣) الحجة (٢/ ٤٩٤).



«اسقه عسلاً»، ثم أتاه فقال: فعلت، (وفي رواية: إني سقيته فلم يزدہ إلا استطلاقاً)، فقال: «صدق الله وكذبت بطن أخيك، اسقه عسلاً»، فسقاه، فبرأ»<sup>(١)</sup>.

وقد تحدث أبو معاوية بحديث أبي هريرة «احتج آدم وموسى» في مجلس هارون الرشيد، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ فوثب به هارون وقال: يحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارضه بكيف؟! اهـ<sup>(٢)</sup>، وقد خاب وخسر من عارض الحديث بشبهة لم وكيف؟!

قال شارح الطحاوية رحمه الله: «فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً، أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فنوحده ﷺ بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحده المرسل ﷺ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل»<sup>(٣)</sup>، وقد وردت أدلة كثيرة في هذا المعنى اكتفينا بما ذكرنا اختصاراً.

(١) رواه البخاري (ح ٥٦٨٤)، والزيادات برقم (٥٧١٦).

(٢) عقيدة أصحاب الحديث (ص ١٢٩).

(٣) شرح الطحاوية (ص ٢٠٠).

سرعة الاستجابة لله ورسوله:

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ<sup>ط</sup> وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤).

فعن أبي سعيد ابن المعلّى قال: «كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت، قال: «ما منعك أن تأتيني»، قال: قلت: يا رسول الله! إني كنت أصلي قال: «ألم يقل الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ<sup>ط</sup>﴾»، وفي رواية: (قال: «بلى يا رسول الله ولا أعود»)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري «أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل من الأنصار، فأرسل إليه، فخرج ورأسه يقطر، فقال: «لعلنا أعجلناك؟»، قال: نعم يا رسول الله!...»<sup>(٢)</sup>. قلت: فهذا كان في حال جماعه مع أهله فلما دعاه ﷺ استجاب له وهو على هذه الحال ولم ينتظر حتى يفرغ من قضاء وطره. وعن سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين قال: قال لي أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «أيما رجل أعتق امرأً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار».

قال سعيد بن مرجانة: «فانطلقت به إلى علي بن الحسين، فعمد علي بن

(١) رواه البخاري (ح ٤٦٤٧).

(٢) رواه مسلم (ح ٣٤٥).



الحسين عليه السلام إلى عبد له - قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم أو ألف دينار - فأعتقه»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس «استأذن الحر بن قيس لعينة بن حصن ليدخل على عمر، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه عليه السلام: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقفاً عند كتاب الله»<sup>(٢)</sup>.

تعظيم السلف للنبي ﷺ وسنته، والانتصار لها:  
فعن أنس قال: «قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال: فانطلق إليه، وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك».  
فقال رجل من الأنصار: «والله! لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك،

(١) رواه البخاري (٢٥١٧).

(٢) متفق عليه.

قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه، قال فغضب لكل واحد منها أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها» قال: فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لئلمنعن، قال: فأقبل عليه عبد الله فسيه سباً سيئاً، ما سمعته سيه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لئلمنعن!»<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن مغفل «أنه رأى رجلاً يخذف فقال له: لا تخذف فإن رسول الله ﷺ: «نهى عن الخذف أو كان يكره الخذف» وقال: «إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقد العين». ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف! لا أكلمك كذا وكذا»<sup>(٣)</sup>.

وعن عمرو بن دينار عن سالم أنه ذكر قول عمر في الطيب (يعني عند الإحرام) ثم قال: قالت عائشة: «كنت أطيّب رسول الله ﷺ لإحرامه حين

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٣) متفق عليه.



يحرم...»، قال سالم: «سنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع»<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ عمر أن رجلاً يصوم الدهر، فأتاه فعلاه بالدرة وجعل يقول:

«كُلْ يا دهري»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبدالرحمن بن أبي نعم أنه كان يصوم الدهر، فقال عمرو بن ميمون:

«لو رأى هذا أصحاب محمدٍ لرجموه»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي قتادة قال: «كنا عند عمران بن حصين في رهط منا وفينا بشير بن

كعب فحدثنا عمران - يومئذ - قال رسول الله ﷺ: «الحياءُ خيرٌ كُلُّهُ» قال أو

قال: «الحياءُ كُلُّهُ خيرٌ» فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة

أنَّ منه سكينَةٌ ووقاراً لله، ومنه ضعف قال: فغضب عمران حتى احمرَّت عيناه

وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟!«<sup>(٤)</sup>.

قلت: وقد أنكر الصحابة على كل من خالف الحديث لشبهة عرضت له،

ولم يسلم للنص تسليماً.

(١) فتح الباري (٣/ ٤٦٥).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (ح ٩٥٥٦).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٢٦١).

(٤) رواه مسلم (٢/ ١٠ - ح ٣٧).

وعن ابن أبي ذئب أنه حدث عن رسول الله ﷺ بحديث فقال له رجل: «يا أبا الحارث أتأخذ بهذا؟ فضرِب صدره وصاح عليه صياحاً كثيراً، ونال منه وقال: أحدثُك عن رسول الله ﷺ، وتقول: تأخذ به؟ نعم آخذ به وذلك فرضٌ عليّ وعلى من سمعه إن الله - تبارك وتعالى - اختار محمداً من الناس فهداهم به، وعلى يديه واختار لهم ما اختار له على لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك. قال: وما سكت حتى تمنى أن يسكت»<sup>(١)</sup>.

#### الاعتداء بالسنة والثبات عليها حتى الممات:

لقد حرص السلف على السنة والتمسك بها والثبات عليها، ولو كانت سنناً مستحبة، فلم يتركوها لإنكار منكر بل ولا خوفاً من سلطان أو نحوه، بل لو عُرِض أحدهم على السيف لا يدع ما يعتقده ديناً، وهكذا كان أهل السنة ولا يزال هذا ديدنهم، وهذه كلماتهم، وذاك شأنهم وهجّيرهم، وأذكر بعض الأمثلة على ذلك - بإذن الله - كلها تحض على شدة التمسك والاتباع والثبات حتى الممات. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾

(١) الحجة (١/ ٢٤٥) يراجع زيادة على ذلك كتاب: (إيقاظ الهمّة لاتباع نبي لأمة/ ص ٩٢:





(النساء: ٦٦) فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً وفعلًا.

عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». قال عمر: «فوالله ما حلفت بها منذ سمعتُ رسولَ الله ﷺ نهى عنها، ذاكرًا ولا أثرًا»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي رافع قال: «رأيت أبا هريرة يسجد في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١)، فقلت: تسجد فيه؟ فقال: نعم، رأيت خليلي ﷺ يسجد فيه، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا نخرج زكاة الفطر ورسول الله ﷺ فينا، عن كل صغير وكبير، حر ومملوك، من ثلاثة أصناف: صاعاً من تمر، صاعاً من أقط، صاعاً من شعير، فلم نزل نخرجه كذلك حتى كان معاوية، فرأى أن مدين من بر تعدل صاعاً من تمر.

قال أبو سعيد: «فأما أنا فلا أزال أخرجه، كما كنت أخرجه أبداً ما عشت»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري (١٠٧٨) رواه مسلم (١٠٨/٥-ح ٥٧٨).

(٣) متفق عليه.

ولما حَدَّثَ عبادةٌ بحديث: النهي عن بيع الذهب بالذهب ... قال معاوية: «ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله بأحاديث، قد كنا نشهده ونصحه فلم نسمعها منه». فقام عبادة بن الصامت فأعاد الحديث ثم قال: «لنحدثنَّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية، أو قال: وإن رغم، ما أبالي أن لا أصحبه في جنده في ليلة سوداء»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر قال: «بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ، فقال رجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال رسول الله ﷺ: «من القائل كلمة كذا وكذا؟»، قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: «عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء». قال ابن عمر: «فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وعن سويد بن غفلة «كان يصلي الظهر حين تزول الشمس، فأرسل إليه الحجاج، لا تسبقنا بصلاتنا، فقال سويد: قد صليتها مع أبي بكر وعمر هكذا، والموتُ أقربُ إليَّ من أن أدعها»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٨/١١).

(٢) رواه مسلم (١٣٧/٥).

(٣) إسناده صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٢٣/١)، قال الحافظ: «إسناده قوي» (الفتح =



وهذا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري: قال عنه الذهبي: «كان سيفاً مسلولاً على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظمونه ويتغالون فيه، ويبدلون أرواحهم فيما يأمر به، كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طوداً راسياً في السنة، لا يتزلزل ولا يلين، وقد امتحن مرات وأوذى ونفي من بلده، قال ابن طاهر: سمعته يقول: عُرضْتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت»<sup>(١)</sup>. قلت: ولكن الآن يُطلَب منا أن نترك السنة وألا ندعو إليها وأن نسكت عمن يخالفها!! فرحم الله سلفنا فقد كانوا على ثبات عظيم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أما أهل السنة والحديث فما يعلم من علمائهم، ولا صالح عامتهم أحدٌ رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن والفتن. وهذه حال الأنبياء وأتباعهم، وبالجمله فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة». اهـ. ملخصاً<sup>(٢)</sup>.

= ٢/٤٥٠).

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/٥٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٥٠).

الصدع بالسنة ولو خالف فيها من خالف:

قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤). وفي الحديث أن رجلاً من أهل العراق قام يثني على عثمان وكان أميراً فقام إليه المقداد وجثا على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً، وجعل يحثو في وجهه الحصباء، فلما قال له: عثمان ما شأنك؟ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوا في وجوه المداحين التراب»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية قال: «أما أنا فلا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري «دخل يوم الجمعة، ومروان يخطب، فقام يصلي فجاء الحرس ليجلسوه فأبى حتى صلى، فلما انصرف أتينا فقلنا: رحمك الله إن كادوا ليقعوا بك، فقال: ما كنت لأتركهما بعد شيء رأيته من رسول الله ﷺ، ثم ذكر أن رجلاً جاء يوم الجمعة في هيئة بذة، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فأمره فصلى ركعتين، والنبي ﷺ يخطب»<sup>(٣)</sup>.

عن الحسن قال: «كان معقل بن يسار يتغدى، فسقطت لقمة فأخذها

(١) رواه مسلم (ح ٣٠٠٢).

(٢) ورواه أحمد (ح ٥٦٨٤)، وإسناده صحيح كما قال الوادي في «الجامع» (٥/ ٣٠).

(٣) إسناده حسن: رواه الترمذي (٣/ ٣٠)، وهو في «الجامع الصحيح» للشيخ مقبل (٥/ ٣١).



فأماط ما كان بها من أذى، ثم أكلها، فجعل أولئك الدهاقين يتغامزون به، فقالوا له: ما ترى ما يقول هؤلاء الأعاجم؟ يقولون: انظروا إلى ما بين يديه من الطعام، وإلى ما صنع بهذه اللقمة؟! فقال: «إني لم أكن لأدع ما سمعت من رسول الله ﷺ لهذه الأعاجم، إنا كنا نؤمر إذا سقطت من أحدنا لقمة أن يميط ما بها من الأذى، وأن يأكلها»<sup>(١)</sup>.

وعن مروان بن الحكم قال: «شهدت عثمان وعلياً رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة، وأن يجمع بينهما، فلما رأى علياً أهلاً بهما: لبيك بعمرة وحجة، قال: «ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد»<sup>(٢)</sup>.

وعن وبرة قال: «سأل رجل ابنَ عمر: أطوف بالبيت وقد أحرمم بالحج؟ قال: وما يمنعك؟ قال: إني رأيت ابنَ فلان يكرهه، وأنت أحب إلينا منه، ثم قال: رأينا رسولَ الله ﷺ أحرم بالحج، وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، فسنة الله وسنة رسوله ﷺ أحق أن تتبع، من سنة فلان، إن كنت صادقاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) إسناده صحيح: رواه الدارمي (٢/ ١٣٢)، صححه العلامة الوادعي في «جامعه» (٥/ ٣١).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم (٨/ ٢٩٩، ٢٩٨).

### طلب الحجة والبرهان الثابت الصحيح:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي <sup>ع</sup> وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨). وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١). وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٨). وقوله: ﴿ إِن عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يونس: ٦٨).

وقال ابن القيم: «والمقصود أن الله - سبحانه - سمى علم الحجة سلطاناً؛ لأنها توجب تسلط صاحبها واقتداره، فله بها سلطان على الجاهلين، بل سلطان العلم أعظم من سلطان اليد، ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لا ينقادون لليد، فإن الحجة تنقاد لها القلوب. وأما اليد فإنها ينقاد لها البدن، فالحجة تأسر القلب وتقوده، وتذل المخالف، وإن أظهر العناد والمكابرة فقلبه خاضع لها، ذليل مقهور تحت سلطانها.... فالحجة ناصرة نفسها، ظاهرة على الباطل قاهرة له»<sup>(١)</sup>.

وكانوا يذكرون الدليل والحجة للموالي والعبيد. فعن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه بصاع قمح، فقال: بعه ثم اشتر به شعيراً، فذهب الغلام فأخذ



صاعاً وزيادة بعض صاع، فلما جاء معمرأ أخبره بذلك فقال له معمر: لم فعلتَ ذلك؟ انطلق فردّه، ولا تأخذن إلا مثلاً بمثل، فإني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل»<sup>(١)</sup>.

وكانوا يسألون العالم عن حجته ودليله ولم يعتبروه قلة أدب مع العالم كما يفعل البعض اليوم. فعن عبد الرحمن الأصم قال: «سئل أنس عن التكبير في الصلاة، وأنا أسمع، فقال يكبر إذا رفع وإذا سجد، وإذا رفع رأسه من السجود، وإذا قام بين الركعتين، قال له حكيم: عمّن تحفظ هذا؟ قال: عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، ثم سكت، فقال: حكيم: وعثمان؟، قال: وعثمان»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن وعله قال: «سألت ابن عباس: إنا نكون بالمغرب، فيأتينا المجوس بالأسقية فيها الماء والودك فقال: اشرب، فقلت: رأيي تراه؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دباغه طهوره»<sup>(٣)</sup>.

وكانوا إذا تنازعوا في مسألة ردوها إلى السنة، وسألوا عن دليلها، وبحثوا عما وافق السنة كي يصيروا إليها ويدعنوها. فعن عبد الله بن عباس والمسور بن

(١) رواه مسلم (ح ١٥٩٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/٢٥٧).

(٣) رواه مسلم (ح ٣٦٦).

مخرمة «أنهما اختلفا بالأبواء، فقال: عبدالله بن عباس: يغسل المحرم رأسه، وقال المسور: لا يغسل المحرم رأسه، فأرسلني ابن عباس إلى أبي أيوب الأنصاري أسأله عن ذلك، فوجدته يغتسل بين القرنين - أي: قرني البئر - وهو يستتر بثوب، قال فسلمت عليه فقال: من هذا؟، فقلت: أنا عبدالله بن حنين أرسلني إليك عبدالله بن عباس، أسألك كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه وهو محرم؟، فوضع أبو أيوب يده على الثوب، فطأطأه حتى بدا رأسه، ثم حرك رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، ثم قال: هكذا رأيته ﷺ يفعل»، وفي رواية: قال المسور لابن عباس: «لا أماريك أبداً»<sup>(١)</sup>.

وكانوا يتواصون بذكر الدليل والحجة والبرهان، ويحثون على ذلك. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن حديثكم شر الحديث، وإن كلامكم شر الكلام؛ فإنكم قد حدثتم الناس حتى قيل: قال فلان، وقال فلان، ويترك كتاب الله، من كان منكم قائماً فليقم بكتاب الله، وإلا فليجلس»<sup>(٢)</sup>.

وعن الضحاك قال: لقي ابنُ عمر جابرَ بن زيد وهو يطوف بالكعبة، فقال: «يا جابر إنك من فقهاء البصرة، وإنك تُستفتى، فلا تفتينَ إلا بقرآن ناطق،

(١) رواه البخاري مسلم واللفظ له.

(٢) إسناده صحيح: رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم».



أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت ذلك وإلا فقد هلكت، وأهلكت»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يجوز أن يكون الشيء واجباً أو مستحباً إلا بدليل شرعي يقتضي إيجابه أو استحبابه»<sup>(٢)</sup>، فإن العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول وهو: النقل المصدّق والبحث المحقق، فإن ما سوى ذلك - وإن زخرف مثله بعض الناس - خرف مزوّق، وإلا فباطل مطلق<sup>(٣)</sup>.

والواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً<sup>(٤)</sup>.

وإلا فمجرد قول القائل: «رواه فلان» لا يحتج به، وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف، فكل حديث يحتج به نطالبه من أول مقام بصحته<sup>(٥)</sup>.

(١) الخطيب في «الفييه والمتفه» (صحيحه/٧٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٦٥).

(٣) الفتاوى (٦/٣٨٨).

(٤) الفتاوى (٣/٣٨٠).

(٥) باختصار يسير من «منهاج السنة النبوية» (٧/٤٢).

وقال ابن القيم: «من فارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول»<sup>(١)</sup>.

وإليك كلام جميل من عالم جليل وهو المعلمي اليماني رحمه الله يقول: «إن من اعتمد في العقائد المأخذين السلفيين، ووقف معها (وهما: تمييز الحجج من الشبهات، ومعرفة الاختلاف المنهي عنه)، واتقى البدع، وجرى في اختلاف الفقهاء على أنه مذهب واحد اختلف علماءه؛ فتحرى الأرجح، وكان مع ذلك محافظاً على الفرائض، مجتنباً الكبائر، فإن عثر استقال ربه، وتاب وأناب، فهو من الطائفة التي أخبر النبي ﷺ: أنها لا تزال قائمة على الحق، فليتعرف إخوانه، وليتعاصد معهم على الدعوة إلى الحق، والرجوع بالمسلمين إلى سواء الصراط.

فأما من أبى إلا الجمود على أقوال آبائه وأشياخه والانتصار لها، فيوشك أن يدخل في قول الله تبارك وتعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)<sup>(٢)</sup>.

وقد سئلت اللجنة الدائمة:

س: ما هو أقرب كتب الفقه إلى الصحيح من القول؟

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤٤).

(٢) التنكيل (٢/ ٣٨٤).



ج: كل واحد من الناس ما عدا الرسل والأنبياء عليهم السلام فيما يبلغونه عن الله وَعَلَى يخطئ ويصيب، مهما بلغ درجة عالية من الاجتهاد. لكن الواجب على طالب العلم أن يتفقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويستعين بما كتبه علماء المذاهب عند الحاجة إليه دون أن يتعصب لمذهب معين، ليتهيأ له أخذ الحكم بدليله إذا أمكنه ذلك.

عبدالله بن قعود - عبدالله بن غديان - عبدالرزاق عفيفي - عبدالعزيز ابن باز<sup>(١)</sup>.

وقد سئل العلامة ابن عثيمين: ما نصيحة فضيلتكم للطلاب المبتدئ في العلم، هل يقلد العلماء أم يبحث عن الأدلة؟. فأجاب قائلاً: الطالب المبتدئ في العلم يجب عليه البحث عن الدليل بقدر إمكانه؛ لأن المطلوب الوصول إلى الدليل، ولأجل أن يحصل له التمرن على طلب الأدلة، وكيفية الاستدلال فيكون سائراً إلى الله على بصيرة وبرهان.

ولا يجوز له التقليد إلا لضرورة كما لو بحث فلم يستطع الوصول إلى نتيجة أو حدث له حادثة تتطلب الفورية فلم يتمكن من معرفة الحكم بالدليل قبل فوات الحاجة إليها فله - حينئذ - أن يقلد بنية أنه متى تبين له الدليل رجع

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/١٢١).

إليه. وإذا اختلف عليه المفتون... الأرجح أن يأخذ بما غلب على ظنه أنه أقرب للصواب، لكون قائله أعلم وأورع<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) كتاب العلم لابن عثيمين (ص ٢١٩)، والظاهر أن ما رجحه الشيخ هو الصواب؛ لقوله ﷺ: «البر ما انشرح له صدرك، والإثم ما حاك في صدرك، وإن أفتاك عنه الناس». رواه عبد الله بن أحمد في «زوائده» (٤/ ٢٢٧)، إسناده صحيح، وقد صحح شيخنا الألباني إسناده في تخريج «هداية الرواة» (ح ٢٧٠٥).

### المبحث الثالث

#### أهل الحديث والسنة هم أهل الاتباع حقاً

قد يختلط على كثير من الناس فلا يدري من يتبع، ومن يعينه على الاتباع حقاً، ويحثه عليه، على رُغم وضوح المنهج والسبيل، ومع ذلك فإني ذاكرك لك بعض ما ورد في ذلك ما يعينك كي تلتزم أخي المسلم أهل الاتباع حقاً.

ومما لا شك فيه أن أشد الناس اتباعاً للنبي ﷺ: أصحابه ثم التابعون لهم بإحسان، وهم أعلم الناس بآثاره، وهديه، وسنته، وسلوكه، ومن التابعين بإحسان: أصحاب الحديث، وأهل السنة والأثر المتبعون له، الحريصون عليه، الداعون إليه، المكثرون منه، المستمسكون به، الذابون المدافعون عنه، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مذهب أهل الحديث، وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف»<sup>(١)</sup>.

وهم حراس الدين حقاً وصدقاً:

وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله: «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوُّه،

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٥٥).

يُنْفُونَ عَنْهُ تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو داود: «لولا هذه العصاة لاندرس الإسلام يعني أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار»<sup>(٢)</sup>.

وقال الثوري رحمه الله: «الملائكة حراس السماء وأهل الحديث حراس الأرض»<sup>(٣)</sup>. وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»<sup>(٤)</sup>. وقد فسرت الفرقة الناجية، قال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»<sup>(٥)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي: «قد جعل الله أهل الحديث أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته».

(١) حسن لغيره: خرجته في الشريعة (ح ٢).

(٢) شرف أصحاب الحديث (رقم ١٠٦).

(٣) المصدر السابق (رقم ٨٥).

(٤) متفق عليه.

(٥) شرف أصحاب الحديث (ص ٢٦).



أنوارُهم زاهرةٌ، وفضائلُهم سائرةٌ، وآياتُهم باهرةٌ، ومذاهبُهم ظاهرةٌ، وحججُهم قاهرةٌ، وكلُّ فئةٍ تتحيزُ إلى هوى ترجعُ إليه، أو تستحسنُ رأياً تعكفُ عليه، سوى أصحابِ الحديثِ، فإن الكتابَ عُدَّتْهم، والسنةَ حُجَّتْهم، والرسولَ فُتَّتْهم، وإليه نسبتهم، لا يُعَرَّجُونَ على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء. إذا اختلف في حديثٍ، كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبولُ المسموعُ. وكلُّ مبتدعٍ باعقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر، من كادهم قَصَمَهُ الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يُفْلِحُ مَنْ اعتزلهم. المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل المعرفة بمعانيها واتباعاً لها... الذين يردون المجمل إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة، ويجعلونها من أصول دينهم، وإن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به

(١) شرف أصحاب الحديث (٨-٩).

الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه». اهـ<sup>(١)</sup>.  
والحق حليفهم وهم أهل الصراط المستقيم، والصواب في القول والعمل،  
وقال أحمد رحمته الله: «أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم». وبنحو هذا قال  
الأوزاعي. وقال ابن تيمية رحمته الله: «أعلم الناس وأخصهم بالرسول، وأعلمهم  
بأقواله وأفعاله، وأعلمهم بأصحابه، وسيرته وأيامه، وأعظمهم بحثاً عن ذلك،  
وأعظمهم تدبُّراً به، واتباعاً له، واقتداءً به، هؤلاء هم أهل السنة، والحديث....  
أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين: أن هؤلاء أحق بالصدق والعلم والإيمان  
والتحقيق ممن يخالفهم، وأن عندهم من العلوم ما ينكرها الجاهل المبتدع،  
وأن الجاهل بأمرهم والمخالف لهم هو الذي معه من الحشو ما معه!!، ومن  
الضلال كذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إنهم ينالون في المدة اليسيرة من  
حقائق العلوم، والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا  
زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧)، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ  
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (١١) وَإِذَا لَا تَتَّبِعُهُمْ مِن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٢﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٨٥) (٤/ ٤٩) (٦/ ٣٥٤).





مُسْتَقِيمًا ﴿ (النساء: ٦٦ - ٦٨)، وما تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يعلم فضل أهل الحديث والسنة بأمور، فلا تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم، وتارة بإقرار مخالفينهم ورجوعهم إليهم دون رجوعهم إلى غيرهم، أو بشهادتهم على مخالفينهم بالضلال والجهل، وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض... فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض: فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس، والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين، وإنما نبل أحمد والشافعي وإسحاق وغيرهم، إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة، وكذلك البخاري وأمثاله إنما نبلوا بذلك، وكذلك مالك والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة وغيرهم، إنما نبلوا في عموم الأمة، وقُبِلَ قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة، وما تكلم فيمن تكلم فيه منهم إلا بسبب المواضع التي لم يتفق له متابعتها من الحديث والسنة، إما لعدم بلاغها إياه، أو لاعتقاده ضعف دلالتها، أو رجحان غيرها عليها»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١١، ١٠).

وقال ابن قتيبة رحمته الله: «فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته، وتتبعوه من مظانه، وتقربوا من الله تعالى، باتباعهم سنن رسول الله ﷺ، وطلبهم لآثاره وأخباره حتى فهموا صحيحها وسقيمها، وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي. فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً، وبسق بعد أن كان دارساً، وانقاد للسنن من كان عنها معرضاً، وتنبه عليها من كان عنها غافلاً، وحكم بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان، وإن كان فيه خلاف على رسول الله ﷺ. اهـ<sup>(١)</sup>».

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «إنَّ الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وإنَّ الحق ما نقلوه ورووه»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «الحقّ الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي نعتقده ونتحلّه، غير أنَّ الله أبى أن يكون الحقّ والعقيدة الصحيحة إلاّ مع أهل الحديث والآثار؛ لأنَّهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف،... ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدّين المستقيم، والصراط القويم، إلاّ هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأمّا سائر الفرق فطلبوا الدين

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٧٣، ٧٤).

(٢) باختصار وتصرف يسير من «الحجة» (٢/٢٢٣).

لا بطريقة»<sup>(١)</sup>.

وأرى من المناسب هنا نقل فتوى الإمام أحمد رحمه الله وقد سأل ابنه عبد الله عن الرجل يريد أن يسأله عن أمر دينه مما يبتلى به من الأيمان في الطلاق وغيره، وفي مصره من أصحاب الرأي، وأصحاب الحديث لا يحفظون، ولا يعرفون الحديث الضعيف، ولا الإسناد القوي، فلمن يسأل؟، لهؤلاء، أو لأصحاب الحديث على قلة معرفتهم؟

فقال: «يسأل أصحاب الحديث، ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث خير من الرأي»<sup>(٢)</sup>.

وعليه فإن أهل الاتباع الحقيقي هم أهل الحديث والسنة في كل عصر ومصر، أينما كانوا وحيثما كانوا فالزمهم وأحبهم واسألهم ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨). فإن قال قائل: كيف أعرفهم في بلدي؟ فالجواب ما قاله أبو القاسم الأصبهاني: «قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه الخطيب في (تاريخ بغداد ١٣/ ٤١٨)، أعلام الموقعين (٤/ ٢٥٨)، قول شريك: «أثر فيه ضعف أحب إلي من رأيهم». (ذم الكلام/ ٣٢٥).

فَانتَهُوْا ﴿٧﴾ (الحشر:٧)، فأمرنا بإتباع النبي ﷺ وطاعته فيما سَنَّ وأمر، ونهى، وحكم، وعَلَّمَ. وقال النبي ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.

فوجدنا سنته، وعرفناها فنظرنا إلى هذه الفرقة - أعني أصحاب الحديث - وهم لها أطلب، وفيها أرغب، ولها أجمع ولصاحبا أتبع، فعلمنا يقيناً بالكتاب والسنة، أنهم دون من سواهم من جميع الفرق؛ لأن صاحب كل فرقة أو صناعة ما لم يكن معه آلة من آلاته، ثم ادعى تلك الصناعة، كان في دعواه عند العامة مبطلاً، فإذا كانت معه آلات الصناعات شهد له كل من عاينه قبل الاختبار كما أنك إذا رأيت الرجل فتح باب دكانه على تمر علمت أنه تَمَّار، وإن لم تختبره، وكذلك صاحب كل صناعة، إنما يستدل على صناعته بآلته، ولو رأيت بين يدي نجار قدوماً، ومنشاراً، ومثقباً، ثم سمّيته حداداً جُهِلَّت. ثم كل صاحب صناعة، وحرّفة يفتخر بصناعته، ويجالس أهلها، ولا يذمها. ورأينا أصحاب الحديث - رحمهم الله - قديماً وحديثاً، هم الذين رحلوا في طلب هذه الآثار وسنن رسول الله ﷺ فأخذوها، وجمعوها من مظانها، وحفظوها فاغتبطوا بها ودعوا إلى اتباعها، وعابوا من خالفها فكثرت عندهم، حتى اشتهروا بها كما اشتهر التمار بتمره، والعطار بعطره، ثم رأينا قومًا انسلخوا من حفظها ومعرفتها، وتنكبوا



اتباع أصحابها وأشهرها، وطعنوا فيها، وفيمن أخذ بها، وزهدوا الناس في جمعها ونشرها، وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال، فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة أن هؤلاء الراغبين فيها، وفي جمعها وحفظها، واتباعها أولى بها وأحق من سائر الفرق الذين تنكَّبوا أكثرها.

وأن السنن هي التي تحكم على أهل الأهواء بالأهواء؛ لأن الاتباع عند العلماء هو الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صحت عنه، والخضوع لها، والتسليم لأمر النبي ﷺ فيها، والانتفاء عما نهى الله عنه، ووجدنا أهل الأهواء الذين استبدوا بالآراء والمعقولات بمعزل من الأحاديث والآثار التي هي طريق معرفة سنة رسول الله ﷺ.

فهذا الذي قلناه سمة ظاهرة وعلامة بيَّنة تشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلى أهل الأهواء في تركها، والعدول عنها، ولا نحتاج في هذا إلى شاهد أبين من هذا، ولا إلى دليل أضوأ من هذا». اهـ<sup>(١)</sup>.

وقال شيخنا العلامة الألباني: «أقول: إننا - والحمد لله - من أول الناس اعترافاً بذلك كله، ولعل منزلته ﷺ عندنا محفوظة أكثر بكثير مما هي محفوظة لدى الآخرين، الذين يدَّعون محبته، ويتظاهرون بمعرفة قدره؛ لأن العبرة في

(١) الحجة في بيان المحجة.

ذلك كله إنما هي في الاتباع له ﷺ، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه، كما قال ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٣١)، ونحن - بفضل الله - من أحرص الناس على طاعة الله ﷻ، واتباع نبيه ﷺ وهما أصدق الأدلة على المودة والمحبة الخالصة، بخلاف الغلو في التعظيم والإفراط في الوصف اللذين نهى الله - تعالى - عنهما<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) (التوسل / ص ٨٣: ٨٨ ط الدار السلفية).

## الفصل الثاني

الأمر بالاتباع، وثماره اليانعة، وما يترتب على التهاون به

أمر الله - تعالى - باتباع الكتاب والسنة، وأوجب ذلك على الناس، قال تعالى: ﴿ أَتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ١٠٦)، وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: ١٨)، وبين سبحانه أن من أهم مقاصد بعثة النبي ﷺ اتباعه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (النساء: ٦٤).

\*\*\*

## المبحث الأول

### أهمية وثمار الاتباع

للاتباع ثمار يانعة كثيرة، وفوائد نافعة وفيرة في الدنيا والآخرة، وواحدة منها توجب على الناس أن يظلوا متبعين للنبي ﷺ في جميع شؤون حياتهم، أذكر بعض هذه الثمار، فمن ذلك:

١ - المتبع يعيش حياة سعيدة هنيئة طيبة:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

٢ - طاعة الله ورسوله من أسباب رحمة العبد في الدنيا والآخرة:

قال ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣١).

٣ - طاعة الله ورسوله سبب من أسباب الفوز والفلاح والسعادة في

الدنيا والآخرة:

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنِ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١)، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا





النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ<sup>٧</sup> أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ (الأعراف: ١٥٧). وعن علي<sup>عليه السلام</sup> قال: «إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا فَظَنُوا بِرَسُولِ اللَّهِ أَهْنَاهُ وَأَهْدَاهُ وَأَتَقَاهُ»<sup>(١)</sup>.

٤ - الاتباع للسنة سبب عظيم يستجلب به العبد محبة الله تعالى ومغفرته:  
قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ<sup>٨</sup> وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ<sup>٩</sup> فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿ (آل عمران: ٣١ - ٣٢).

٥ - الاتباع سبب للثبات على الحق والهدى:  
قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ<sup>١٠</sup> لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ<sup>١١</sup> مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ<sup>١٢</sup> وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ (آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿ (النساء: ٦٦).

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (صحيح ابن ماجه / ١٩)، وأحمد (١ / ١٢٢).

٦ - طاعة الرسول من طاعة الله ﷻ:

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (النساء: ٨٠). وعن جابر بن عبد الله يقول: في رؤيا رآها النبي ﷺ قالت الملائكة: «.... فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ فَرَقَ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

٧ - أن السمع والطاعة لله ورسوله علامة الإيمان، ومن صفات المؤمنين:

وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١ - ٥٢).

٨ - أن من أطاع الرسول ﷺ فهو ممن أخرجه الله من الظلمات إلى النور:

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥ - ١٦)؛ فجمع الظلمات لكثرة طرق الضلال، وأفرد النور؛ لأن صراط الله والحق واحد. وعن أبي الدرداء قال: «خرج علينا

(١) رواه البخاري (٧٢٨١).



رسول الله ﷺ، ونحن نتذاكر الفقر ونتخوِّفه، فقال: «.... وإيمُ الله لقد تركتكم على مثلِ البيضاءِ، ليلُها ونهارُها سواء». قال أبو الدرداء: «صدق، والله رسولُ الله ﷺ، تَرَكْنَا - والله - على مثلِ البيضاءِ، ليلُها ونهارُها سواء»<sup>(١)</sup>، فبيِّن أن السنة بيضاء واضحة وهي بمعنى النور الذي لا ظلمة فيه، ولذا فهي نهار دائم، وخلافها الظلام الدامس.

٩ - أن الهدى والاستقامة في الاتِّباع وطاعة الله ورسوله:

وقال: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَمِيتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «.... فمن كانت فترته إلى سستي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»<sup>(٢)</sup>.

١٠ - أن الاتِّباع ينجي من الضلال والانحراف والبدعة:

وثبت عن النبي ﷺ: «تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما:

(١) إسناده حسن: رواه ابن ماجه (ح ٥).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي عاصم (٢٨/١)، وأصله عند أحمد وغيره.

كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عثمان الحيري: «من أَمَرَ السَّنةَ على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أَمَرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤)»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية رحمته الله: «وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان الزهري يقول: «كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يُقبض سريعاً...»»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق؛ وذلك أن السنة والشرعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله، والرسول هو الدليل الهادي الخريت في هذا الصراط كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٦﴾ وَذَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦)»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح لغيره: (الموطأ ٢/ ٨٩٩) صححه العلامة الألباني في «الصحيحه» (٧٦١).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٩٦/١).

(٣) صحيح الإسناد: سنن الدارمي (١/ ٥٨ - برقم ٩٦).

(٤) الفتاوى ٤/ ٥٦.

## ١١ - كفاية الله - تعالى - ونصرته لأهل الاتباع:

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
(الأنفال: ٦٤).

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبرهم تعالى أنه حسبهم، أي: كافهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين»<sup>(١)</sup>. فالله يكفي رسوله والمؤمنين المتبعين له، وينصرهم على الكافرين والمنافقين والمبتدعين.

## ١٢ - بركة الاتباع والطاعة والتسليم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢). وعن أم سلمة أنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول:

«ما من مسلم تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم! أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قتلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ، وفي رواية: قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي

(١) (تفسيره ٤/ ٨٦).

خيراً منه رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

فعن أبي هريرة قال: «ذبحتُ لرسول الله ﷺ، فقال: «ناولني الذراع» فناولته ثم قال: «ناولني الذراع» فناولته ثم قال: «ناولني الذراع» قلت: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، قال: «أما إنك لو ابتغيته لوجدته»<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية: «والذي نفسي بيده لو سكتَ لناولتني الذراع ما دعوتُ». ولما استشارت فاطمة بنت قيس رسول الله ﷺ في خطبة أبي جهم ومعاوية وأسماء، فبين لها أنه يشير عليها بأسماء بن زيد، فقالت بيدها هكذا: أسماء! أسماء! فقال لها رسول الله ﷺ: «طاعة الله وطاعة رسوله خير لك». قالت: «فتزوجته فاغتبطت»<sup>(٣)</sup>.

١٣ - الاتباع لرسول الله ﷺ ينجي العبد من عذاب القبر:

عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «فَلَمَّا انصَرَفَ رسول الله ﷺ حَمْدَ

(١) رواه مسلم (ح ٩١٨).

(٢) صحيح لغيره: رواه ابن حبان (١٤/٤٠٣ - ح ٦٤٨٤)، والنسائي في «الكبرى» (ح ٦٦٥٩)، وهو حسن الإسناد؛ لأجل محمد بن عجلان. وله شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن أبي رافع عن عمته عن أبي رافع مرفوعاً به، نحوه رواه أحمد (٦/٨٣٩٢)، بلفظ: «لو سكت لناولتني منها ما دعوت».

(٣) رواه مسلم (١٠/١٤٧).



الله وأثنى عليه، ثم قال: «... وأوحى إلى أنكم تفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال، فأما المؤمن - أو المسلم، لا أدرى أي ذلك قالت أسماء - فيقول: محمدٌ جاءنا بالبينات فأجبناه وآمنّا، فيقال: نَمّ صالحاً، علمنا أنك موقنٌ، وأما المنافق - أو المرتابُ، لا أدرى أي ذلك قالت أسماء - فيقول: لا أدرى، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته»<sup>(١)</sup>.

١٤ - من أطاع الله ورسوله استحق الجنة والنعيم المقيم:

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣).  
وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»<sup>(٢)</sup>.

١٥ - دخول المتبع في ولاية الأنبياء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨). فمن اتبع قوماً وأحبهم لحق بهم.

(١) متفق عليه.

(٢) (رواه البخاري/ ٧٢٨٠).

١٦ - الاتباع يلحق العبد بالأنبياء والصالحين، ويدرك معيتهم في الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩). قال القرطبي: «أي: هم معهم في دار واحدة، ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا أنهم يساوونهم في الدرجة؛ فإنهم يتفاوتون لكنهم يتزاورون للاتباع في الدنيا والافتداء»<sup>(١)</sup>.

١٧ - رسول الله ﷺ نِعَمَ الْأُسُوةِ وَالْقُدُوةِ:

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «دعوني  
مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سَوَالَهُمْ وَاخْتِلَافَهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا  
نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»<sup>(٢)</sup>.

١٨ - الاتباع ينجي من الاختلاف والفرقة، ويجمع الله به القلوب:

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ  
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦). وعن العرباض بن سارية قال:

(١) (التفسير ٥/ ٢٧٢).

(٢) متفق عليه.





وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا، لَا يَزِيدُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ، حَيْثَمَا قِيدَ انْقَادًا»<sup>(١)</sup>.

١٩ - أَنْ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يَقْبَلُ عَمَلًا إِلَّا بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ: هُوَ أَخْلَصَ الْعَمَلُ وَأَصُوبُهُ، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصَهُ وَأَصُوبُهُ؟ قَالَ: إِنْ الْعَمَلُ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يَقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، فَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السَّنَةِ.

(١) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه (ح ٤٣) واللفظ له، وأحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٧/ ٣١٩-٢٦٧٨) وصححه، كما صححه جمع من أئمة هذا الشأن، ومن آخرهم الشيخ العلامة الألباني في «الصحيحه» (٩٣٧)، و«الإرواء» (٢٤٥٥)، وينظر تخريجي له في «الشريعه» (برقم ٨٦).

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، قال ابن القيم رحمه الله: «فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه؛ وهو أن يكون موافقاً لسنة رسول الله ﷺ مراداً به وجهه الله»<sup>(١)</sup>.

٢٠- عظم أجر المتبع والتمسك وقت الفتن وغربة الدين:

لقوله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»<sup>(٢)</sup>، وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إن من ورائكم زمان الصبر، للتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم»<sup>(٣)</sup>.

٢١- أن في اتباع السنة والعمل بها إحياء لها وسعي في نشرها.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) مفتاح دار السعادة (١/٣٠٣).

(٢) رواه مسلم (ح ١٤٥).

(٣) الطبراني (١٠٣٩٤) تراجع الصحيحة/ ٤٩٤.

(٤) رواه مسلم (٢٦٧٤).



٢٢- أن في سنته ﷺ تحصيل تمام الأخلاق وجميلها ومكارمها.  
فعن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) (صحيح) رواه أحمد (٣١٨/٢)، وهو في «الصحيحة» (٤٥).

## المبحث الثاني

الآثار السيئة لترك الاتباع وأنه نذير شؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة

إن المخالفة أو الاستكفاف عن أمر للنبي ﷺ قد يكون سبباً لهلاك صاحبها أو فتنته في الدنيا والآخرة عياداً بالله، ومن ذلك:

أ- أن ترك الاتباع قد يزيغ القلب ويحرفه عن الهدى:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(الصف: ٥). وقال الصديق الأكبر (رحمته الله): «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ

يعمل به إلا عملتُ به؛ فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ

يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١). قال الشيخ خليل هراس: «ولقد أصيب

هؤلاء الحمقى المتهوكون بعمى في قلوبهم، وفساد في عقولهم؛ جزاء إعراضهم

عما جاءهم به نبيهم من الهدى، واستعاضتهم عنه بأقوال مزخرفة مموهة، كلها

سفسطة وهذيان»<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) شرح القصيدة النونية (٢/ ١٨٥).

ب- ترك الاتباع قد يؤدي إلى الشرك والكفر.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

(آل عمران: ٣٢).

وعن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول:

«نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين

موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟: الشرك،

لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء: ٦٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من علم أن هذا خطأ فيما جاء به

الرسول ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول، فهذا له نصيب من هذا

الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باللسان واليد، مع

علمه بأنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق

العلماء على أنه من عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه،.... وإن قلّد

شخصاً دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق،

فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيباً، لم يكن عمله صالحاً، وإن كان

متبوعه مخطئاً، كان آثماً، كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ»<sup>(١)</sup>.

ج- عدم الاتباع والتسليم يؤدي إلى العاهات في الجسد:

فقد ثبت من حديث سلمة بن الأكوع «أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ

بشماله، فقال له: «كل بيمينك»، قال -أي الرجل-: لا أستطيع، فقال له ﷺ:

«لا استطعت»، ما منعه إلا الكبير، قال: فما رفعها إلى فيه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي حميد الساعدي قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك،

... فلما أتينا تبوك قال: «أما إنها ستهبُّ ريحٌ شديدة، فلا يقوم من أحد، ومن كان

معه بعير فليعقله»، فعقلناها، وهبَّت ريح شديدة فقام رجل فألقته بجبل

طبيء»<sup>(٣)</sup>.

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب يُودِّعُه بحجٍّ أو عُمرَةٍ، فقال له: «لا تبرح

حتى تصلي، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يخرج بعدَ الأذان من المسجد إلا

منافق، إلا رجلٌ أخرجته حاجةٌ وهو يريد الرجعةَ إلى المسجد». فقال: إن

أصحابي بالحرّة قال: فخرج، قال: فلم يزل سعيد يُولِّعُ بذكره حتى أُخْبِرَ أنه وقع

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٧١، ٧٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨/ ١٣) - ٢٠٢١.

(٣) رواه البخاري (ح ١٤٨١).



من راحلته فانكسرت فخذُهُ»<sup>(١)</sup>.

د- ترك الاتباع يكون سبباً في قطع الخير عن العبد:

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى

رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢). وعن عمران بن حصين قال: «نهى النبي ﷺ

عن الكي، فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا. قال أبو داود: «وكان يسمع تسليم

الملائكة فلما اكتوى انقطع عنه، فلما ترك رجع إليه»<sup>(٢)</sup>.

هـ- ترك الاتباع يلحق السوء بالعبد في أهله أو نفسه:

جاء في رواية ابن خزيمة عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تطرق

النساء ليلاً»، وأخرجه من حديث ابن عباس بنحوه وفيه: «فطرق رجلان كلاهما

وجد مع امرأته رجلاً». (صحيح)، وهكذا تكون عاقبة من بلغه الحديث فخالفه

عياداً بالله.

وعن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال:

«ما اسمك؟» قال: حزن، قال: «أنت سهل»، قال: لا أُغَيِّرُ اسماً سمانيه أبي، قال

(١) إسناده حسن: أخرجه الدارمي (٤٦٠).

(٢) صحيح على شرط مسلم: رواه أبو داود (٣٤٤/١٠)، ينظر «الصحيح المسند مما ليس في

الصحيحين» (٢٣/٥).

ابن المسيب: «فما زالت الحزونة فينا بعد»<sup>(١)</sup>.

و- ترك الاتباع يؤدي إلى هلاك وموت العبد:

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال: ٢٠ - ٢١).

وعن ابن عباس قال: «دخل النبي ﷺ على أعرابي يعودده، قال: وكان

النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعودده قال: «لا بأس، طهور إن شاء الله»، فقال:

لا بأس طهور إن شاء الله، قال: قلتَ طهور؟ كلاً بل هي حمى تفور أو تثور، على

شيخ كبير تزيـره القبور، فقال النبي ﷺ: «فنعـم إذاً». [فما أمسى من الغد إلا

ميتاً]<sup>(٢)</sup>.

ز- أن ترك الاتباع ورفع كلام الناس فوق كلامه ﷺ مؤذن بإحباط

العمل:

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا

(١) رواه البخاري (ح ٦١٩٠).

(٢) رواه البخاري (ح ٣٦١٦)، ذكر الحافظ أن هذه الزيادة رواها الطبراني وغيره (فتح الباري

٦/٧٢٣)، وهي عنده من حديث شريحيل الجعفي (٧/٣٠٦)، وقد رواها عبدالرزاق

(٢٠٣٠٩) مرسلًا بمعناها.





لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾  
(الحجرات: ٢).

قال الشيخ العلامة الشنقيطي رحمته الله: «فعلينا معاشر المسلمين أن نتأمل هذه الآيات القرآنية ونعتقد ما تضمنته ونعمل به لنكون بذلك مطيعين لله تعالى ولرسوله ﷺ، معظمين لله ولرسوله؛ لأن أعظم أنواع تعظيم رسول الله ﷺ هو اتباعه والاقتداء به».

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رحمته الله: «حرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمة حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به... وكلامه ﷺ من الوحي، وله من الحكمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم: «وكان أحمد إذا وجد نصّاً أفتى بموجبه ولا يلتفت على ما خالفه أو من خالفه كائناً من كان، وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت، وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢)، يرى أنه يجب الإنصات عند قراءة حديثه ﷺ كما يجب

(١) (تفسير القرطبي ١٦ / ٣٠٧).

ذلك عند سماع قوله ﷺ: «.

ح- أن مخالفته توجب النار والعذاب الأليم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥). وأهل البدع

كلهم الذين يشاققون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ويتبعون غير سبيل الله

المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ فيصيبهم من الفتنة أو العذاب بقدر

مشاقتهم للرسول واتباعهم غير سبيل المؤمنين، ويصيبهم من الذل والهوان في

الدنيا والعذاب في الآخرة بقدر ذلك.

\*\*\*

## الفصل الثالث

### عوائق في وجه الاتباع

تقدم ما تيسر من الكلام المختصر على وجوب الاتباع، وأهميته وثماره فيما مضى، ولكن بقي الحديث عن بعض العوائق المشهورة والتي تحول دون اتباع النبي ﷺ، والأمور التي صدت الناس عن السنة والحديث والأثر فمن ذلك:

#### ١ - الرأي:

قد وردت نصوص كثيرة تدعو إلى التمسك بالسنة، وعدم معارضتها بشيء من الرأي والعقل والهوى، أو الذوق والوجد، أو العادات والتقاليد والأعراف، مع النهي عن الخوض في شيء من الدين بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ هُوَ الْهَدَىٰ ۖ وَأَمْرًا لِنُتْلِمَ لِرَبِّ أَعْلَمِينَ﴾ (الأنعام: ٧١). قال قتادة: «خصومة علمها الله محمدا ﷺ وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ

(١) (إسناده صحيح): رواه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٥٤).

لا يَنْزِعُ العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُسْتَفْتُونَ فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون»<sup>(١)</sup>.

وقال سهل بن حنيف رضي الله عنه: «يا أيها الناس اهتموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ...»<sup>(٢)</sup>.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن مسعود: «ليس عام إلا الذي بعده شر منه، لا أقول عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب العلماء، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

(١) (متفق عليه).

(٢) (متفق عليه).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٨/١) وصححه شيخنا في (الإرواء ١٠٣).

(٤) صحيح لغيره: رواه الدارمي (ح ١٨٨)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (ح ٤٨٣)، والفتح (٢٩٦/١٣)، وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (٢٣/١٣)!! قلت: مدار إسناده على مجالد وهو ابن سعيد وهو: «ضعيف»، قال عنه الحافظ نفسه: «ليس بالقوي، وتغير في آخر عمره» (التقريب). ورواه البيهقي (٣/٣٦٣)، مقتصرًا منه على شطره الأول، كما يشهد لأوله حديث أنس مرفوعاً عند الترمذي (ح ٢٢٠٧)، وهو في «الصحيحة» (ح ١٢١٨)، =



وقال الشاطبي: «إن الرأي من حيث هو رأي لا ينضبط إلى قانون شرعي إذا لم يكن له أصل شرعي، فإن العقول تستحسن ما لا يُستحسن شرعاً، وتستقيح ما لا يُستقيح شرعاً، وإذا كان كذلك، صار القياس على غير أصل فتنة على الناس»<sup>(١)</sup>.

وكان من نتيجة ذلك أن كان التكلف والتنطع والسؤال عما لم يقع والانشغال به، والخصام فيه، وترك التفقه في أصول العلم مما جاءت به النصوص، وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦)، فأخذ كثيرون في البحث عن المسائل وتشقيقها والتنقير عما لم يأت به نص صريح، وإعمال العقل، والحكم على المسائل بالرأي، وترك ما جاء بيانه واضحاً في الكتاب والسنة. واعلم أن تشقيق المسائل، وكثرة التفرع ليس من الفقه في شيء.

سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر فقال: «رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: رأيت إن زحمتُ، رأيت إن غلبتُ؟ قال: «اجعل رأيت

---

=ورواه البخاري في «صحيحه» بمعناه (٧٠٦٨)، وله طريق أخرى عن ابن مسعود ذكرها الحافظ (٢٣/١٣).

(١) الاعتصام للشاطبي تحقيق الهاللي (٢/٧٩٥).

باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «اجعل رأيت عند ذاك الكوكب»<sup>(٢)</sup>. فرحم الله ابن أبي داود إذ قال في حائيته:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم \* فقول رسول الله ﷺ أزكى وأشرح  
وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني: «ما برح من أدركنا من أهل الفضل  
والفقه من خيار أولية الناس يعيرون أهل الجدل والتنقيب، ويعيرون الأخذ بالرأي  
أشد العيب، وينهونا عن لقاءهم ومجالستهم، ويحذروننا مقاربتهم أشد التحذير،  
وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل والتنقيب والبحث عن الأمور، وزجر  
عن ذلك وحذرهم المسلمين في غير موطن، حتى كان من قوله ﷺ في كراهية ذلك  
أن قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على  
أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم».  
فأي أمر أكف لمن يعقل عن التنقيب من هذا»<sup>(٣)</sup>.

هل تهجر كتب الفقه المصنفة في المذاهب؟

يقول العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه

(١) (رواه البخاري/١٦١٢).

(٢) (رواه أبو داود الطيالسي، والطبراني (١٣٠٥٨)).

(٣) صحيح: رواه الآجري في «الشرعة» (ح ١٣٠)، وهو في الحجة في بيان المحجة (١/٢٨٥).



الله تعالى - في هذا الشأن: «فإن قلت: فماذا يجوز للإنسان من قراءة هذه الكتب المصنفة في المذاهب؟!».

قيل: يجوز من ذلك قراءتها على سبيل الاستعانة بها على فهم الكتاب والسنة وتصوير المسائل، فتكون من نوع الكتب الآلية، أما أن تكون هي المقدمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه، المدعو إلى التحاكم إليها دون التحاكم إلى الله والرسول ﷺ فلا، على أن الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم قد نهوا عن تقليدهم مع ظهور السنة...».

ثم نقل عن الأئمة الأربعة كلامهم المشهور عنهم في هذا الصدد، ثم قال رحمه الله: «وكلام الأئمة مثل هذا كثير، فخالف المقلِّدون ذلك، وحمدوا على ما وجدوه في الكتب المذهبية، سواء كان صواباً أم خطأ، مع أن كثيراً من هذه الأقوال المنسوبة إلى الأئمة ليست أقوالاً لهم منصوباً عليها، وإنما هي تفريعات ووجوه واحتمالات، وقياس على أقوالهم، ولسنا نقول: إن الأئمة على خطأ، بل هم - إن شاء الله - على هدى من ربهم، وقد قاموا بما أوجب الله عليهم من الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته، ولكن العصمة منتفية عن غير الرسول ﷺ، فهو الذي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣ - ٤) فما

العدر في اتباعهم، وترك اتباع الذي لا ينطق عن الهوى؟<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك يزعم المتعصبون للمذاهب أن أقوال متبوعيه دين لازم اتباعه!! زاعمين أن: «اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية»، أو يقولون: «اللامذهبية قنطرة اللادينية».

## ٢ - التقليد:

أ- تقليد السادة والرؤساء:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٧).

ب- الآباء والأجداد والعادات:

قال تعالى حاكياً عن حال المشركين: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).

ج- تقليد المشايخ والعلماء:

قال أبو عبد الله بن خويز منداد البصري المالكي: «التقليد معناه في الشرع: الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والاتباع: ما

(١) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (ص/ ٥٤٨).





ثبت عليه حجة». وقال في موضع آخر: «كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده، والتقليد في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه، والاتباع في الدين مُسَوِّغٌ، والتقليد ممنوع». قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣)، ومن أوضحه قول الله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)<sup>(١)</sup>.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمر به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال»<sup>(٢)</sup>.

وقد ثبت من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ومن أفتي بفتيا غير ثبت فإنما إثمها على من أفتاه»<sup>(٣)</sup>، وكما أن «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وواحد في الجنة»<sup>(٤)</sup>، فالمفتون ثلاثة، ولا فرق بينهما إلا في كون القاضي يُلْزَمُ بما أفتى

(١) نقلاً من كتاب: صحيح جامع بيان العلم وفضله/ ص ٤١٨، ٤١٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٦).

(٣) صحيح لغيره: رواه الدارمي (١٥٩)، وغيره.

(٤) صحيح: ثبت ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ، من حديث ابن عمر ينظر تحريجه في «الإرواء» =

به، والمفتي لا يلزم به.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن حديثكم شر الحديث، وإن كلامكم شر الكلام؛ فإنكم قد حدثتم الناس حتى قيل: قال فلان، وقال فلان، ويترك كتاب الله، من كان منكم قائماً فليقم بكتاب الله، وإلا فليجلس»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حزم: «فهذا قول عمر لأفضل قرن على ظهر الأرض فكيف لو أدرك ما نحن فيه من ترك القرآن وكلام محمد ﷺ، وكلام أصحابه، والإقبال على ما قال مالك وأبو حنيفة والشافعي؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل وإنا لله وإليه راجعون!»، وبنحوه قال ابن عبد البر.

قال ابن مسعود: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن، آمن وإن كفر، كفر، فإنه لا أسوة في الشر»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «لا تقلدوا دينكم الرجال، فإن أبيتم فبالأموات لا بالأحياء»<sup>(٣)</sup>. قال معاذ: «العالم لا تقلدوه دينكم»<sup>(٤)</sup>.

= (٢٦١٤).

(١) إسناده صحيح: رواه ابن عبد البر في «الجامع».

(٢) صحيح: هو عند ابن عبد البر (ح ١٨٨٢)، ورواه الخطيب في «الفيح والمتفق» (ح ٧٥٧).

(٣) حسن: رواه اللالكائي (ح ١٣١، ١٣٠).

(٤) حسن: رواه ابن عبد البر (ح ١٨٧٢).



قال معاوية لابن عباس: «أنت على ملة عليٍّ؟ قال: لا، ولا على ملة عثمان، ولكني على ملة النبي ﷺ». وفي لفظ: عن ابن عباس قال: «قال لي معاوية: أنت علوي؟ قلت: ما أنا بعلوي ولا عثماني، ولكني على ملة رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حزم: «فإذا كان الصحابة والتابعون ﷺ لا يستجيزون نسبة ما يتعبدون به ربههم ولا مذاهبهم إلى أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا إلى علي، ولا ينتسبون إلى أحد دون رسول الله ﷺ، فكيف بهم لو شاهدوا ما نشاهده من المصائب الهادمة للإسلام على من امتحنه الله به من الانتماء إلى مذهب فلان وفلان، والإقبال على أقوال مالك وأبي حنيفة والشافعي، وترك أحكام القرآن وكلام النبي ﷺ ظهرياً؟ والحمد لله على تثبيته إيانا على دينه، وسنته التي مضى عليها أهل الأعصار المحموده قبل أن تحدث بدعة التقليد وتفشو، وبالله نعتصم»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبيد بن الحسن قال: قالت الخوراج لعمر بن عبد العزيز: نريد أن تسير فينا بسيرة عمر بن الخطاب، قال: عمر بن عبد العزيز: «قاتلهم الله!، والله ما

(١) إسناده صحيح: رواه ابن حزم في «الأحكام» (١/ ٥٧٤) (٢/ ٨٨٠)، واللالكائي (١/ ٩٤-ح ١٣٣).

(٢) الأحكام لابن حزم (٢/ ٨٨١).

أردت دون رسول الله إماماً<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عيينة قال: اضطجع ربيعة مُقَنَّعاً رأسه وبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجبور أمهاتهم: ما نهوهم عنه انتهوا، وما أمروا به ائتمروا!»<sup>(٢)</sup>.

نقل أقوال أئمة الدعوة في الاتِّباع وعدم التقليد:

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي: «... أقول - والله الحمد والمنة وبه القوة-: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١). ولست - والله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذي أعظمهم مثل: ابن القيم والذهبي، وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم»<sup>(٣)</sup>، وسئل رحمته الله: «هل الواجب على كل مسلم أن يطلبَ علم ما أنزل الله على رسوله ولا يُعذر أحدٌ في تركه ألبتة؟ أم يجب عليه

(١) صحيح: رواه ابن حزم (ح ١/ ٥٧٥).

(٢) صحيح الإسناد: رواه ابن عبد البر في «جامعه» (ح ١٨٨٥).

(٣) انظر: «الدرر السنية»: (١/ ٣٧).

أن يتبع «التحفة»<sup>(١)</sup> - مثلاً -؟

فأعلمُ المتأخرين وساداتهم منهم كابن القيم قد أنكروا هذا غاية الإنكار، وأنه تغييرٌ لدين الله، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح، ومن كلام رسول الله ﷺ البين لمن نور الله قلبه، والذين يجيزون ذلك - يعني: التقليد - أو يوجبونه يُدلون بشبهٍ واهية، ولكن أكبرُ شبههم على الإطلاق: أنا لسنا من أهل ذلك، ولا نقدر عليه، ولا يقدر عليه إلا المجتهد، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).

وقال: «وهذه رسالة لا تحتل إقامة الدليل، ولا جواباً عما يُلقى به المخالف، لكن أعرض عليه من نفسي الإنصاف والانقياد للحق، فإن أردتم الرد عليّ بعلم وعدل؛ فعندكم كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم عند ابن فيروز في مشرفة<sup>(٢)</sup>، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطاً كثيراً، وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آبائكم، وأجاب عنها» انتهى<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت مسائل على ولديّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:

(١) يعني: «التحفة» لابن حجر الهيتمي المكي الشافعي، وهي من كتب فقه الشافعية.

(٢) اسم مكان.

(٣) انظر: «الدرر السنية»: (١/ ٣٩ - ٤١).

حسين وعبد الله رحمهم الله جميعاً، فأجابا بما هو الصواب. الأولى: ما عقيدة الشيخ رحمه الله في العمل في العبادات والفروع؟.

«الجواب: الحمد لله رب العالمين: إن عقيدة الشيخ رحمه الله التي يدين الله بها هي عقيدتنا وديننا الذي ندين الله به، وهي عقيدة سلف الأمة، وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دلّ عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله، وعرض أقوال العلماء على ذلك فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله... والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة ليس هذا موضع بسطها.

وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة، ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع الدليل، وترك مذهبه كان هذا مستحباً، بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل، ولا يكون مخالفاً لإمامه الذي اتبعه؛ فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم أجمعين.

... وهذا عمل سلف الأمة، وأئمتها قديماً وحديثاً، والذي ننكره هو التعصب للمذاهب، وترك اتباع الدليل، إذا تبين هذا فهذا الذي أنكرناه، وأنكره العلماء في القديم والحديث، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٣٢).



وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمته الله، بعد أن نقل عن ابن عبد البر رحمته الله كلامه في «التقليد» من كتاب «جامع بيان العلم وفضله»، ثم قال: «فتأمل ما في هذا الكلام من الرد على من يقول: بلزوم التمذهب بمذهب من هذه المذاهب الأربعة، لا يخرج عن ذلك المذهب، ولو وجد دليلاً يخالفه، لأن الإمام صاحب المذهب أعلم بمعناه. ويجعل هذا عذراً له في رد الحديث أو ترك العمل به إذا خالف المذهب.

وتأمل قول -ابن عبد البر-: (لا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد التقليد)، ومراده هنا: إذا كان المقلد قادراً على الاستدلال، وأما العاجز عنه فهو كالأعمى يقلد في جهة القبلة، فهو معذورٌ إن كان عاجزاً.

وقد حكى الإمام أبو محمد ابن حزم الإجماع على أنه: لا يجوز التزام مذهبٍ بعينه لا يخرج عنه، فقال: (أجمعوا على أنه لا يجوز لحاكم ولا ملفٍ تقليد رجل؛ فلا يحكم ولا يفتي إلا بقوله) انتهى.

فحكاية الإجماع من هذين الإمامين - أعني: أبا عمر بن عبد البر، وأبا محمد بن حزم - كافٍ في إبطال قول المتعصبين للمذهب<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن فيمن أنكر الحكم برجحان العمل

(١) «الدرر السنية»: (٤/ ٦٣-٦٤) ط: الجديدة.

بالحديث الصحيح في مقابلة المذهب الملتزم: «هذا من محدثات الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان، قال تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣)، وقال: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ... الآية (النساء: ٥٩). وهذا أصل عظيم من أصول الدين، قال العلماء - رحمهم الله -: «كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ». وهذا القول الذي يقوله هؤلاء يُفضي إلى هجران الكتاب والسنة، وتبديل أحكام النصوص، كما فعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والكتاب والسنة شفاء وهدى لمن أصغى إليهما، ومن طلب الحق منهما ناله وفهمه، وقد قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ٢٩)، والأمر بتدبره والتذكر ليس مخصوصاً بالعلماء المجتهدين، بل عام لكل من ناله فهم يدرك به معنى الكلام، والتقليد المفضي إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾، وقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ ﴾ (الشورى: ٢١). انتهى<sup>(١)</sup>.

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ٢ / ٣٤).



وقال سماحة شيخنا الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله في رده على الصابوني؛ لما قال عن تقليد الأئمة الأربعة: (إنه من أوجب الواجبات)، قال الشيخ: «لا شك أن هذا الإطلاق خطأ؛ إذ لا يجب تقليد أحدٍ من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، مهما كان علمه؛ لأن الحق في اتباع الكتاب والسنة، لا في تقليد أحدٍ من الناس.

وإنما قصارى الأمر أن يكون التقليد سائغاً عند الضرورة؛ لمن عرف بالعلم والفضل واستقامة العقيدة، كما فصل ذلك العلامة ابن القيم رحمته الله في كتابه: «إعلام الموقعين».

ولذلك كان الأئمة - رحمهم الله - لا يرضون أن يؤخذ من كلامهم إلا ما كان موافقاً للكتاب والسنة.

وذكر رحمته الله مقالة مالك المشهورة في هذا الباب، ثم قال: (فالذي يتمكن من الأخذ بالكتاب والسنة يتعين عليه ألا يقلد أحداً من الناس، ويأخذ عند الخلاف بما هو أقرب الأقوال لإصابة الحق.

والذي لا يستطيع ذلك فالمشروع له أن يسأل أهل العلم، كما قال الله عز وجل: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، و(الأنبياء: ٧) «انتهى كلامه»<sup>(١)</sup>.

(١) «مجموع فتاوى ومقالات الشيخ»: (٥٢ / ٣).

وسئل العلامة ابن عثيمين رحمته الله: كثر عند بعض الشباب الصالح القول بعدم التقليد مستندين إلى بعض أقوال ابن القيم عليه رحمة الله، فما قولكم؟

فأجاب بقوله: «الحقيقة أنني أؤيد هذا، أن الإنسان لا يركن إلى التقليد؛ لأن المقلد قد يخطئ، ولكني مع ذلك لا أرى أن نبتعد عن أقوال أهل العلم السابقين حتى لا نتشتت، ولكن إذا دعت الضرورة إلى التقليد فإنه لا بد منه لقول الله تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء: ٧)، فأوجب سبحانه سؤال أهل الذكر إذا كنا لا نعلم، وسؤالهم يتضمن اعتماد قولهم، وإلا لم يكن لسؤالهم فائدة.

فالتقليد كما قال شيخ الإسلام بمنزلة الميتة إن اضطرت إليها فكلها، وإن استغنيت عنها فهي حرام عليك، فمتى نزل بالإنسان نازلة، ولا يتمكن من مطالعتها في الكتب التي تسوق الأدلة فلا حرج عليه - حينئذ - أن يقلد<sup>(١)</sup>.  
وأما مساوئ المذهبية المتعصبة فهي كثيرة جداً، ولا يسع المجال لذكرها هنا، والله الموفق.

(١) «كتاب العلم»: (ص ١٢٦).

### ٣ - الكلام والفلسفة والمنطق:

رحم الله أبا قلابة عبد الله بن زيد الجرمي إذ قال: «إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث والآحاد، وهات (العقل) فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات (الذوق والوجد) فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حلَّ فيه، فإن جَبُنْتَ منه فاهرب، وإلا فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي، واخنقه»<sup>(١)</sup>.

وعن مالك أنه قال: «من طلب العلم بالكلام تزندق...»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يفلح من تعاطى الكلام، ولا يخلو من أن يتجهم».

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٢).

(٢) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٨٥٩).

(٣) الطحاوية (ج ١ / ص ٦٧ - ط مكتبة المعارف).

قال ابن عبد البر رحمته الله: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أنَّ أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يُعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنَّما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والعجب أن من هؤلاء - يعني: أهل الكلام - من يصرح بأن عقله إذا عارضه الحديث حمل الحديث على عقله، وصرح بتقديمه على الحديث، وجعل عقله ميزاناً للحديث، فليت شعري هل عقله هذا كان مصرحاً بتقديمه في الشريعة المحمدية، فيكون هو السبيل المأمور باتباعه، أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله». اهـ. مختصراً<sup>(٢)</sup>.

فتوى في تعلم المنطق والفلسفة:

وقال الإمام الذهبي: «ومن فتاويه - يعني: أبا ذر الهروي - أنه سئل عن من يشتغل بالمنطق والفلسفة فأجاب:

«الفلسفة أس السفه، والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين،

(١) في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥).

(٢) الفتاوى (٤/ ٥٥-٥٨).



ومن تلبس بها قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد ﷺ، إلى أن قال: واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبعدة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية - والله الحمد - افتقار إلى المنطق أصلاً، فهو فقايع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، فالواجب على السلطان - أعزه الله - أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبيدهم<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - اتباع الكتب والعكوف عليها:

ولقد حرص السلف على الاشتغال بالكتاب والسنة قبل كل شيء، والنهي عن كل ما يشغل عن ذلك من كتب ولو كان فيها من الخير ما فيها؛ لأن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أعظم وأجل، وأكثر بركة وهدى وتقى. فعن الأسود قال جاء رجل من أهل الشام إلى عبدالله بن مسعود، ومعه صحيفة فيها كلام من كلام أبي الدرداء، وقصص من قصصه، فقال: «يا أبا عبد الرحمن، ألا تنظر ما في هذه الصحيفة من كلام أخيك أبي الدرداء؟ فأخذ الصحيفة، فجعل يقرأ فيها وينظر، حتى أتى منزله، فقال: «يا جارية اثيني بالإجانة مملوءة ماء». فجاءت به،

(١) سير النبلاء (٢٣/١٤٣).

فجعل يدلّكها، ويقول: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ (يوسف: ١ - ٣).

أقصصاً أحسن من قصص الله تريدون، أو حديثاً أحسن من حديث الله تريدون؟!». (حسن لغيره).

أ- كتب الرأي، أو (ما يسمى بكتب الفقه):

انظر - أخي القارئ - إلى ما قاله ابن الجوزي وهو ينقل عن الإمام أحمد أنه: «كان يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي، ويجب التمسك بالآثار»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: أن رجلاً سأل أحمد بن حنبل أكتب كتب الرأي<sup>(٢)</sup>؟ قال: لا، قال فابن المبارك قد كتبها؟

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ١٩٢).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن المتقدمين كانوا يجمعون في الباب بين المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، ولم تكن وُضِعَتْ كتب الرأي التي تسمى (كتب الفقه)». (الفتاوى ١٨ / ٧٤، ٧٥)، قلت: يعني التي تُعْنَى بتشقيق المسائل، ويقل فيها الدليل أو ينعدم أحياناً، ولا يبالى أصحابها إلا بحكاية المذهب، والاستدلال له بأي دليل ولو كان ضعيفاً.



قال: «ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق»<sup>(١)</sup>.  
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ولما كان القرآن أحسن الكلام نهوا  
عن اتباع ما سواه، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١)».

وقال ابن رجب رحمته الله: «كان الإمام أحمد ينهى عن آراء الفقهاء والاشتغال  
بها حفظاً وكتابة، ويأمر بالاشتغال بالكتاب والسنة حفظاً وفهماً وكتابة ودراسة،  
وبكتابة آثار الصحابة والتابعين دون كلام من بعدهم، ومعرفة صحة ذلك من  
سقمه، والمأخوذ منه والقول الشاذ المطرَّح منه. ولا ريب أن هذا مما يتعيَّن الاهتمام  
به والاشتغال بتعلُّمه أولاً قبل غيره»<sup>(٢)</sup>. وهذا قول أبي حنيفة في رواية عنه:  
«ويحك يا يعقوب! - وهو أبو يوسف -: لا تكتب كل ما تسمع مني؛ فإنني قد  
أرى الرأي اليوم وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غدٍ»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حزم: وروي أن مالكا أفتى في مسألة في طلاق البتة: أنها ثلاث،  
فنظر إلى أشهب قد كتبها، فقال: امحها، أنا كلما قلت قولاً جعلتموه قرأناً؟!، وما

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ١٩٤).

(٢) الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (ص ٣٨).

(٣) ينظر تحريجه في «صفة الصلاة».

يدريك لعلّي سأرجع عنها غداً، فأقول: هي واحدة. وقال الفضل بن زياد: سألت أحمد بن حنبل عن الكرابيسي<sup>(١)</sup> وما أظهر؟ فكلح وجهه، ثم قال: إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، وتركوا آثار رسول الله ﷺ وأصحابه، وأقبلوا على هذه الكتب<sup>(٢)</sup>.

وقال إسماعيل بن علية: قال ابن عون: «أحسب أو أرى يكون لهذه الكتب غب سوء. قال إسماعيل: «إنما كرهوا الكتاب؛ لأن من كان قبلكم اتخذوا الكتب، فأعجبوا بها، فكانوا يكرهون أن يشتغلوا بها عن القرآن»<sup>(٣)</sup>.

ومن أحب أن يتسلى فليتسل بما قاله الإمام الحافظ شيخ الإسلام الجماعة محمد بن أسلم الطوسي رحمه الله: «إن هؤلاء قد كتبوا رأي فلان، وكتبت أنا الأثر، فأنا عندهم على غير الطريق، وهم عندي على غير الطريق»<sup>(٤)</sup>.

(١) حسين الكرابيسي كان من بحور العلم فقيه بغداد، تفقه بالشافعي مات (٢٤٨هـ) كما قال

الذهبي رحمه الله (السير ١٢ / ٧٩)، وإنما تكلم فيه لأجل الرأي وقلة العناية بالأثر.

(٢) صحيح: رواه يعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣ / ٤٩٤).

(٣) تقييد العلم للخطيب (ص ٥٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٢٠٠)، وكان محمد بن أسلم يشبه بأصحاب النبي ﷺ، قال

ابن خزيمة: «لم تر عيناى مثله»، وقال ابن راهويه: «لم أسمع عالماً منذ خمسين سنة كان أشد

تمسكاً بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم».



## ب- الكتب الفكرية والحركية والثقافية:

وإذا كان هذا في كتب فيها بعض الأدلة، فكيف بمن اتبع الظن وما تهوى الأنفس، واعتمد في جُلِّ ما يقول على الصحف والمجلات، فكتب ما يسمى بالكتب الفكرية، أو الكتب الحركية وعكف عليها، وأعرض عن التفقه في نصوص الكتاب والسنة.

وقد سئل سماحة شيخنا ابن باز رحمته الله: «بعض الناس يعتمد على الكتب الفكرية والثقافية، ويقرأ منها ثم بعد ذلك يظن أنه عالم وداعية مع أنه ضعيف في الفقه في الدين...»

ج: العلم قال الله وقال رسوله، وليس قال فلان وفلان، بعد ذلك قول أهل العلم بما يفسرونه ويوضحونه للناس وأهل العلم هم خلفاء الله في عباده بعد الرسل، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَابِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨)، والعلم هو: العلم بالله وبدينه، وقال: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، وهم الرسل وأتباعهم أهل البصائر، أهل القرآن والسنة. ولا يكون طالب العلم من أهل العلم إلا بتدبر وتعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والأخذ من علماء السنة، هذا هو طريق العلم.

أن يقبل على الطاعات والتدبر والاستفادة، ويطالع ما أشكل عليه في

كتب التفسير المعتمدة، كـ(تفسير ابن كثير)، و(البغوي) ونحوهما، ويعتني بكتب الحديث الشريف، ويأخذ العلم عن علماء أهل السنة والجماعة من أهل البصيرة، لا من علماء الكلام، ولا من علماء البدع، ولا من الجهلة فالعلم الذي ليس من كتاب الله وسنة رسوله لا يسمى علماً، بل يسمى جهلاً.

وإن كان علماً نافعاً في الدنيا لكن المقصود الذي ينفع في الآخرة، وينقذ من الجهالة، ويتبصر به الإنسان في الدين ويعرف ما أوجب الله عليه، وما حرم عليه هذا هو العلم الشرعي<sup>(١)</sup>.

#### ج- كتب الرقائق والسلوك:

ونحو هذا العكوف على كتب أهل السلوك من أهل الأذواق والأحوال، والحقائق والتصوف، وزعم أنها كتب رقائق وزهد.

فمن أراد الزهد فعليه باختيار الكتب النافعة في ذلك على طريقة السلف، كالزهد لأحمد، والزهد والرقائق لابن المبارك، والزهد لهناد بن السري ونحوها.

أما كتب الصوفية كإحياء الغزالي، وشروحه، ومختصراته فالأولى تركها، أو هجرها، بل والتحذير منها. قال ابن الجوزي رحمته الله: «وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لا تستند إلى أصل، وإنما واقعات تلقفها بعضهم عن بعض،

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/ ٢٣٥: ٢٣٦).

ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن.

قال إسحاق بن حية: سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوسائس والخطرات؟ فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون». وقال ابن الجوزي رحمته الله: ورؤينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البرذعي قال: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه؟

فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. قيل له: في هذه الكتب عبرة! قال: من لم يكن له في كتاب الله ﷻ عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة صنّفوا هذه الكتب على الخطرات والوسائس وهذه الأشياء؟! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديلمي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع<sup>(١)</sup>.

هناك كتب أخرى ليست صوفية، ولكنها ألفت لهداية جماعة من المتصوفة

(١) المتتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص ٢١٦).

إلى طريق السنة وخاطبهم بأسلوبهم حتى ينفذوا إليهم بها، كـ«مدارج السالكين» لابن القيم. وله اجتهاده وهو مأجور إن شاء الله، وهو كتاب نافع، وقد بين ذلك في مقدمته.

ومما يدخل في هذا المعنى - أيضاً - ما ورد في الحديث: «إن بني إسرائيل لما هلكوا قصوا»<sup>(١)</sup>، وعلق عليه شيخنا الألباني رحمه الله بقوله: «من الممكن أن يقال: إن سبب هلاكهم اهتمام وعاظهم بالقصص والحكايات دون الفقه والعلم النافع الذي يعرف الناس بدينهم، فيحملهم ذلك على العمل الصالح؛ لما فعلوا ذلك هلكوا. وهذا هو شأن كثير من قصاص زماننا الذين جل كلامهم في وعظهم حول الإسرائيليات والرقائق والصوفيات، نسأل الله العافية».

#### ٥ - البدع والشبهات:

والبدعة: «هي طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يُقصدُ بالسلوكِ عليها المبالغة في التعبد لله تعالى»<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣). وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾

(١) (الصحيحة/ ١٦٨١).

(٢) الاعتصام (١/ ٥١).



وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿الشورى: ٢١﴾، وقوله ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق»<sup>(٣)</sup>، وقال أيضاً: «ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم»<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن المسيب أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع، فنهاه، فقال يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟! قال: «لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة»<sup>(٥)</sup>.

وهذا إمام دار الهجرة الإمام مالك يقول: «من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٠٩) وهو في «الصحيح» (٢٧٣٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) إسناده صحيح: رواه الدارمي (٥٤ / ١).

(٤) رواه مسلم: (١٥٦ / ٥).

(٥) صحيح: رواه عبد الرزاق (٣ / ٥٢-٤٧٥٥) الإرواء (٢ / ٢٣٦).

(المائدة: ٣)، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها<sup>(١)</sup>. اهـ<sup>(٢)</sup>.

ويوضح ذلك قول ابن عباس: «ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن»<sup>(٣)</sup>.

وقد سُئل الإمام مالك رحمته الله فقال له رجل: يا أبا عبد الله: من أين أحرم؟ قال: «من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ» فقال: أنا أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: «لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة» فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: «وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)»<sup>(٤)</sup>.

(١) وقد روي عن عمر بن عبد العزيز: «لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها، يحسب أنها هدى» في «السنة» لمحمد ابن نصر المروزي (٩٥).

(٢) صحيح: ينظر الاعتصام (١/ ٦٢)، (٢/ ٣٦٨).

(٣) إسناده لا بأس: رواه الطبراني (١٠/ ٣١٩-ح ١٠٦١٠)، واللالكائي (١/ ٩٢)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٩٨).

(٤) إسناده لا بأس به: والهروي في «ذم الكلام» (ح ٤٦٣)، واللالكائي (ح ٢٩٤)، وابن حزم في «الاحكام» (٦/ ٥٦).

## ٦ - الهوى والشهوات:

وإن مما يعوق ويمنع من الاتباع هوى النفس، وعدم إرادة طلب الحق، والبحث عنه، والأخذ بما يشتهي من الأقوال ولو كانت على خلاف السنة والنصوص.

قال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦)، وقال جل وعلا: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠)، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ أَهْدًى﴾ (النجم: ٢٣).

قال الإمام ابن القيم: «كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة، وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخبرية، وأهل مسائل الأحكام العملية، يسمونهم: أهل الشبهات والأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

(١) إغاثة اللفهان (٢/ ١٣٨).

وفي الحديث: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّاهم الله فاحذروهم»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث أيضاً: «وأما المهلكات فشحُّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣):

«فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده؛ لأجل هوائك، أو انتصاراً لمذهبك، أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو الدنيا، فإنَّ الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله، والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبدُ جميعَ الخلقِ، واتبع الرسول ما سألَه الله عن مخالفة أحد... فاعلم ذلك واسمع، وأطع واتبع، ولا تبتدع تكن أبتر مردوداً عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتباع، ولا خير في عامله، والله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) (حسن) أخرجه البزار (٦٤٩١) وغيره (الصحيحه/ ١٨٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦).





## ٧ - إيثار الدنيا وحبها:

وقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٦ - ١٧)، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (ص: ٤٦)، قال مجاهد: أي: جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌّ غيرها. وكذا قال السدي: ذكرهم للآخرة وعملهم لها، وقال مالك بن دينار: نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن: ١٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان ضاريان في حظيرة يأكلان ويفسدان بأضر فيها من حب الشرف وحب المال في دين المرء المسلم»<sup>(١)</sup>.

## ٨ - الصحبة السيئة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّى لَيَتِي لِمَ اتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ (الفرقان: ٢٧ - ٣٠). قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي

(١) (صحيح) رواه البزار (٦١٢٩) بإسناد حسن، وهو في صحيح الترغيب (٣٢٥٢).

النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ (الأحزاب: ٦٦ - ٦٧). وفي الحديث: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن بطة رحمته الله: «اعلموا - إخواني - أني فكّرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة، واضطّروهم إلى البدعة والشناعة، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين، أحدهما: البحث والتنقيب، وكثرة السؤال عما لا يغني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه. والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب بصحبته»<sup>(٢)</sup>.

#### ٩ - شياطين الإنس والجن:

وقال: ﴿أَفْتَحْذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٠).

وقال تعالى حاكياً عن موسى قوله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص: ١٥).

عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: وإني خلقت

(١) (حسن) رواه أبو داود (٤٨٣٥)، والترمذي (٢٣٧٨) وهو خرج في «الصحيحة» (٩٢٧).

(٢) (الإبانة ١/ ٣٩٠).

عبادي خُنَفَاءُ فجاءتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهن، وحرَّمت عليهن ما أحللتُ لهن»<sup>(١)</sup>.

#### ١٠ - الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

وفي الحديث عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم فيأياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً، ولمن يدعي السنة خصوصاً»<sup>(٣)</sup>.

#### ١١ - الجهل، وأخذ العلم عن الجهلة:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ٣٩). وفي الحديث

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) (رواه مسلم / ٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٠).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوَهُ انْتِزَاعاً، وَلَكِنْ يَنْتِزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جَهَّالٌ يُسْتَفْتُونَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ»<sup>(١)</sup>.

وقد قال علي رضي الله عنه: «حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَالرَّسُولُ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أقبل الكثير من الناس الذين يريدون العلم على الجهلة، وأخذوا العلم عن غير أهله، من أنصاف العلماء، والصغار أصحاب الرعونات سفهاء الأحلام صغار الأسنان، وأهل البدع والقصاصين، ومن يُسمى بالمفكرين والمتقفين والمتلقفين، فهؤلاء يتعلق بهم العوام، والنساء، ويأنسون بهم. وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَيَسْأَلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ (النحل: ٤٣)، وقوله: ﴿وَاتُّوْا اَلْبَيُّوْتَ مِنْ اٰتُوْبِيْهَا﴾ (البقرة: ١٨٩). وقد قال النبي ﷺ: «إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال اللالكائي: «معناه: أَنْ الصَّغِيرِ إِذَا أَخَذَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

(١) (متفق عليه).

(٢) (رواه البخاري/١٢٧).

(٣) صحيح: رواه ابن المبارك (ح ٦١) وهو في «الصحيح» (٦٩٥).



وأصحابه والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول (أهل الرأي) وترك السنن فهو صغير»<sup>(١)</sup>.

وقول ابن مسعود: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، وعن أمتائهم وعلمائهم فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»<sup>(٣)</sup>.  
وقد قال مجاهد: «ذهب العلماء فلم يبق إلا المتكلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم»<sup>(٤)</sup>.

وصدق والله، لقد كثر الكلام والسفسطة، وقل العلم والفقه، والعمل في الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## ١٢ - الجدل وحب الظهور، وقلة الإخلاص:

فأهل الكلام أهل جدال وخصام في الدين، وقد نهينا عن ذلك أشد النهي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِيهِمْ فِي الْبَلَدِ﴾

(١) اللالكائي في «شرح أصول السنة» (١/ ٨٥)، وقال ابن المبارك: «هم أصحاب البدع». فمما لا شك فيه أنهم داخلون فيه دخولاً أولياً.

(٢) صحيح الإسناد: رواه عبد الرزاق (١١/ ٢٥٧).

(٣) رواه مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ١٢٦).

(٤) رواه أبو خيثمة (ص ٦٩).

(غافر: ٤). وفي الحديث: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف: ٥٨).

والجدل يشغل كثيراً عن اتباع النبي ﷺ، بل يمنع الناس من الانتفاع بالكتاب والسنة، ولهذا جاء عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ خرج على الصحابة وهم يتنازعون في القدر، هذا ينزع بآية، وهذا ينزع بآية، فغضب ﷺ غضباً شديداً، وقال: «أبهذا أمرتم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتهم عنه فاجتنبوه»<sup>(٣)</sup>. بل إنه مهلكة للعبد كما ورد عن النبي ﷺ قوله: «وأما المهلكات... وإعجاب المرء بنفسه». (تقدم).

وقال مالك رحمه الله: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به

جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) حسن: أحمد «صحيح الترغيب» (١٣٧).

(٣) متفق عليه.

(٤) الحلية (٣/ ٣٢٤)، والحجة (٢/ ٤٥٥).

### ١٣ - الغلو والتعمق والتكلف:

قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧١)، وفي الحديث: «ولن يشاد هذا الدينَ أحدٌ إلا غلبه»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل عمل شرّة، ولكل شرّة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»<sup>(٢)</sup>. وفي الأثر: إياكم والتنطع والتعمق.

يقول شيخ الإسلام: «إن أكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقترن بتعمقهم التكلف المذموم من المتكلمين والمتعبدين، وهو القول والعمل بلا علم، وطلب ما لا يدرك، وأصحاب محمد كانوا - مع أنهم أكمل الناس علماً نافعاً، وعملاً صالحاً - أقل الناس تكلفاً، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو المعارف، ما يهدي الله بها الأمة، وهذا من منن الله على هذه الأمة، وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات، ما هو من أعظم الفضول المبتدعة، والآراء المخترعة، لم يكن لهم في ذلك سلف إلا رعونات النفوس المتلقاة من ساء قصده في الدين»<sup>(٣)</sup>.

(١) (رواه البخاري/ ٣٩).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي عاصم (٢٨/ ١)، وأصله عند أحمد.

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٨).

١٤ - القواعد التي وضعها بعضهم وهي تخذش في توحيد الاتباع:

أ- لا يقال هذا الحديث العمل على خلافه:

ذكر أبو العباس أحمد بن يحيى بإسناده قال: كان عبد الله بن الحسن يكثر الجلوس إلى ربيعة، قال: فتذاكروا يوماً السُّنن، فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا؟، فقال عبدالله: أرأيت إن كثر الجهَّال، حتى يكونوا هم الحُكَّام، فهم الحجة على السنة؟! فقال ربيعة: «هذا كلام أبناء الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة ابن القيم: «الفرق بين تجريد متابعة المعصوم وإهدار أقوال العلماء وإلغائها: أن تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائناً من كان، بل تنظر في صحة الحديث - أولاً - فإذا صح لك نظرت في معناه ثانياً، فإذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك مَنْ بَيَّنَّ المشرق والمغرب، ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبيُّها، بل لابد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله، بل اذهب إلى النص ولا تضعف، واعلم أنه قد قال به قائل قطعاً ولكن لم يصل إليك.

هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه، فهم دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة،

(١) إغاثة اللهفان (١/٣٢٣).





ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها... قال الشافعي رحمه الله: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «يقبل الخبر في الوقت الذي يثبت فيه، وإن لم يمض عمل من الأئمة بمثل الخبر الذي قبلوا، وأنه لو مضى عمل من أحد من الأئمة، ثم وجد خبراً عن النبي ﷺ يخالف عمله لترك عمله لخبر رسول الله ﷺ، وأن حديث رسول الله ﷺ يثبت بنفسه لا بعمل غيره». اهـ. باختصار يسير<sup>(٢)</sup>.

ب- قول بعضهم: إنه لا يجب العمل بخبر الواحد لاسيما في الاعتقاد:  
والرد عليه بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، وموضع الحجة من الآية أولاً: أن اسم الطائفة عند العرب يقع على العدد القليل والكثير، ثانياً: أن أمر الله إياهم بالإنذار دليل على أن على المنذرين قبوله، ثالثاً: قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فلو لا قيام الحجة عليهم ما استوجبوا الحذر.

(١) «الروح» (ص ٢٦٤).

(٢) (الرسالة/ ص ٤٢٣: ٤٢٤).

والحجج في ذلك كثيرة جداً في السنة، فمنها على سبيل المثال: تحول الناس في صلاتهم من استقبال بيت المقدس إلى استقبال المسجد الحرام، وبعث رسول الله ﷺ عماله واحداً بعد واحد، بتبليغ الشرع، وإقامة الحدود، ونحوه. قال ابن القاص: «لا خلاف بين أهل الفقه في قبول خبر الآحاد، إذا عُدَّتْ نقلته، وسلم من النسخ حكمه، وإن كانوا متنازعين في شرط ذلك، وإنما دفع خبر الآحاد بعض أهل الكلام لعجزه - والله أعلم - عن علم السنن، زعم أنه لا يُقبلُ منها إلا ما تواترت به أخبار من لا يجوز عليه الغلط والنسيان، وهذا عندنا ذريعة إلى إبطال سنن المصطفى ﷺ.... ويلزم منه ألا يقبل من الأخبار إلا ما روت الأنبياء عن الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

وللبخاري في «صحيحه» كتاب: خبر الآحاد، يرد به على هؤلاء القوم الذين منعوا من قبوله، والله المستعان. ومن علّم الأنصار القرآن قبل هجرة الرسول ﷺ إليهم؟! إنما علمهم الكتاب والسنة مصعب بن عمير وحده، ولم يكن معه أحد غيره، وكذا في كل ناحية يعلمهم معلم واحد، وكذا الكتاتيب التي يتعلم فيها الصبيان القرآن أليس يعلمهم واحد تقوم به عليهم الحجة

(١) صحيح الفقيه والمتفقه (ص ٨٦).

بقراءته حتى يتبيّن أنه قد أخطأ؟!.

### ج- القياس إذا خالف النص:

أهل السنة والحديث يقدّمون الرواية والنص على النظر والعقل، ومن قواعدهم: «إذا جاء الأثر بطل النظر»، و«لا اجتهاد مع نص»، «وأنه لا يتعارض عقل سليم مع نص صحيح صريح».

وأما منشأ مدرسة الرأي فقد كان سبباً في ترك النصوص، والانشغال بالقياس على غير أصل، بل أقيسة على فروع، وأنشأوا القول بالاستحسان ونحو ذلك، مما جعلوه دليلاً حاكماً بين العباد، فيوجبون ويحرمون ويستحبون ويبيحون به دون الرجوع عند التنازع إلى الكتاب والسنة اللذين فيهما الكفاية للعباد.

وعن عمر بن الخطاب أنه خرج من الخلاء فقرأ القرآن، فقال له أبو مريم الحنفي: أتقرأ القرآن يا أمير المؤمنين، وأنت غير طاهر؟! فقال: أمسيلمه أفتاك بهذا؟<sup>(١)</sup>.

وعن علي قال: «إنكم إن عملتم في دينكم بالقياس أحللتهم كثيراً مما حُرِّم

(١) صحيح: رواه مالك في «الموطأ» (١/٢٠٠).

عليكم، وحرّمتم كثيراً مما أحلّ لكم<sup>(١)</sup>. وقال ابن الجوزي: «وربما اعتمد - أي: من ينسب إلى الفقه - على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم؛ لقلّة التفاته إلى معرفة النقل، وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة، فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه؟!».

ولكن غلب على المتأخرين الكسلُ بالمرّة عن أن يطالعوا علم الحديث، حتى إني رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ في «الصحيح»: لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا، ورأيته يحتج في مسألة، فيقول: دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله ﷺ قال كذا!. ويجعل الجواب عن حديث صحيح احتج به خصمه أن يقول: هذا الحديث لا يعرف. وهذا كله جناية على الإسلام!.

ومن ذلك إثارهم للقياس على الحديث المستدل به في المسألة؛ ليتسع لهم المجال في النظر، وإن استدل أحد منهم بالحديث هجّن، ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث. اهـ<sup>(٢)</sup>.

قال الشاطبي: «أعظم تلك الفرق فتنة على الأمة أهل القياس على غير

(١) حسن: رواه الخطيب، ينظر «صحيح الفقيه والتفقه» (ص ١٨٠).

(٢) «المنتقى النفيس من تلبيس إبليس»: (ص ١٢٧-١٢٩).

أصل، فإن أهل القياس متفقون على أنه على غير أصل لا يصح، وإنما يكون على أصل من كتاب أو سنة صحيحة، أو إجماع معتبر، فإذا كان للقياس أصل فاسد فهو الذي لا يصح أن يوضع في الدين؛ فإنه يؤدي إلى مخالفة الشرع، وأن يصير الحلال بالشرع حراماً بذلك القياس، والحرام حلالاً<sup>(١)</sup>.

والحاصل: أن المصير إلى الرأي إنما يكون عند فقد النص، وإلى هذا يومئ قول الشافعي فيما أخرجه البيهقي بسند صحيح إلى أحمد بن حنبل سمعت الشافعي يقول: «القياس عند الضرورة»<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك فليس العامل برأيه على ثقة من أنه وقع على المراد من الحكم في نفس الأمر، وإنما عليه بذل الوسع في الاجتهاد ليؤجر ولو أخطأ، وبالله التوفيق.

#### د- عمل أهل المدينة إذا خالف النص:

لأن عمل أهل المدينة لا يُعدُّ إجماعاً، ولو كان أكثر أهل العلم بالمدينة في الزمن الأول بها، يوضح ذلك المسألة التي بعدها.

(١) الاعتصام للشاطبي تحقيق الهلالي (٢/٧٩٦).

(٢) صحيح: رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن» (ص ٢٤٨).

هـ- الحرص على اتباع الجمهور والأكثرية، ولو كانت على خلاف النص: كثير من طلاب العلم يحرص على معرفة قول الجمهور من العلماء، ويعتبر هذا من الأدلة على صحة القول!، بل وبعضهم يتبجح بذكر أدلة اتباع الاجماع على ما أراد التزامه من مذهب الجمهور.

فنحن نعتقد أن لا دليل على هذا الصنيع في الكتاب والسنة، بل الأدلة على خلافه، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «يا عمرو بن ميمون إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو شامة رحمته الله: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح: رواه اللالكائي (ح ١٦٠)، وصححه العلامة الألباني في «تخريج المشكاة» (٦١/١).

(٢) الباعث على إنكار البدع (ص ٩١).



وقد كان أبو بكر صاحب الحق والصواب مع مخالفة عمر له وسائر الصحابة عند موت النبي ﷺ، حتى خرج عليهم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وتلا عليهم الآية، فالسواد الأعظم كان ذاهلاً عنها، وكأنهم لم يقرأوها من قبل. وكان الحق معه - أيضاً - حين بعث جيش أسامة وأنفذه، وكان الحق معه في قتال مانعي الزكاة.

وقال الإمام ابن القيم (رحمته الله) في معرض الرد على من يجعل قول الجمهور حجة، قال: «قولكم: يكفي أن ثلاثة أركان الأمة عليه»، يريدون الشافعي، وأبا حنيفة، وأحمد، فطرد هذا يوجب عليكم أن كل مسألة اتفق عليها ثلاثة من الأئمة وخالفهم الرابع: أن تأخذوا فيها بقول الثلاثة؛ لأنهم ثلاثة أركان الأمة، وهذا يلزم أهل كل مذهب، وكل هذه التلفيقات بمعزل عن البرهان الذي يطالب به كل من قال قولاً في الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء: ٥٩)، فأين أمر بالرد إلى ما ذكرتم ومن ذكرتم؟!... وقولكم: «إن هذا قول الجمهور»، فإن كان قول الجمهور في كل مسألة تنازع فيها العلماء هو الصواب؛ وجب بطلان كل قول انفرد به أحد الأئمة عن الجمهور.... وهم إذا كان قول الجمهور معهم نادوا فيهم على رؤوس الأشهاد، وأجلبوا بهم على من خالفهم، وإذا كان قولهم

خلاف قول الجمهور، قالوا: قول الجمهور ليس بحجة، والحجة في الكتاب والسنة والإجماع!! ثم نقول: أين المكاثرة بالرجال إلى المكاثرة بالأدلة؟! والواجب اتباع الدليل أين كان، ومع من كان، وهو الذي أوجب الله أتباعه، وحرّم مخالفته، وجعله الميزان الراجح بين العلماء، فَمَنْ كان من جانبه، كان أسعد بالصواب، قلّ موافقوه أو كثروا». اهـ<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم أيضاً: «إن الجماعة والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض»<sup>(٢)</sup>.

و- قولهم بعدم شمولية النصوص لجميع أبواب الدين:

وليس لأحد أن يقول إن السنة لا تفي بأبواب الشريعة لاسيما فروع الفقه، ويصد بهذا القول عن اتباعها، أو تعلمها، أو الحرص عليها. فعن أبي ذر قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحيه إلا هو يذكرنا منه علماً، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بقي شيء يُقَرَّبُ من الجنة ويباعدُ من النار إلا وقد بين لكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) الفروسية (ص ٢٩٧).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٣٩٧).

(٣) رواه البطراني (٢/ ١٥٥) الصحيحة/ ١٨٠٣.



قال وكيع: «لو أنكم تفقهتم الحديث، وتعلمتموه ما غلبكم أصحاب الرأي، (ما قالوا) في شيء يحتاج إليه إلا ونحن نروي فيه باباً»<sup>(١)</sup>.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن يقول: إن النصوص لا تفي بعشر معشار الشريعة، هل قوله صواب؟.

الجواب: «الحمد لله رب العالمين، هذا القول قاله طائفة من أهل الكلام والرأي كأبي المعالي وغيره، وهو خطأ، بل الصواب الذي عليه جمهور أئمة المسلمين أن النصوص وافية بجمهور أحكام أفعال العباد، ومنهم من يقول: إنها وافية بجميع ذلك.

وإنما أنكر ذلك من أنكره؛ لأنه لم يفهم معاني النصوص العامة التي هي أقوال الله ورسوله، وشمولها لأحكام أفعال العباد؛ وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بجوامع الكلم، فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة التي هي قضية كلية، وقاعدة عامة تتناول أنواعاً كثيرة، وتلك الأنواع تتناول أعياناً لا تحصى، فبهذا الوجه تكون النصوص محيطية بأحكام أفعال العباد.

والكلام في عامة مسائل النزاع بين المسلمين إذا طلب ما يفصل النزاع من نصوص الكتاب والسنة وجد ذلك، وتبين أن النصوص شاملة لعامة أحكام

(١) صحيح: رواه الخطيب في «الفيح والمفتقه» (ح٧٨٩).

الأفعال، وكان الإمام أحمد يقول: إنه ما من مسألة يسأل عنها إلا وقد تكلم الصحابة فيها أو في نظيرها، والصحابة كانوا يحتجون في عامة مسائلهم بالنصوص كما هو مشهور عنهم، وكانوا يجتهدون رأيهم ويتكلمون بالرأي ويحتجون بالقياس الصحيح أيضاً<sup>(١)</sup>.

### ز- التلفيق بين المذاهب، وتتبع رخص وزلات العلماء:

وقال الشيخ حمد بن ناصر: «إنما التلفيق الباطل كالذي يُقَلَّدُ أبا حنيفة في مس الذكر والإمام أحمد في يسير الدم لحقه بعد الوضوء ونحو ذلك؛ لأنه صلاته باطلة عند الإمامين أبي حنيفة ويسير الدم، وأحمد بمس الذكر، هذا ونحوه هو التلفيق». اهـ<sup>(٢)</sup>. يفر بعض الناس من التعصب للمذاهب زعموا؛ فيتتبع الرخص من كل مذهب دون النظر في قوة الدليل، وهذا هو التلفيق المحرّم، وإنما الواجب اتباع الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة وليس بتتبع ما يشتهي من أقوال العلماء، وقد قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٧-١٨).

قال سليمان التيمي: «لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله».

(١) إعلام الموقعين (٩/٢).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٥٤٦).



وقال ابن عبد البر - معلقاً على هذا الأثر - هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً<sup>(١)</sup>.  
قال الأوزاعي: «من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام»<sup>(٢)</sup>. والإمام  
الشاطبي حكى الإجماع على أن تتبّع رخص المذاهب بغير مستند شرعي فسق  
لا يحل<sup>(٣)</sup>.

### ح - تقسيم بعضهم الدين إلى قشور ولباب.

البعض إذا ذكّر بأمر شرعي ثبت عن النبي ﷺ، نجد جوابه: «إنه ليس  
من الأمور المهمة ذوات البال، بل إنه من القشور أو القضايا السطحية!، وأن  
الأمّة تمزق وتقطع ونحن نغرق أنفسنا وغيرنا في الجزئيات والفرعيات  
... إلخ!!!».

نقول لهؤلاء على رِسْلِكُمْ لا يستهوينكم الشيطان؛ فإن الله ﷻ قال:  
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

قال الحافظ ابن كثير: «ادخلوا في الإسلام وأطيعوا أوامره جميعاً».

(١) (إسناده صحيح) (٢/٩٢٧).

(٢) (٧/١٢٥).

(٣) (الموافقات ٤/١٣٤).

وقال الألوسي رحمه الله: «والمعنى: ادخلوا في الإسلام بكليتكم لا تدعوا شيئاً من ظاهركم وباطنكم إلا والإسلام يستوعبه بحيث لا يبقى مكان لغيره». اهـ.  
«فلا ينبغي أن يستهين المسلم بشيء من الذنوب، فربّ ذنب يكون سبباً لزيغ القلب، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾» (الصف: ٥).

وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ مِثْلَ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمِثْلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى جَمَعُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خَبْزَهُمْ، وَإِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا أَهْلَكَتْهُ»<sup>(١)</sup>.

وأرى أن أبلغ رد على هؤلاء الذين يحقرون من شأن المعاصي ويستخفون بالطاعات والسنن هو قول أبي سعيد الخدري: «إِنكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ»<sup>(٢)</sup>.  
وقول عبادة بن قُرس: «إِنكُمْ تَأْتُونَ أَشْيَاءَ هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ،

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٦٧/٦) وغيره (الصحيحة ٣٨٩).

(٢) حسن الإسناد: رواه عبدالله بن أحمد في «زوائده» (٣/٣)، وقد ورد عن أنس رواه



كنا نَعُدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات». وقد ذكروا قول عبادة بن قرص لمحمد بن سيرين فصدقه، وقال: «صدق، وأرى جر الإزار منه»<sup>(١)</sup>. قلت: صدق الله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥).

وقال العز بن عبد السلام: «لا يجوز التعبير عن الشريعة بأنها قشر، مع كثرة ما فيها من المنافع والخير، وكيف يكون الأمر بالطاعة والإيمان قشراً؟. ولا يطلق مثل هذه الألقاب إلا غبيٌّ شقيٌّ، قليل الأدب، ولو قيل لأحدهم: إن كلام شيخك قشور، لأنكر ذلك غاية الإنكار، ويطلق لفظ القشور على الشريعة، وليست الشريعة إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيعزِّر هذا الجاهل تعزيراً يليق بمثل هذا الذنب»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) صحيح: عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٣/ ٤٧٠)، (٥/ ٧٩).

(٢) فتاوى العز بن عبد السلام ص ٧١.

## الفصل الرابع

### الأسباب المعينة على الاتباع

١ - دراسة السنة، وكتب الحديث.

فإن من درسها أحبها، وازداد من اتباعه للحديث، وكان أقرب إلى الحق والهدى والصواب، وأبعد عن البدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «جماع الخير أن يستعين بالله في تلقي العلم الموروث عن النبي ﷺ، فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علماً، وما سواه إما أن يكون علماً نافعاً، وإما ألا يكون علماً، وإن سُمِّي به، ولئن كان علماً نافعاً فلا بد أن يكون في ميراث محمد ﷺ ما يغني عنه مما هو مثله وخير منه، وليكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه، فإذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل إذا أمكنه ذلك، وليجتهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي ﷺ، وما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من «صحيح محمد بن إسماعيل البخاري» لكن هو وحده لا يقوم بأصول العلم»<sup>(١)</sup>.

وإن ترك الاطلاع على السنة والاشتغال بها من علامات أهل البدع



والأهواء، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يجب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعته حلاوة الحديث من قلبه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال بشر بن السري السقطي: «نظرت في العلم فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر النبيين والمرسلين وذكر الموت، وذكر ربوبية الرب وجلاله وعظمته، وذكر الجنة والنار، وذكر الحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام وجماع الخير، ونظرت في الرأي فإذا فيه المكر والخديعة، والتشاح واستقصاء الحق، والمماسكة في الدين واستعمال الحيل والبعث على قطع الأرحام، والتجرؤ على الحرام»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- قراءة كتب في حقيقة الاتباع، والنهي عن الابتداع.

مثل كتاب: الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة، وكتاب ابن وضاح: البدع والنهي عنها، وكتاب الطرطوشي: الحوادث والبدع، وكتاب: الاعتصام للشاطبي، وكتاب: اقتضاء الصراط المستقيم، و«الاستقامة» لشيخ الإسلام

(١) (درأ التعارض ١/ ١٢٠).

(٢) (جامع بيان العلم لابن عبد البر، وشرف أصحاب الحديث للخطيب).

ابن تيمية، وكتاب: «الاعتصام بالكتاب والسنة» من صحيح البخاري، ومقدمة «سنن الدارمي»، ومقدمة «سنن ابن ماجه» ونحوها.

٣- الحرص على اتباع وفهم السلف خير القرون.

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧).

قال الإمام ابن القيم: «والصحابه هم الراشدون المهتدون، التي تمت هدايتهم ورشدهم، وكمال رشدهم يتضمن تمام الهداية في القول والفعل، ومعرفة الخطأ والصواب، والحق والباطل، وهذا يقتضي أنهم أولى بالهداية إلى الحق من غيرهم، ومن كان راشداً مهتدياً كان قوله وفتياه أقرب إلى الحق والصواب ممن لم يكن كذلك، وهذا يقتضي اتباعه، وتقديم قوله وفهمه لكمال هدايته، فاقتضت الآية تقديم أقوالهم وفتاويهم، والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

وسبق أن ذكرنا حديث النبي ﷺ: «فعلیکم بما عرفتم من سنتي وسنة

الخلفاء الراشدين المهديين».





قال الإمام البغوي رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «أمر بلزوم سنته، وسنة الخلفاء الراشدين، والتمسك بها بأبلغ وجوه الجدِّ، ومجانبة ما أُحْدِثَ على خلافها»<sup>(١)</sup>.  
وقوله عليه السلام في وصف الفرقة الناجية: «هي ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(٢)</sup>.  
وعن ابن مسعود قال: «إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد عليه السلام خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه، وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد عليه السلام فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه»<sup>(٣)</sup>.

وعن عمر بن عبد العزيز أنه أوصى بعض عماله: «أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله عليه السلام، وترك ما أُحْدِثَ المُحْدَثُونَ بعده... فعليك بلزوم السنة فإنه لك بإذن الله عصمة، واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق، فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفّوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا»<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢٠٦).

(٢) حسن أو صحيح لغيره، ينظر تخريجي لكتاب «لشريعة» للآجري (ح ١٦ ط - جديدة).

(٣) صحيح: ينظر تخريجي له في «الشرعية» (١٢٠٤).

(٤) صحيح: (صحيح سنن أبي داود/ ٤٦١٢)، وانظر تخريج «الشرعية» (٥٧٠).

وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وِلاَةَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةً، الْأَخْذَ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لَطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ [لَيْسَ لِأَحَدٍ تَبْدِيلُهَا وَلَا تَغْيِيرُهَا وَلَا فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا]، مَنْ اهْتَدَى بِهَا مُهْتَدِيٌّ وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا، اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»<sup>(١)</sup>.

وقال مالك رحمه الله: «لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ، وَلَا عُمَرُ، وَلَا عُثْمَانُ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن أبي حاتم: «أَمَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَمُ الَّذِينَ شَهِدُوا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ، وَعَرَفُوا التَّفْسِيرَ وَالتَّأْوِيلَ، وَهَمُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ ﷻ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَصَرْتَهُ وَإِقَامَةَ دِينِهِ، فَرَضِيهِمْ لَهُ صَحَابَةٌ وَجَعَلَهُمْ لَنَا قُدُورَةً فَحَفِظُوا عَنْهُ ﷺ مَا بَلَّغَهُمْ عَنْ اللَّهِ ﷻ وَأَتَقْنُوهُ؛ فَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَعَلِمُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ وَمَرَادَهُ بِمَعَايِنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَشَاهِدَتِهِمْ مِنْهُ تَفْسِيرَ الْكِتَابِ، وَاسْتِنْبَاطَهُمْ مِنْهُ، فَشَرَفَهُمُ اللَّهُ ﷻ، نَفَى عَنْهُمْ الشُّكَّ وَالْكَذِبَ وَالْغُلُطَ، وَسَمَّاهُمْ عُدُولَ الْأُمَّةِ، فَقَالَ ﷻ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

(١) صحيح لغيره: رواه الآجري (برقم ٩٢).

(٢) حسن الإسناد: رواه الهروي في «ذم الكلام» (ح ٨٦٥).



شُهِدَ آءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿ (البقرة: ١٤٣)، ففسر النبي ﷺ عن الله - عز ذكره - قوله: وسطاً، قال: عدلاً؛ فكان الصحابة عدول الأمة وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقله الكتاب والسنة وندب الله ﷻ إلى التمسك بهديهم والسلوك لسييلهم والاقتراء بهم، فقال: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ (النساء: ١١٥) <sup>(١)</sup>.

وقال شارح الطحاوية: «والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتَّبَعُهُمْ هُدًى وخلافهم ضلال» <sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - ملازمة أهل الاتباع الذين هم أهلهم والأخذ عنهم.

ثم الذين اتبعوهم بإحسان من أهل العلم في كل زمان ومكان هم أهل الاتباع، قال ﷻ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠). وقد سبق أن ذكرنا أهل الاتباع.

(١) مقدمة الجرح والتعديل (١/ ٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٣٠).

فالزمهم - أخي المسلم - وكن على معرفة بسبيلهم ومنهاجهم، فقد قال ابن شوذب: «من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا نسكا أن يوفقا لصاحب سنة يحملهما عليها؛ لأن الأعجمي يأخذ فيه ما سبق»<sup>(١)</sup>.

٥- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع.

فإن أعظم ما يلزم العبد الاستقامة أن يكون أمراً بها غيره.

٦- الدعاء.

ومن دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»<sup>(٢)</sup>.  
فاللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه.

٧- الإخلاص والتجرد في معرفة الحق، وقصد الاتباع.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣). ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وعن عبدالله بن مسعود قال: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيِّرَتْ قالوا: غُيِّرَتِ السنة: قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلَّتْ فقهاؤكم،

(١) الإبانة (٢/ ٤٧٦).

(٢) (رواه مسلم/ ٢٧٢١).



وكثرَت أمراؤكم، وقلَّت أَمَناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»، وفي رواية:  
«وَتُفَقِّهُ لغير الدين»<sup>(١)</sup>.

٨- المنهجية الصحيحة في أخذ العلم.

أ- اختيار الشيخ الذي يتلقى منه العلم.

ب- اختيار الكتب المناسبة التي يدرسها طالب العلم. ولتفصيل القول في  
هذا الباب موضع آخر إن شاء الله.

\*\*\*

(١) صحيح: رواه الدارمي (ح ١٨٦، ١٨٥)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٥٩).

## الخلاصة

حاولت في هذا البحث المختصر جداً أن أبين حقيقة الاتباع وثماره، وأن توحيد المرسل بالاتباع ركن في الدين، وهذا النوع من التوحيد غفل عنه الكثير من الناس، بل غفلوا عن أهميته، وقصّروا في الأخذ به تقصيراً عظيماً.

كما بينت ما تيسر من ثماره النافعة في الدنيا والآخرة، وأن جميع أعمالنا منوطة بالاتباع، وأنها لا تُقبل بدونه، كما أن الإعراض عنه ولو في يسير مؤذن بإحباط العمل، وقد يكون سبباً في زيف القلوب، والموت على الشرك والكفر.

كما أشرتُ إلى منزلة السنة ومكانتها، ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة، وكيف أن السلف - رحمهم الله - عظموا النبي ﷺ، وستته في حياته وبعد مماته، وسارعوا واستجابوا وتسابقوا في العمل بالسنة، والاتباع لها، وعظموها تعظيماً، وأنهم ثبتوا عليها حتى الموت، وأنهم كانوا يطلبون الحجة والدليل على كل ما يفعلون أو يذرون.

كما أوضحتُ أهم صفات أهل الاتباع الذين هم أهلهم حقاً وصدقاً؛ كي نلازمهم ونكون معهم، ونفيد منهم.



هذا وقد ذكرت العوائق التي صدَّت النَّاسَ عن الاتِّباع، مثل الرأي وذم أهله والتقليد، وذكرت الأدلة على تحريمه ونقلت بعض الأقوال في ذلك لاسيما أقوال أئمة الدعوة النجدية، وأوضحْتُ أن التقليد لا يجوز إلا عند الضرورة.

ومما ذكرتُ من الأمور التي تصد عن الاتِّباع الكلام وذمه، والفلسفة والمنطق، كما عرَّجْتُ على الكتب التي عاقت دون الاتِّباع مثل كتب الرأي، والكتب الفكرية والحركية والثقافية، وكذا كتب أهل السلوك والتصوف، والخطرات والوساوس ونحوها، وبينت بدعيتها وذم السلف لها. كما بينتُ - أيضاً - أموراً أخرى صدت الناس مثل: البدع والشبهات، والهوى والشهوات، وحب الدنيا، ومما يصد أيضاً شياطين الجن والإنس، والصحبة السيئة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، والجهل، والجدل وحب الظهور، والغلو والتعمق.

وكذا ذكرتُ أشهر القواعد التي وضعها بعضهم وهي تُخدش في توحيد الاتِّباع، وتصد عن السنة مثل قول بعضهم: «هذا الحديث العمل على خلافه»، ومنه: «تقديم القياس على النص»، ومنه: «تقديم عمل أهل المدينة على النص»، ومنه: «اتباع الجمهور والأكثر ولو كان على خلاف النص»، ومنه: «القول بعدم

شمولية النصوص لأبواب الشرع»، ومنه: «التلفيق وتتبع رخص العلماء». وأخيراً ذكرت الأسباب المعينة على الاتباع من الإخلاص والحرص على اتباع النبي ﷺ، ودراسة كتب السنة والحديث، ولزوم منهج وفهم السلف خير القرون، وملازمة أهل الاتباع. عسى الله أن يردنا جميعاً إلى الكتاب والسنة، وطريق السلف الصالح، وأن يؤلف بين قلوبنا، وأن يجمع شملنا، فنغز كما عز الأولون.

فعلى المسلمين أن ينهضوا بكل ما أتوا من قوة بحمل هذه الأمانة العظيمة، وهي السنة المباركة، فيقوموا بتحقيقها وتصفيتها مما دخلها، وحفظها والتفقه فيها، وأن يهبوا في نصرتها والعمل بها، والاتباع لها، والدفاع عنها، ونشرها وإذاعتها بين الناس بجميع الوسائل المسموعة والمرئية، والمكتوبة والمقروءة. فإن من تمام النصح للنبي ﷺ الإيمان به وتصديقه وطاعته، ومؤازرته ونصرته، وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته، والتخلق بأخلاقه، ومحبته، ومواليته، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وإبلاغ رسالته، والدعوة إليها ونشرها، والذب عنها، وإقامة شريعته.

«فسأل الله العظيم أن يجعلنا من المتبعين له ﷺ المؤمنين به، وأن يحينا على سنته ويتوفانا عليها، لا يفرق بيننا وبينها، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء،





وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين<sup>(١)</sup>..  
والله ولي التوفيق لا شريك له، ولا رب سواه.

\*\*\*

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ١٠٤).

## التوصيات المقترحة

- ١- الحث على الاتباع، ونشر وطبع البحوث المتعلقة بذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة.
- ٢- تكرار - وبصفة دورية - مثل هذه المؤتمرات التي يكون فيها تلاقي الأفكار -إن صح التعبير- وتبادل الخبرات، والتشاور في مثل هذه الأمور المهمة.
- ٣- العمل على تحقيق كتب السنة، وتنقيحها، وتصنيف الصحيح منها من الضعيف.
- ٤- نشر كتب السنة الصحيحة والأثر، والعمل على إحيائها، والحث والعمل على شيوعها وانتشارها.
- ٥- العمل الدؤوب على قراءة وتدريس ما صح من الحديث والأثر، بشكل جامع شامل، على جميع المستويات سواء الدراسات النظامية، أو في المساجد والجمعيات ونحوها من دور التعليم.
- ٦- إقامة دورات مكثفة في تدريس الكتب النافعة العظيمة، وإحياء منهج أهل الحديث في إتمام وختم الكتب الستة ونحوها مع شيء من الشرح للغريب



وبيان ما غمض منها، وربطها بواقع الناس وما يحتاجونه منها.

٧- إنشاء لجان تخصصية تمد الباحثين، ودور التخصص في العلوم المختلفة كالعقيدة والتفسير والفقه بالنصوص الصحيحة من السنة النبوية، والآثار السلفية.

٨- إيجاد صلات قوية بين أهل العلم والاتباع والتواصل مع ذوي الكفاءات من هذه الأمة من أهل الاتباع والسنة والاستفادة من تخصصاتهم، والحث على الانتفاع بهم وبقدراتهم، وتعريف الناس بهم؛ حتى يتم ويعظم النفع.

٩- تنقية كتب الفقه والتفسير من الآراء المخالفة للسنة الصحيحة، والأقوال الرجيحة، وتنقيتها من الضعيف من الحديث والإسرائيليات.

١٠- التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والبدع والترهيب منها ومن أهلها، والنهي عن كل ما يصد عن الاتباع.

١١- قام خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمهم الله بعمل جليل وهو إنشاء: «مجمع الملك فهد للمصحف الشريف»، ووددت لو قامت المملكة السعودية -وفقها الله- بنحو من هذا العمل خدمة للسنة المطهرة، ومن أولى بذلك منها؟ فإنها حامية حمى التوحيد والسنة، كما أفضّل أن يقام هذا «المجمع» الذي هو لخدمة السنة النبوية في مدينة رسول الله على صاحبها أفضل

الصلاة والتسليم، ولعل هذه الجمعية (جمعية السنة) تكون نواة لذاك المشروع العظيم، فيوكل إليها الإعداد له، والله ولي التوفيق.

وأخيراً أشكر كل من ساهم وحث وعمل على إعداد مثل هذا المؤتمر المبارك، فما أحوج الأمة إلى مثله، بل والمئات من مثله، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وجعل ذلك وغيره في موازينكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه. هذا، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

\*\*\*



# الضوابط الشرعية

## في الدفاع عن النبي ﷺ

إعداد

الشيخ / أحمد ولد لمرباط الشيخ محمد الشنقيطي

مفتي عام موريتانيا وإمام وخطيب الجامع الكبير بنواكشوط





## المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الله تعالى بعث نبيه محمداً - صلى عليه وسلم - رحمة العالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادعُ على المشركين قال: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»<sup>(٣)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(١) سورة: الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة: التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) أخرجه: مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها:

ص ١٢٠٤، ٢٥٩٩.

«إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»<sup>(١)</sup>، وقد تجلت مظاهر الرحمة في حياة رسول الله ﷺ في جميع مجالات الحياة، فهو ﷺ نبي الرحمة فلم يصدر عنه قول أو فعل إلا كانت الرحمة أبرز سماته، هذا ورغم مزاحمة الأشغال الشاغلة استجبت للمشاركة في المؤتمر الدولي (نبي الرحمة محمد ﷺ) - الذي تعتزم الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها إقامته - ببحث حول: (الضوابط الشرعية في الدفاع عن النبي ﷺ).

ولم يمنعني كون الأشغال لا تسمح لي بكتابة بحث في الموضوع مستواه العلمي كما يتوقع، بل عملت بمقتضى قاعدة (ما لا يدرك كله لا يترك كله). وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وفيما يلي تفصيل ذلك:

- المقدمة: وتشتمل على خطة البحث.
- التمهيد: في أهمية الأخذ بالضوابط الشرعية عند التعامل مع الإساءات، والفتن.

---

(١) أخرجه: الدارمي في سننه: ١/ ٢١، ح ١٥، والطبراني في المعجم الأوسط: ٣/ ٢٢٣، ح ٢٩٨١، والبيهقي في شعب الإيمان: ٢/ ١٦٤، ح ١٤٤٦، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرطهما»، ينظر: المستدرک: ١/ ٩١، ح ١٠٠، وقال الألباني: حديث صحيح، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ ٨٨٢، ح ٤٩٠.





• الفصل الأول: الأمور المطلوبة في الدفاع عن النبي ﷺ، وفيه خمسة

مباحث:

- المبحث الأول: الرفق، والتأني، والحلم، والصبر.
- المبحث الثاني: العدل، والإنصاف.
- المبحث الثالث: اعتماد مبدأ الرجوع إلى العلماء وأصحاب الرأي والحكمة.
- المبحث الرابع: العمل بمبدأ التعاون والتكامل، والبعد عن التفرد والتعارض.
- المبحث الخامس: إحياء المعاني والمفاهيم الإيمانية كوجوب محبة النبي ﷺ.

• الفصل الثاني: الأمور الممنوعة في الدفاع عن النبي ﷺ، وفيه ثلاثة

مباحث:

- المبحث الأول: السب والشتم واستخدام الألفاظ البذيئة.
- المبحث الثاني: أعمال العنف كالحرق والتخريب.
- المبحث الثالث: إشاعة وترويج المعلومات الكاذبة، والتي يجهل مصدرها.

## التمهيد

### في أهمية الأخذ بالضوابط الشرعية عند التعامل مع الإساءات، والفتن

إنه من المعلوم أن ما تقوم به الأمة الآن من الدفاع عن النبي ﷺ والانتصار له والتعريف به سببه ذلك الفعل الشنيع والجرم الفظيع الذي قامت به الجرائد الغربية من إساءة للنبي الكريم ﷺ تمثل في نشر رسوم كاريكاتيرية، تسخر من شخص رسول الله ﷺ وقد تولى كبر هذه الجريمة جريدة (جيلاندز بوستن / Jyllands-Posten) الدنمركية اليومية حين نشرت بتاريخ ٢٦ شعبان ١٤٢٦ هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م، (١٢) رسماً (كاريكاتيرياً) ساخراً، تصور رسول الله ﷺ في أشكال مختلفة، وقد تفاوتت ردود الأفعال المدافعة عن النبي ﷺ في العالم الإسلامي في حينها، ما بين ردود فعل غاضبة انتهى بعضها بحرق بعض سفارات الدول التي نشرت هذه الرسوم، أو أعادت نشرها، وردود فعل غاضبة لكنها تدع المسلمين لعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، وترى أن هذه الرسوم المسيئة محنة في طياتها منحة، حيث ذكرت المسلمين بواجبهم تجاه نبيهم ﷺ، وقد تجلّى ذلك بظهور عدد من المشاريع الإيمانية التي تدعو إلى الاقتداء بالنبي ﷺ، وتربية الأبناء على هديه، وتعريف غير المسلمين برسول



الله ﷻ وبشريته الحنيفية السمحة.

ومن المعلوم عند كل مسلم أن الدفاع عن النبي ﷺ أمر واجب على المسلمين، لكن هذا الدفاع لا بد فيه من ضوابط شرعية تجعل المسلم يسير على طريق مضمن النتائج ومأمون العواقب، إن الأخذ بالضوابط الشرعية له أهمية عظيمة لأنه يعصم المسلم من أن يقع تصرفه فيما لا يقره الشرع، لأن الشخص إذا سار وراء رأيه فيما يجدُّ من الأمور والفتن ونظر فيها بنفسه، دون رعاية للضوابط الشرعية فإنه لا يأمن أن يقع في الخطأ، فالضوابط الشرعية تضبط عقل المسلم في تصوُّراته، التي ينشأ عنها تصرفه في نفسه أو في أسرته أو في مجتمعه، لهذا سنذكر جملة من الضوابط الشرعية التي يجب أن يأخذ بها المسلم في دفاعه عن النبي ﷺ عند ظهور الإساءات، ووجد الأزمات والفتن.

\*\*\*





## الفصل الأول

### الأمور المطلوبة في الدفاع عن النبي ﷺ

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: الرفق، والتأني، والحلم، والصبر.
- المبحث الثاني: العدل، والإنصاف.
- المبحث الثالث: اعتماد مبدأ الرجوع إلى العلماء وأصحاب الرأي والحكمة.
- المبحث الرابع: العمل بمبدأ التعاوني والتكامل، والبعد عن التفرد والتعارض.
- المبحث الخامس: إحياء المعاني والمفاهيم الإيمانية كوجوب محبة النبي ﷺ.



## المبحث الأول

### الرفق، والتأني، والحلم، والصبر

إن المسلم وهو يدافع عن النبي ﷺ يجب عليه أن يكون متأسيًا بالنبي ﷺ و متمسكاً بهديه، وإن من هدي رسول الله ﷺ الرفق في الأمر كله، خصوصاً في التعامل مع أعدائه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فقالت عائشة - بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»، قالت: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ: «قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

الرفق بكسر الراء وسكون الفاء وبالقاف هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري: كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله: ص ١١٦٦، ح ٦٠٢٤، ومسلم: كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم: ص ١٠٣٥، ح ٢١٦٥.

(٢) ينظر: فتح الباري: ١٠/ ٥٢٣.

قال ابن بطال رحمه الله: في هذا الحديث أدب عظيم، وحض على الرفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه، لأن الرسول ﷺ ترك مقابلة اليهود بمثل قولهم، ونهى عائشة عن الإغلاظ في ردها، وقال: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في جميع الأمور، لعموم قوله: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، وإن كان الانتصار بمثل ما قبل به المرء جائز لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾<sup>(١)</sup>، فالصبر أعظم أجراً وأعلى درجة لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٢)</sup>، والصبر أخلاق النبيين والصالحين، فيجب امتثال طريقتهم والتأسي بهم<sup>(٣)</sup>.

وقال النووي رحمه الله هذا الحديث دليل على عظيم خلقه ﷺ وكمال حلمه، وفيه حث على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة<sup>(٤)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ

(١) سورة: الشورى، الآية: ٤١.

(٢) سورة: الشورى، الآية: ٤٣.

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٢٦/٩.

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٤٥/١٤.





وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَأْنَهُ<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث فيه دليل على فضل الرفق والحث على التخلق به، لأن الرفق سبب كل خير، وقوله: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»، فشيء نكرة أتت في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، أي أن الرفق لا يكون في أي شيء إلا زانه، ولا ينزع من أي شيء إلا شانه<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمور المهمة كذلك التي ينبغي على المسلم أن يتحلّى بها ويضبط بها نفسه أثناء دفاعه عن النبي ﷺ «التأني»، فالتأني خلق كريم يحبه الله، وقد أثنى به النبي ﷺ على أشج عبد القيس، فقال: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

والأناء هي الثبوت والوقار وترك العجلة<sup>(٤)</sup>.

ومن الأمور المهمة كذلك «الحلم»، فإنه خلق عظيم، وله أثر كبير في نفس الأعداء، وقد كان رسول الله ﷺ يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه

(١) أخرجه: مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق: ١٢٠٣، ح ٢٥٩٤.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٦ / ١٤٥.

(٣) أخرجه: مسلم: كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه: ص ٢٩، ح ١٨.

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١ / ١٨٩، وعون المعبود: ١٤ / ٩٢.

إلا حلماً.

فمن عبد الله بن سلام ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدي زيد بن سعة، قال زيد بن سعة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا شيئين لم أخبرهما منه هل يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت ألتطف به لأن أخالطه فأعرف حلمه من جهله، قال زيد بن سعة: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات ومعه علي ابن أبي طالب ﷺ فأتاه رجل على راحلته كالبديوي فقال: يا رسول الله إن قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهاهم الرزق رغداً، وقد أصابتهم سنة وشدة وقحط من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طعماً كما دخلوا فيه طعماً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت، فنظر إلي رجل بجانبه أراه علياً ﷺ فقال: يا رسول ما بقي منه شيء، قال زيد بن سعة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد هل لك أن تبعني تماً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا فقال: «لا يا يهودي ولكن أبيعك تماً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا أسمى حائط بني فلان»، فقلت: نعم فبايعني فأطلقت هيماني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا فأعطاهما الرجل فقال: «اعجل عليهم واعنهم بها» فقال زيد بن سعة: فلما كان



قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي فو الله ما علمتكم بني عبدالمطلب بمطل ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع و تصنع به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون و تودة، ثم تبسم وقال: «يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء وتأميره بحسن التَّبَاعَةِ، اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر» فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك قلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قلت: زيد بن سحنة قال: الحَبْر؟ قلت: الحبر قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت له ما قلت، فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أختبرهما منه، يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرهم مالاً - صدقة على أمة محمد ﷺ، فقال عمر ﷺ: أو على بعضهم فإنك

لا تسعهم قلت: أو على بعضهم، فرجع زيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله<sup>(١)</sup>.

فهذه الحادثة تبين لنا كيف كان رسول الله ﷺ يتعامل مع إساءة العداء، فهذا يهودي يخطط ويدبر لكي يستثير غضب رسول الله ﷺ، فيقوم بعدة أمور الواحد منها يكفي لإثارة غضب أي إنسان.

فقد ذهب لطلب الدين قبل الموعد المحدد له، ثم أخذ بمجامع قميص النبي ﷺ وجذبه، وبوجه غلظ ينظر إليه، ثم يسببه ﷺ فيقول: فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ومع هذا كله فقد تلقى رسول الله ﷺ هذه الإساءات والاعتداءات بِتَفَهْمٍ والتماس عذرٍ وابتسامة كريمة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه: ابن حبان في صحيحه: ١/ ٥٢١، ح ٢٨٨، والطبراني في المعجم الكبير: ٥/ ٢٢٢، ح ٥١٥٤، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦/ ٥٢، ح ١١٠٦٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ينظر: المستدرک: ٣/ ٧٠٠، ح ٦٥٤٧، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، ينظر: مجمع الزوائد: ٨/ ٤٣٣، ح ١٣٩٨٩٨، وقال الألباني: حسن، ينظر: إرواء الغليل: ٥/ ٢٢٠.

(٢) سورة: الأحزاب، الآية: ٢١.



ومن الأمور المهمة كذلك «الصبر»، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصبر على إساءة ومكر الأعداء، فقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن رسول الله ﷺ مأمور بالصبر، على ما يصبه من أذى، وأنه لا يمثل ذلك الأمر بالصبر إلا بإعانة الله وتوفيقه، وأنه مأمور بعدم الحزن على المشركين، ومأمور بعدم ضيق صدره بما يقولون من الجهل<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، يأمر الله نبيه ﷺ في هذه الآية بالصبر الجميل على أذى قومه، والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله، وقيل: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الله ﷻ أن خصلة الصبر خصلة عظيمة لا يلقاها إلا من كان له عند الله الحظ الأكبر والنصيب الأوفر، بفضل الله عليه، وتيسر ذلك له، فقال

(١) سورة: النحل، الآية: ١٢٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/١٤، وأضواء البيان: ٤٦٤/٣.

(٣) سورة: المعارج، الآية: ٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٥٥، والجامع لأحكام القرآن: ٢١/٢٢٧.

تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ<sup>(١)</sup>.

فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، لأن الإنسان إذا فعل ذلك عصمه الله من الشيطان<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) سورة: فصلت، الآية: ٣٤ و٣٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ٤٢٢.



## المبحث الثاني

### العدل، والإنصاف

إن الدين الإسلامي دين يحث على العدل والإنصاف، وقد أمر الله ﷻ بالعدل مع جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد منع الإسلام الظلم بين الناس ولم يقبله حتى من أتباعه على أعدائه، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أي لا يحملنكم عداوة قوم وبغضهم الاعتداء عليهم، وترك العدل والإنصاف وإيثار العدوان على الحق، فهذه غاية مكارم الأخلاق، بأن تُعامل من

(١) سورة: النحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة: النساء، من الآية: ٥٨.

(٣) سورة: المائدة، الآية: ٨.

عَصَى الله فِيكَ بِأَنْ تُطِيعَهُ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله: معنى هذه الآية الكريمة: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ﷺ، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيامُ لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددتُ لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصّروا فيما حددتُ لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدّي، واعملوا فيه بأمري<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٢/٧، وأضواء البيان: ٥٣٦/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/٨.





### المبحث الثالث

#### اعتماد مبدأ الرجوع إلى العلماء وأصحاب الرأي والحكمة

يحتاج المسلم عند ظهور الفتن والمستجدات إلى الرجوع إلى العلماء الراسخين وأصحاب الرأي والحكمة، لأنهم يعرفون من الأمور والمصالح ما لا يعرفه غيرهم، وقد وبخ الله تعالى المتسرعين المستبدين الذين يطلقون العنان لأنفس، ويتحدثون في الأمور التي تتعلق بالأمن أو الخوف، وأوجب عليهم الرجوع إلى العلماء الراسخين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

يعني أن الواجب عليهم إذا سمعوا شيئاً من الأمور فيه أمن أو خوف أن يستثبتوا الخبر من الرسول الله ﷺ ومن أهل الرأي، وأنهم لو ردّوا ما جاءهم من عدوّهم إلى رسول الله ﷺ وإلى أهل العلم والفقهاء لعلم حقيقة معناه أهل الاستنباط منهم<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة: النساء، من الآية: ٨٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢٥٢، والجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٤٧٨، والتحرير والتنوير:

وقال تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

فالله ﷻ يأمر في هذه الآية بسؤال أهل العلم ورجوع إليه، فهذه الآية

الكريمة دليل على أن غير العالم يجب عليه سؤال أهل العلم<sup>(٢)</sup>.

وهذا من أهم الضوابط الشرعية التي يجب على المسلم أن يضبط بها نفسه

أثناء دفاعه عن النبي ﷺ.

\*\*\*

(١) سورة: النحل، من الآية: ٤٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٢٨، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/٣٢٩، وتفسير ابن كثير:

٥/٣٣٤، وأضواء البيان: ٣/٧٧٣.



## المبحث الرابع

### العمل بمبدأ التعاوني والتكامل، والبعد عن التفرد والتعارض

إن الواجب على المسلمين وهم يدافعون عن النبي ﷺ أن يكون صفاً واحداً، وأن تتوحد جهودهم، وأن يمثلوا قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

يعني: ليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضاً على البر وهو العمل بما أمر الله بالعمل به، والتقوى وهو اتقاء ما أمر الله باتقائه، واجتناب ما نهى عنه من معاصيه<sup>(٢)</sup>.

والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فالواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، والواجب على الغني أن يعينهم بماله، وهكذا كل حسب طاقته واختصاصه، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة: المائدة، من الآية: ٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٢ / ٨، وأحكام القرآن للجصاص: ٢٩٦ / ٣، والجامع لأحكام القرآن: ٢٦٨ / ٧.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٩ / ٧.

وفي الحديث الصحيح «المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَفْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدَّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

كما انه يجب عليهم عدم التفرق، والتنازع، لأنه من أعظم أسباب الفشل وذهاب القوة، وقد حذر الله منه، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد نهى الله جل وعلا المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن الاختلاف والتنازع، وأخبر أن ذلك يؤدي إلى الفشل وإلى ذهاب القوة<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه: أبو داود: كتاب الجهاد، باب: السرية تردُّ على أهل العسكر: ص ٤٨٦، ح ٢٧٥١، والنسائي: كتاب القسامة، باب: القود بين الأحرار والمالك في النفس: ص ٧٢٣، ح ٤٧٣٤، وابن ماجه: كتاب الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم: ص ٤٥٦، ح ٢٦٨٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ينظر: المستدرک: ١٥٣/٢، ح ٢٦٢٣، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، ينظر: صحيح سنن أبي داود: ١٧٠/٢، ٢٧٥١.

(٢) سورة: الأنفال، الآية: ٤٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٤/١١، وأحكام القرآن لابن العربي: ١٤٩/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٤٠/١٠، وأحكام القرآن للجصاص: ٢٥١/٤، وأضواء البيان: ٤٨٧/٢.

وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل، لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين المسلمين، ويحدث فيهم أن يتربّص بعضهم ببعض الدوائر<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

فقوله تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعاً هو أمر بالاجتماع، ونهي عن الفرقة، ثم أكد به بقوله ولا تفرقوا<sup>(٣)</sup>.

فالتعاون والتعاقد وعدم الفرقة والتعارض من أعظم الضوابط الشرعية التي يجب على المسلمين الالتزام بها وهم يواجهون عدوهم، ويدافعون عن نبيهم ﷺ.

\*\*\*

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١ / ١٠.

(٢) سورة: آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣١٤ / ٢.

## المبحث الخامس

### إحياء المعاني والمفاهيم الإيمانية كوجوب محبة النبي ﷺ

إن تربية الأجيال على محبة رسول الله ﷺ والإقتداء به من الأمور الأساسية التي يجب على الأمة أن توليها اهتماماً خاصاً، فمحبة النبي ﷺ ليست كسائر المحبة لأي شخص، وإنما هي عبادة عظيمة تتعبد بها الله ﷻ، وقربة تتقرب بها إلى الله، وأصل عظيم من أصول الدين ودعامة أساسية من دعائم الإيمان.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر ابن الخطاب، فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحبُّ إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان: ص ٢٦، ح ١٥، ومسلم: كتاب الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة: ص ٤٠، ح ٤٤.



نفسك»، فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ «الآن يا عمر»<sup>(١)</sup>.

والاقتداء برسول الله ﷺ من أكبر العلامات على حبه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، وطاعة الرسول ﷺ هي المثال الحي والصادق لمحبه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالمؤمن الذي يحب النبي ﷺ هو الذي يقلده في كل شيء في العبادات، وفي الأخلاق، وفي السلوك، وفي المعاملات، وفي الآداب، كما كان شأن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فعن نافع قال لو نظرت إلى ابن عمر في إتباعه لرسول الله ﷺ لقلت هذا مجنون<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ: ص ١٢٦٧، ح ٦٦٣٢.

(٢) سورة: الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة: آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) ينظر: حلية الأولياء: ١/ ٣١٠، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٣، وفتح الباري لابن رجب: ٥٩٢/٢.

فهذه المعاني الإيمانية يجب أن تكون في مقدمة وسائل الدفاع عن رسول  
الله ﷺ لأنها علامة من علامات النصر والمحبة والإجلال.

\*\*\*





## الفصل الثاني

### الأمر الممنوعة في الدفاع عن النبي ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: السب والشتم واستخدام الألفاظ البذيئة.
- المبحث الثاني: أعمال العنف كالحرق والتخريب.
- المبحث الثالث: إشاعة وترويج المعلومات الكاذبة، والتي يجهل مصدرها.





## المبحث الأول

### السب والشتم واستخدام الألفاظ البذيئة

إن السب والشتم والألفاظ البذيئة ليست من أخلاق المؤمنين، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»<sup>(١)</sup>.

وكان من خلق رسول الله ﷺ عدم السب أو الشتم، فعن أنس مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سبباً، كان يقول عند المعتبة ما له تَرَبَّ جَبِيئَةً»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري: في الأدب المفرد: ١/١١٦، ح ٣١٢، والترمذي في سننه: كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في اللعنة: ص ٤٤٩، ح ١٩٧٧، والإمام أحمد في مسنده: ٦/٣٨٣٩، ح ٣٩٠، وابن حبان في صحيحه: ١/٤٢١، ح ١٩٢، والطبراني في المعجم الكبير: ١٢/٢٦٥، ح ١٣٠٦٣، والبيهقي في السنن الصغرى: ٩/٢١١، ح ٤٣٥٢، وعبد الرزاق في مصنفه: ٦/١٦٢، ح ٣٠٣٣٨، وابن أبي شيبة في مصنفه: ١١/١٨، ح ٣٠٩٧٤، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ينظر: المستدرک: ١/٥٧، ح ٢٩، وقال الألباني: حديث صحيح، ينظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/٣٧٠، ح ١٩٧٧.

(٢) أخرجه: البخاري: كتاب الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن: ص ١١٦٩، =

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وقال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَخِيرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقاً»<sup>(١)</sup>.

فعلينا أن نلتزم بالحق والعدل، وحسن الخلق، وأن لا يحملنا ظلم أولئك واعتداؤهم على نبينا ﷺ أن نظلمهم أو أن نعتدي عليهم.

ثم إن السب والشتم والألفاظ البذيئة قد تأتي بنتائج عكسية، لهذا نهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

نهى الله تعالى فهذه الآية المؤمنين: أن يسبوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فيسب المشركون الله جهلاً منهم بربهم، واعتداءً بغير علم، لأنه علم أنهم إذا سبوا نكروا الكفار وازدادوا كفراً<sup>(٣)</sup>.

=ح٦٠٤٦.

(١) أخرجه: البخاري: كتاب الأدب، باب: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً: ١١٦٧،

ح٦٠٢٩، ومسلم: كتاب الفضائل، باب: كثرة حياته ﷺ: ١٠٩٦، ح٢٣٢١.

(٢) سورة: الأنعام، من الآية: ١٠٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٩/ ٤٨٠، وأحكام القرآن للجصاص: ٤/ ١٧٠، وأحكام القرآن=



قال القرطبي رحمه الله: هذه الآية حكمها باقي في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي عليه الصلاة والسلام، أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم، ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرّض إلى ما يؤدّي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية، وفي هذه الآية أيضاً ضرب من المواعدة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع، وفيها دليل على أن المحقّ قد يكف عن حق له إذا أدّى إلى ضرر يكون في الدين<sup>(١)</sup>.

قال الجصاص رحمه الله: هذه الآية الكريمة دليل على أن المحق عليه أن يكف عن سب السفهاء الذين يتسرعون إلى سبه على وجه المقابلة له لأنه بمنزلة البعث على المعصية<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

= لابن العربي: ٣/ ٤٤٠، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٤٩١، والتحرير والتنوير: ٧/ ٤٢٨.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٤٩١.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ١٧٠.

## المبحث الثاني أعمال العنف كالحرق والتخريب

إن أول مسؤول عن تشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر الآخرين هم المسلمون أنفسهم، عندما يتناقض كلامهم مع أفعالهم، ويحملون اسم الإسلام ولكنهم في تصرفاتهم وأخلاقهم على نقيض ذلك، فعلى المسلم إن يكون حكيماً، وأن يعمل على نصرته رسول الله ﷺ بتطبيق شرعه بامثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ<sup>(١)</sup>.

يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يحب الفساد، أي لا يحب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله: والآية بعمومها تعم كل فساد كان في أرض أو مال أو دين، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة: البقرة، الآية: ٢٠٤ و ٢٠٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٨٧، وتفسير ابن كثير: ١/ ٥٦٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٨٧.



إن أمة كرمها الله تعالى بالقرآن، وأرسل إليها رسول الهدى والحكمة، يجب عليها أن تنضبط بأحكام الشرع لا بمشاعر النفس وعواطفها، إن أعمال العنف كحرق السفارات وهدم المعابد وتخريب المحلات عمل مرفوض شرعاً، لأن المسلم لا يردُّ على الإساءة بالإساءة، وإنما يعالج الأمور بالحكمة، وينظر إلى المقاصد والمآلات بعيداً عن العواطف والانفعالات.

\*\*\*

### المبحث الثالث

#### إشاعة وترويج المعلومات الكاذبة، والتي يجهل مصدرها

إن إشاعة وترويج المعلومات الكاذبة والتي يجهل مصدرها أمر يتنافى مع الأخلاق الإسلامية، وقد حكم القرآن على من يأتي بالأخبار الكاذبة بالفسق، وأمر المؤمنين بالتبين والتثبت في خبر من يقوم بذلك فقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون - في نفس الأمر - كاذباً أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى أثره، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين<sup>(٢)</sup>.

قال الجصاص رحمته الله: مقتضى هذه الآية إيجاب التثبت في خبر الفاسق

(١) سورة: الحجرات، الآية: ٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١، وأحكام القرآن للجصاص: ٢٧٨/٥، وأحكام القرآن لابن العربي: ١٦٤/٧، والجامع لأحكام القرآن: ٣٦٨/١٩، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥٥٢/١٣.





والنهي عن الإقدام على قبوله والعمل به إلا بعد التبين، والعلم بصحة مخبره، وذلك لأن قراءة هذه الآية على وجهين فتبينوا فثبتوا كلتاهما يقتضي النهي عن قبول خبر الفاسق إلا بعد العلم بصحته لأن قوله فثبتوا فيه أمر بالتثبت فافقتضى ذلك النهي عن الإقدام إلا بعد العلم لئلا يصيب قوماً بجهالة، وأما قوله فتبينوا فإن التبين هو العلم فافقتضى أن لا يقدم بخبره إلا بعد العلم<sup>(١)(٢)</sup>.

عن حفص بن عاصم قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِالْمُرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»<sup>(٣)</sup>.

قال النووي رحمه الله: في هذا الحديث الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب، لإخباره بما لم يكن<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٧٨/٥.

(٢) هذه الآية قرأها نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وعاصم (فتبينوا) بالياء والنون، وقرأها حمزة والكسائي (فثبتوا) بالثاء والتاء، ينظر: التيسير في القراءات السبع: للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني: ص ١٣٠، وكتاب السبعة في القراءات: لأبي بكر أحمد بن مجاهد: ٢٣٦.

(٣) أخرجه: مسلم في مقدمة صحيحه، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع: ص ٥، ح ٥.

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ٧٥/١.

فعلى المسلم أن يتحرى الصدق، وأن يتجنب الإشاعة وترويج المعلومات الكاذبة والتي يجهل مصدرها لما لها من الضرر وإثارة البلبلة والفتن والخلاف بين المسلمين.

هذه هي أهم الضوابط الشرعية التي ينبغي للمسلم أن يضبط بها نفسه أثناء دفاعه عن رسول الله ﷺ.

\*\*\*



## قائمة المراجع

- (١) أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، الحنفي، المتوفى سنة: ٣٧٠هـ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- (٢) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله الشهير بابن العربي المالكي، المتوفى سنة: ٥٤٣هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة لبنان.
- (٣) الأدب المفرد: للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة: ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٤) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لمحمد ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة: ١٤٢٠هـ، بإشراف محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، المتوفى سنة: ١٣٩٣هـ. إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى - على نفقة مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية -، ١٤٢٦هـ.
- (٦) التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر ابن عاشور، المتوفى سنة: ١٣٩٣هـ، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

- (٧) تفسير ابن كثير المسمى «تفسير القرآن العظيم»: للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الشافعي، المتوفى سنة: ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٨) تفسير الطبري المسمى: «جامع البيان عن تأويل أي القرآن»، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة: ٣١٠هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٩) التيسير في القراءات السبع: للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، الشهير بالداني، المتوفى سنة: ٤٤٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (١٠) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المالكي، المتوفى سنة: ٦٧١هـ، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- (١١) حلية الأولياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني، المتوفى سنة: ٤٣٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.



- (١٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة: ٩١١هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (١٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: لمحمد ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة: ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- (١٤) سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجه، المتوفى سنة: ٢٧٣هـ، طبعة مميزة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، الطبعة الأولى.
- (١٥) سنن أبي داود: للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة: ٢٧٥هـ، طبعة مميزة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، الطبعة الأولى.
- (١٦) سنن الترمذي «جامع الترمذي»: للحافظ أبي عبد الله محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى سنة: ٢٧٩هـ، طبعة مميزة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، الطبعة الأولى.

- (١٧) سنن الدارمي: للحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن التميمي، الدرامي، السمرقندي، المتوفى سنة: ٢٥٥هـ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- (١٨) السنن الصغرى: للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ، تحقيق: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- (١٩) السنن الكبرى: للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- (٢٠) سنن النسائي الصغرى «المجتبى»: للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة: ٣٠٣هـ، طبعة مميزة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، الطبعة الأولى.
- (٢١) سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المتوفى سنة: ٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- (٢٢) شرح النووي على صحيح مسلم: لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المتوفى سنة: ٦٧٦هـ، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.



- (٢٣) شرح صحيح البخاري: لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، المالكي، المتوفى سنة: ٤٤٩هـ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- (٢٤) شعب الإيمان: للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- (٢٥) صحيح ابن حبان: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، المتوفى سنة: ٣٥٤هـ، رتبته الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، المتوفى سنة: ٧٣٩هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (٢٦) صحيح البخاري: للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة: ٢٥٦هـ، عني به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، طبعة خاصة على نفقة الدكتور محمد بن صالح الراجحي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٢٧) صحيح سنن أبي داود: لمحمد ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة: ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٢٨) صحيح سنن الترمذي: لمحمد ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة: ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- (٢٩) صحيح مسلم: للحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة: ٢٦١هـ، عني به: فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، طبعة خاصة على نفقة الدكتور محمد بن صالح الراجحي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٣٠) عون المعبود شرح سنن أبي داود: لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المتوفى سنة: ١٣٢٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- (٣١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة: ٨٥٢هـ، عني به: أبو عبد الله محمود الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٣٢) فتح الباري: للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة: ٧٩٥هـ، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
- (٣٣) كتاب السبعة في القراءات: لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، الشهير بابن مجاهد، المتوفى سنة: ٣٢٤هـ، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- (٣٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة: ٨٠٧هـ، دار الريان للتراث، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- (٣٥) المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة: ٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠.





- (٣٦) المسند: الإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المتوفى سنة: ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وجماعة من الباحثين، طبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- (٣٧) المصنف في الأحاديث والآثار: للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المتوفى سنة: ٢٣٥هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- (٣٨) المصنف: للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى سنة: ٢١١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٣٩) المعجم الأوسط: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة: ٣٦٠هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- (٤٠) المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة: ٣٦٠هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

\*\*\*

ايض



# الضوابط الشرعية في الدفاع عن النبي ﷺ

إعداد

أبي عبد الله فتحي بن عبد الله الموصلي

ابيض



## المقدمة

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾  
{آل عمران: ١٠٢}.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ {النساء: ١}.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ {الأحزاب: ٧٠-٧١}.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور

محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ألا إن المطلوب من العباد في كل وقت هو بناء الدعوة على أصول جامعة وكليات عامة، وتأسيس الأعمال على الإخلاص والاتباع، والنهوض بأعباء الدين ببصيرة وعلو همة، وهذا المطلوب هو عنوان الكرامة والظفر ورمز العزة والفخر؛ لاسيما إذا تعلّق الأمر بنصرة الرسول ﷺ وتوقيره؛ إذ النُصرة حقيقة جامعة لكل الوسائل والأسباب والأحوال المتاحة التي بها يتحقق الانتصار للنبي ﷺ والدفاع عنه، وذلك بطاعة أمره، والسعي إلى نصرته وتعزيزه، والجهاد عن دينه والذب عنه، وبيان ما أُرسل به من الحق. وهي - عند الحقيقة - علامة الحب الواجب ودليلُ الوفاء الصادق.

والمقصود المطلوب منها لا يتحقق إلا بالتعزيز والتوقير معاً؛ إذ التعزيز اسم جامع للنصرة، والتوقير اسم جامع للتعظيم؛ كما قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ {الفتح: ٩}؛ والآية قد اشتملت - كما نصّ على ذلك أهل التفسير - على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى، وبقي الحق الثالث المختص بالرسول، وهو التعزيز والتوقير...

والنُصرة الشرعية الممدوحة لا تتحقق - على أرض الواقع - إلا بوجود



الضوابط الشرعية، والوقوف على المقاصد الدينية، واستخراج الأحكام من الأدلة الصحيحة، واستظهار النتائج من المقدمات العلمية، والاتصاف بالتوسط الشرعي في الأقوال والأعمال، وأن يكون التعامل مع الأحداث خارجاً مخرج الصدق والديانة والأمانة، وأن تعطى الشريعة حقها من الرعاية والصيانة... وهذا - في الواقع العملي والسلوك المنهجي - لا يكون إلا بإبراز مناهج العلماء في التأصيل، وإظهار طريقة أهل الحديث في التحقيق، ولزوم منهج الكبار في الاستقصاء والتحرير، وتغليب النفس العلمي في البيان والتقرير، وتعميم لغة الربانيين في الخطاب والتوجيه.

من هنا صار الكلام في ضوابط الدفاع عن نبي الرحمة ﷺ في وقتٍ تقهقرت فيه الثوابت وتكاثرت فيه المحن والنوازل وتؤسست عنده الأصول والقواعد - متعيناً شرعاً ومطلوباً من باب أولى قبل الشروع بالنصرة؛ لهذا جاءت هذه الدراسة - التي تكتب بقلم الشفقة على نفسي وغيري مما نسمع ونرى - تلبيةً لتلك المطالب ومشاركةً في إظهار تلك المقاصد مع اعتراف كاتبها بالنقص والتقصير.

وقد جعلت هذا الدراسة في مبحثين:

في المبحث الأول: تناولت جانب التأصيل الشرعي للدفاع عن النبي ﷺ؛

لأن معرفة ضوابط الأشياء وشروطها وقيودها تتوقف دائماً على معرفة تأصيلها الشرعي وتصورها العلمي.

أما في المبحث الثاني: فكان الكلام في الضوابط الشرعية للدفاع عن النبي ﷺ على سبيل التفصيل.

والله - ربّ العرش الكريم - أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يعين إخواننا على إبداء النصح والبيان، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً.

الكاتب

أبو عبد الله فتحي بن عبد الله الموصلّي

المحرّق - مملكة البحرين

\*\*\*





## المبحث الأول

### التأصيل الشرعي والتكليف الفقهي للنصرة

في هذا المبحث نشير إلى الجوانب التأصيلية للدفاع عن النبي ﷺ،  
وأهمها:

**أولاً: الدفاع عن النبي ﷺ داخل في حفظ ضرورات الدين.**  
الدفاع عن النبي ﷺ والانتصار له بكل وسيلة شرعية من ضرورات الدين وقواعد الملة وكماليات الشرع؛ فلا يُحفظ الدين بمجرد الإيمان بهذا الرسول واتباعه اتباعاً مجرداً عن تعزيره ونصرته وتوقيره والذب عنه وعن سنته ﷺ؛ لهذا جاء ذكر النصرة في القرآن في سياق بيان ضرورات الدين وكمالياته؛ كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمَجْلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ {الأعراف: ١٥٧}،

وقد أخذ الله من النبيين الميثاق بالدفاع عن هذا الرسول الكريم ﷺ؛ فقال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ {آل عمران: ٨١}.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام، إلى عيسى عليه السلام، لمهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته»<sup>(١)</sup>.

لهذا كان عدم توقير النبي ﷺ وترك احترامه وعدم مراعاة حقوقه قدحاً في الدين وتضييعاً للمصالح الكلية؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أما انتهاك عرض رسول الله فانه منافٍ لدين الله بالكلية؛ فان العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم فسقط ما جاء به من رساله فبطل الدين؛ فقيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن نتصر له ممن انتهك عرضه»<sup>(٢)</sup>.

ولأجل مراعاة ضرورات الدين اعتبر الشرع الحنيف أي نوع من أنواع انتقاص النبي ﷺ نازلة جسيمة يجب إلحاقها بأشد المحرمات وأعلى الجنايات

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٧).

(٢) الصارم المسلول (٢/ ٣٩٧).



لما اشتملت عليه من المفاصد العظيمة والأضرار الكبيرة على الإسلام وأهله؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - أيضا-: «لو نزلت بنا نازلة السب وليس معنا فيها أثر يتبع ثم استراب مستريب في أن الواجب إلحاقها بأعلى الجنايات لما عدّ من بصراء الفقهاء؛ ومثل هذه المصلحة ليست مرسلّة بحيث أن لا يشهد لها الشرع بالاعتبار فإذا فرض أنه ليس لها أصل خاص يلحق به ولا بد من الحكم فيها فيجب أن يحكم فيها بما هو أشبه بالأصول الكلية، وإذا لم يعمل بالمصلحة لزم العمل بالمفسدة، والله لا يحبّ الفساد»<sup>(١)</sup>.

وقد أنكر الله تعالى على أهل الكتاب أشدّ الإنكار ووبخهم لما امتنعوا عن الانتصار لرسولهم في حال الضرورة والحاجة؛ فقال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَادْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَنِعْدُونَ﴾ {المائدة: ٢٤}.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم به لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة فيه إلى نصره نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله، يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد ﷺ حيث قال الصحابة لرسول الله ﷺ حين

(١) الصارم المسلول (٣/٩٠٦).

شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتّم عليهم: يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر، لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد، ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك، وعن يسارك»<sup>(١)</sup>.

ومن شرط الإيمان بالشيء الدفاع عنه والثبات عليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مَنِ نُبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ {آل عمران: ١٤٦}.

قال أبو جعفر الطبري رحمته الله: «هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم - من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداء دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم - ولم تهنوا ولم تضعفوا، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٢٢٨).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٧/ ٢٦٤ - ٢٦٥).



ثانياً: الانتصار للنبي ﷺ حكم شرعي يوجد عند وجود سببه وتحقق شرطه وانتفاء مانعه.

الإذن بالدفاع عن النبي ﷺ حكم شرعي له أسبابه وشروطه وموانعه؛ وهو على أنواع وصور، وله وسائل ومقاصد، وجميعه داخل في معنى الحكم الشرعي؛ فإذا وجد ما يقتضي الدفاع عن النبي ﷺ لكن المانع كان أقوى وأولى اعتباراً - كما سنبينه في مبحث الضوابط الشرعية -؛ يكون الإمساك عن الدفع متعيناً والاحتياط في التوقف أولى وأحرى؛ ويدفع المؤمن وقتئذٍ عن نبيه ﷺ بالقلوب الصادقة والأعمال الصالحة والأدعية الخالصة؛ إذ الأحكام الشرعية للنصرة تتنوع بتنوع المصالح والأحوال والأوقات، وهي تقبل التفاوت والتبعض والانقسام، ويشغل الموفق في كل وقت بما هو واجب ذلك الوقت.

ومن الأدلة على اعتبار الأسباب والشروط وزوال الموانع عند الدفاع عن النبي ﷺ ما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال: «لما كان يوم حنين أثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مئة من الإبل، وأعطى عيينة ابن حصن مثل ذلك، وأعطى ناساً من أشراف العرب، وأثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: «والله إن هذه لقسمة ما عدلَ فيها، ولا أريدَ فيها وجهُ الله، قال: فقلتُ: والله لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ قال: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ

وجهه، حتى كان كالصَّرف، ثم قال: فمن يعدلُ إذا لم يعدل الله ورسولُهُ؟! ثم قال: يرحم الله موسى، قد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصَبَرَ، قلتُ: لا جرم، لا أرفع إليه بعدها حديثاً<sup>(١)</sup>.

قال النووي رحمه الله: «فلعله ﷺ لم يعاقب هذا القائل لأنه لم يثبت عليه ذلك وإنما نقله عنه واحد وشهادة الواحد لا يراق بها الدم».

قال القاضي هذا التأويل باطل يدفعه قوله: (اعدل يا محمد، واتق الله يا محمد)، وخاطبه خطاب المواجهة بحضرة الملاء حتى استأذن عمر وخالد النبي ﷺ في قتله فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه فهذه هي العلة<sup>(٢)</sup>.

أي: هذا من قبيل التعليل بالمانع؛ فإن المقتضي للعقوبة قائم لكن قد قام مانع يمنع الحكم؛ وقد تكرر هذا المعنى - أيضاً - في قصة عبد الله بن أبي سلول لما قال: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)؛ فقال عمر رضي الله عنه: (ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟)؛ فقال النبي ﷺ: «لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٨١) ومسلم برقم (١٠٦٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٨/٧).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٣٣٠)، ومسلم برقم (٢٥٨٤).



ثالثاً: الدفاع عن النبي ﷺ نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله

— تعالى —.

يجزم من له نظر في أدلة الشريعة ومواردها أن الجهاد جنس تحته أنواع؛ وهو كلمة جامعة لاستفراغ الوسع في مدافعة العدو وهو ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر كالكفار؛ ومجاهدة الشيطان؛ ومجاهدة النفس<sup>(١)</sup>.

ويدخل الدفاع عن النبي ﷺ بأي وسيلة شرعية كانت في الجهاد الشرعي، بل هو من أعظم أنواعه وأشرف صوره؛ فالمدافع مجاهد في سبيل الله؛ وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ {الحديد: ٢٥}؛ فالآية صريحة في بيان أن من مقاصد الجهاد وإنزال الحديد نصره النبي ﷺ.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: «وقوله: «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه؛ ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وتبيان ودلائل، فلما قامت

(١) انظر: مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص (١٠٨).

الحجة على من خالف شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده... وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من نيته في حمل السلاح نصره الله ورسله، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هو قوي عزيز، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم ببعض»<sup>(١)</sup>.

لهذا قرنت الآيات القرآنية بين الجهاد والنصرة في غير موضع؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ {الأنفال: ٧٤}.

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيرها: «فذكر المهاجرين بالجهاد بالمال والنفس، وذكر معهم الأنصار بالإيواء والنصر، ووصف الفريقين معاً بولاية بعضهم لبعض، وأثبت لهم معاً حقيقة الإيمان ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، أي الصادقون في إيمانهم فاستوى الأنصار مع المهاجرين في عامل النصره وفي صدق الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

والجهاد في نصره النبي ﷺ لاسيما عند تكالب الأعداء والمنافقين على النيل منه ومن سنته درجة عظيمة ومنزلة كبيرة؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(١) تفسير ابن كثير (٢٨/٨).

(٢) أضواء البيان (٩٨/٨).





«إن نصر رسول الله فرض علينا؛ لأنه من التعزير المفروض؛ ولأنه من أعظم الجهاد في سبيل الله، ولذلك قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ {التوبة: ٣٨} إلى قوله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ {التوبة: ٤٠}، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ {الصف: ١٤}... الآية؛ بل نصر أحاد المسلمين واجب بقوله: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»<sup>(١)</sup>، وبقوله: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه»<sup>(٢)</sup>؛ فكيف بنصر رسول الله؟! ومن أعظم النصر حماية عرضه ممن يؤذيه»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: التفاضل بين أهل الإيمان يكون تارة بالهجرة، وتارة أخرى بالنصرة.

للعبد من الفضل والشرف بحسب نصرته للنبي ﷺ؛ فالتفاوت في

(١) البخاري برقم (٢٤٤٣)، ومسلم برقم (٢٥٨٤).

(٢) البخاري برقم (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٣) الصارم المسلول (٢/ ٣٩٥-٣٩٦).

مضمار السباق بين المؤمنين يكون بالسبق إلى النُّصرة؛ ولا يتقدم عليها شيء إلا إذا اقترنت بها الهجرة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ {الأنفال: ٧٢}.

وقد جعلت النصوص الشرعية تكميل الإيثار وتحصيل المحاسن والفضائل بالسبق إلى الهجرة والنُّصرة معاً، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَىٰ آلِ النَّبِيِّ وَالْآلِ النَّبِيِّ الَّذِينَ أَتَّبَعُوهُمْ يُحَسِّنُونَ فِيهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ {التوبة: ١٠٠}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال يوم الفتح: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيةٌ، وإذا استنفرتم فأنفروا»<sup>(١)</sup>.

ومعنى: الاستنفار: الاستنجد والاستنصار: أي إذا طلب منكم النُّصرة فأجيبوا وانفروا خارجين إلى الإعانة. ونفير القوم: جماعتهم الذين ينفرون في الأمر<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٣١) ومسلم برقم (١٨٦٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٠٢).



وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «خيرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت النُّصرة»<sup>(١)</sup>.

قال أبو جعفر الطحاوي - بعد أن ساق الحديث بسنده -: «وكان رسول الله ﷺ لو اختار لنفسه النُّصرة وترك الهجرة صار الناس جميعاً أنصاراً، ولم يبق أحد منهم مهاجراً، فلم يجعل نفسه من الأنصار لتبقى الهجرة ولتبقى النُّصرة جميعاً»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان تفضيل بعض الصحابة على بعض على أساس النُّصرة؛ يقول ابن القيم في تفضيل خديجة رضي الله عنها: «واختلف في تفضيلها على عائشة رضي الله عنها على ثلاثة أقوال ثالثها الوقف؛ وسألت شيخنا ابن تيمية رحمته الله فقال: اختص كل واحدة منها بخاصة فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام وكانت تسلي رسول الله وتثبتته وتسكنه وتبذل دونه مالها فأدركت غرة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله وكانت نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة فلها من النُّصرة والبذل ما ليس لغيرها، وعائشة رضي الله عنها تأثيرها في آخر الإسلام فلها من التفقه في

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٣٠١١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» برقم (١٧٣٩)، والطحاوي في مشكل الآثار برقم (١٧٢٢).

(٢) مشكل الآثار (٥ / ٤٩).

الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع نبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها هذا معنى كلامه»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يكافئ من نصره ولو كان كافراً كما جاء في السيرة؛ فإن الرسول ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيئوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه، بعث إلى المطعم بن عدي فأجابه على ذلك ثم تسلم المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن ادخل؛ فدخل رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله.

وقد ذكر النبي ﷺ هذا الفعل كما أخرج البخاري عن محمد بن جبير عن أبيه أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التني لتركته لهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد دلّ هذا الحديث على ثلاث فوائد:

أولها: جواز الدخول في جوار الكافر عند الحاجة.

الثانية: أن النبي ﷺ كان يكافئ المحسن إليه بإحسانه، وإن كان كافراً<sup>(٣)</sup>.

(١) جلاء الأفهام (ص ٢٣٤ - ٢٣٥).

(٢) البخاري برقم (٢٩٧٠).

(٣) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية (٢/ ٣١٥).



الفائدة الثالثة: أن نصره النبي ﷺ من الإحسان الذي يحفظ للكافر ويكافأ عليه.

ومن هذا النوع من الإحسان - أيضاً - تخفيف العذاب الأخروي على الكافر بسبب نصرته للنبي ﷺ ومعوته للدين؛ كما جاء في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: «ما أغنيت عن عمك؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»<sup>(١)</sup>.

خامساً: الانصراف عن نصره النبي ﷺ مع القدرة التامة شعبة من النفاق.

الدفاع عن النبي ﷺ ونصرة ما جاء به من الحق علامة على صدق الإيمان والبراءة من النفاق ودلالة على المحبة الصادقة؛ فليس بمحبٍ على الحقيقة من يتمكن من نصره محبوبه ثم لا ينصره ولا يتأذى مما يتأذى منه؛ لهذا كانت نصره الله ورسوله شرطاً في الإيمان وطريقاً لبلوغ الصديقية؛ كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

(١) البخاري برقم (٣٦٧٠).

وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {الحشر: ٨}.

والصَّديق لا يكون متحققاً بالصديقية إلا بالنصرة والمدافعة؛ لهذا كان السابقون الأولون عريقين في الصديقية قاموا بأعبائها والتزموا بلوازمها؛ فنصروا نبيهم بكل ما يمكن شرعاً أن يبذل للمحبوب المتبوع؛ فهذا صديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه قد كمل مرتبة الصديقية بالنصرة والهجرة؛ كما في حديث عروة بن الزبير قال: «سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشدّ شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ {غافر: ٢٨} الآية»<sup>(١)</sup>.

وقد كانت صحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ صحبة نصره وهجرة معاً من أول الدعوة إلى آخرها؛ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {التوبة: ٤٠}.



وما نال الأنصار من الفضل والسبق والبراءة من النفاق إلا بصدق محبتهم  
لنبيهم وقوة نصرتهم له بالمال والنفس والعيال والديار؛ فقد بذلوا كل نفيس في  
سبيل نصرته وتعزيزه؛ لذلك جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه  
قال في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله  
ومن أبغضهم أبغضه الله»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - شارحا هذا الحديث -: «وإنما خصَّ  
الأنصار - والله أعلم - لأنهم هم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين،  
وآووا رسول الله ﷺ، ونصروه، ومنعوه، وبذلوا في إقامة الدين النفوس  
والأموال، وعادوا الأحمر والأسود من أجله، وآووا المهاجرين، وواسوهم في  
الأموال وكان المهاجرون إذ ذاك قليلاً غرباء فقراء مستضعفين، ومن عرف  
السيرة وأيام رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وما قاموا به من الأمر ثم  
كان مؤمناً يحب الله ورسوله لم يملك أن لا يحبهم كما أن المنافق لا يملك أن لا  
يبغضهم وأراد بذلك - والله أعلم - أن يعرف الناس قدر الأنصار لعلمه بأن  
الناس يكثرُونَ والأنصار يقلون وأن الأمر سيكون في المهاجرين فمن شارك  
الأنصار في نصر الله ورسوله بما أمكنه فهو شريكهم في الحقيقة كما قال تعالى:

(١) رواه البخاري برقم (٣٥٧٢) ومسلم برقم (٧٥).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ {الصَّف: ١٤}؛ فبغض من نصر الله ورسوله من أصحابه نفاق»<sup>(١)</sup>.

أما وقد تقرر أن نصرة النبي ﷺ هي من موجب محبته ومقتضاها؛ فإن الانصراف عن نصرته مع القدرة التامة يعدّ شعبة من النفاق؛ إذ لو ثبتت المحبة واستقرت في القلب فلا بد من النصرة ولو بالقلب عند العجز عن نصرته بالقول والفعل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - أيضا - : «فمن لم يكن فيه داعٍ إلى الجهاد فلم يأت بالمحبة الواجبة قطعاً كان فيه نفاق؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ {الحجرات: ١٥}، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق»<sup>(٢)</sup>، وكذلك جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {النحل: ١} الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ

(١) الصارم المسلول (٣/ ١٠٩٣).

(٢) مسلم برقم (١٩١٠).





بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١٩﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ

أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ {التوبة: ١٩-٢٢}؛ فالجهاد في سبيل الله تعالى من الجهد وهي المغالبة

في سبيل الله بكمال القدرة والطاقة فيتضمن شيئين:

أحدهما: استفراغ الوسع والطاقة.

والثاني: أن يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله ودفع مكروهاته<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) قاعدة في المحبة (ص/ ٩٣ - ٩٥ بتصرف يسير).

## المبحث الثاني

### ضوابط الدفاع عن النبي ﷺ

وأشير هنا إلى أهم هذه الضوابط، وهي:

**الضابط الأول: الدفاع عن النبي ﷺ يناط بالاستطاعة الشرعية**  
إذ لا واجب مع العجز.

قد تقرر في الشريعة أن التكاليف الشرعية مشروطة بشروط من أهمها توفر القدرة والاستطاعة؛ فما أوجبته الشريعة من الأحكام وما شرعته من الواجبات وما جعلته شرطاً أو ركناً فيها، فهو منوط بالاستطاعة، فلا تكليف مع العجز.

والمراد من الاستطاعة التي تكون شرطاً في التكليف، هي الاستطاعة الشرعية التي يحصل بها الفعل من غير مضرّة أو مفسدة؛ لأن الشريعة لا تنظر إلى إمكان الفعل فحسب، بل إلى إمكان الفعل مع لوازمه؛ فإن لم يمكن للمكلف أن يفعل الفعل إلا مع مضرّة راجحة، فهو عندئذ لا يكون - في الحقيقة - قادراً ولا مستطيعاً؛ فقد راعت الأحكام الشرعية التمكّن من الفعل، وكون الفعل خالياً من المفسدة الراجحة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فالشرع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية، إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإذا كان



الفعل ممكن مع المفسدة الراجعة لم تكن هذه استطاعة شرعية»<sup>(١)</sup>.

فعلى هذا التأصيل، لا يكون الجهاد واجباً، إذا كان بالإمكان الدفع والمقاتلة لكن مع المفسدة الراجعة؛ إذ لا يجب الجهاد إلا بالتمكن من القتال أولاً، ورجحان مصلحة القتال على عدمه ثانياً، وقد كان المسلمون يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، ويستأذنونهم بالدفع مع إمكان القتال، فيقول لهم «اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال»<sup>(٢)</sup>.

فالانتصار للنبي ﷺ تكليف شرعي وواجب ديني يناط بالاستطاعة الشرعية، فقد يسوغ للعبد أن يكتمه تارة ويظهره تارة أخرى، بحسب حال القوة والضعف، وبحسب استطاعته الشرعية ورجحان المصلحة على المفسدة، وقد جاء تأصيل هذا الضابط في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ {غافر: ٢٨}.

فهذا الرجل المؤمن قد كتم إيمانه لكنه لم يكتم نصيحته وبيانه للحق إذ كان

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤٩/٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره برقم (٩٩٥٣).

قادرًا عليه؛ فكنتم إيمانه وهجرته، ولم يكنتم نصرته، كما كان النجاشي ﷺ يكتم إيمانه وهجرته، ويظهر نصرته للمؤمنين الذين هاجروا إليه.

والعبد قد يظهر إيمانه ولكن قد يكون عاجزاً عن نصرته أهل الإيمان، بالقول أو باليد؛ فيكتفي بنصرة القلب وإنكاره، وهذا من أضعف الإيمان، ومثال هذا النوع من الكتمان ما جاء عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

فابن مسعود ﷺ كان عاجزاً عن طرح الأذى عن النبي ﷺ فكنتم نصرته لعجزه، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ عند شرح قوله: «لو كانت لي منعة طرحته» «أي: لو كان لي قوة تمنع أذاهم، أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني»<sup>(٢)</sup>. فاعتذر لكتمانانه أنه كان هذلياً حليفاً وكان حلفاؤه إذ ذاك كفاراً.

(١) البخاري (١/٩٤)، مسلم (٣/١٤١٨).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي (٦/٢٥١).



ولما وضع عقبة بن أبي معيط رداءه في عنق النبي ﷺ فخنقه خنقاً شديداً جاء أبو بكر رضي الله عنه فدفعه عن النبي ﷺ فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فأبو بكر رضي الله عنه أظهر النصره لقدرته، وابن مسعود رضي الله عنه كتمها لعجزه، وفي موضع آخر، صدع ابن مسعود بتلاوة القرآن أمام الملاء حتى ضرب، فهذا يدل على أن أفعال الصحابة كانت تدور مع مقاصد الدين ومصالح الشرع لا مع الرأي والهوى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وفرق بين الكذب وبين الكتمان: فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار كمؤمن آل فرعون، وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره، إلا إذا أكره والمنافق الكذاب لا يعذر بحال، ولكن في المعارض مندوحة عن الكذب.

ثم ذلك المؤمن الذي يكتُم إيمانه يكون بين الكفار الذين لا يعلمون دينه، وهو مع هذا مؤمن عندهم، يحبونه ويكرمونه؛ لأن الإيمان الذي في قلبه يوجب أن يعاملهم بالصدق والأمانة والنصح وإرادة الخير بهم، وإن لم يكن موافقاً لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق عليه السلام يسير في أهل مصر - وكانوا كفاراً -

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/٣٧٧).

وكما كان مؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه ومع هذا كان يعظم موسى ويقول:  
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت النُصرة للنبي ﷺ قد أُنيطت في جميع أنواعها وصورها بالقدرة - والقدرة لا تكون شرعيةً إلا بإمكان الفعل مع رجحان المصلحة - فإن أصحاب النبي ﷺ وأنصاره بمكة كانوا يرون أنواع الاعتداء والأذى يصيب نبيهم، وهم مع ذلك كانوا عاجزين عن نصرته بالدفع والفعل واكتفوا بأدنى مراتب الإنكار؛ إذ النُصرة والإعانة والمدافعة أحكام مقيدة بالشرع؛ ففعل الصحابة رضي الله عنهم في كل وقت ما هو واجب ذلك الوقت؛ فامثلوا أوامر الله تعالى بالصبر كما أمثلوا أوامره بالدفع؛ فإن الوقت إمّا أن يكون وقت سعة واختيار، وإمّا أن يكون وقت ضيق واضطرار، والحال إمّا أن يكون حال قوة وتمكين، وإمّا أن يكون حال عجز واستضعاف، والعبد يفعل ما أمر به في كل وقت بحسب الإمكان، فتكون ثمرة الفهم الصحيح للاستطاعة، هي ملازمة الطاعة في سائر الأحوال، والاستقامة على محض العبودية، والقيام بوظيفة الوقت، لذلك كان غذاء الصحابة الروحي ومعيشتهم التربوية - بمكة - على هذه المعاني العظيمة التي دلت عليها آية من سورة مكية؛ كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

(١) منهاج السّنة النبوية، لابن تيمية (٦/ ٤٢٥).



وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ<sup>١</sup> وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْفَالِحُونَ<sup>٢</sup> {التغابن: ١٦}؛ فتأمل تقديم الأمر بالتقوى بقيد الاستطاعة على الأمر  
بالسمع والطاعة والإنفاق، كما قال قتادة رحمته الله في تفسير الآية: «فيما استطعت  
يا ابن آدم، عليها بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما استطعت»<sup>(١)</sup>.  
ويشير قتادة رحمته الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ما قال: «كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ  
الله ﷺ على السمع والطاعة، يقول لنا: فيما استطعتم»<sup>(٢)</sup>.

لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وصارت تلك الآيات في حق  
كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر  
عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن  
قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه وبهذه الآية ونحوها كان  
المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله وعلى عهده خلفائه الراشدين،  
وكذلك هو إلى قيام الساعة لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق  
ينصرون الله ورسوله النصر التام؛ فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها  
مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٢٧/٢٣).

(٢) البخاري برقم (٦٧٧٦)، ومسلم برقم (١٨٦٧).

يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركون، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين»<sup>(١)</sup>.

**الضابط الثاني: أن تقع النصرة بطرق شرعية ووسائل مجدية  
موصلة إلى الأغراض الشرعية.**

إن النصرة المعتبرة - شرعاً - والغالبة - قدرأً - هي التي تقوم بالشجاعة  
الإيمانية لا بالاندفاعات العاطفية، وبالغيرة الشرعية لا بالانفعالات النفسية،  
وبالحماية الإسلامية لا بالحماية الجاهلية، وبالوسائل الشرعية لا بالطرق البدعية،  
وبالآداب الحميدة لا بالأخلاق الذميمة، وهي التي تصان بوصايا الأنبياء لا  
بوساوس الشيطان، وتدوم بالسياسات العادلة لا بالسياسات الجائرة، وهي التي  
توجه بنصائح العلماء لا بتوجيهات الدخلاء، ووهي التي تقرر في مجالس الحكماء  
لا في مجامع الغوغاء... فهي نصرة شرعية جامعة بين الوسائل النافعة والمقاصد  
السامية بلا إفراط ولا تفريط.

ومن المعلوم أنه لم يكن دفع المؤمنين عن نبيهم ﷺ في وقت البعثة  
النبوية - قائماً على مبدأ الاستئصال والانتقام؛ بل كان دفع حرص ورغبة وطمع

(١) الصارم المسلول (٢/ ٤١٣).





في إيمان أولئك الكفار المعتدين من جهة، ودفع شرهم عن الإسلام وأهله بحسب الإمكان من جهة أخرى؛ فدفعوا بالتي هي أحسن إلى التي هي أقوم؛ وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك؛ فقال تعالى في آية مكية: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ {المؤمنون: ٩٦}؛ قال ابن كثير رحمه الله: «ثم قال مرشداً له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى - أيضاً - : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ {فصلت: ٣٤}.

قال الرازي رحمه الله: «يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هو أحسن الطرق؛ فإنك إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى، ولم تقابل سفاهتهم بالغضب ولا إضرارهم بالإيذاء والإيحاء استحيوا من تلك الأخلاق المذمومة وتركوا تلك الأفعال القبيحة»<sup>(٢)</sup>.

ولم يقف الأمر فيما يتعلق بمعاملة المشركين عند الدفع بالتي هي أحسن؛ بل كان دفع النبي ﷺ لهم دفع من يريد أن يعود إليهم؛ لهذا أظهرت الآية

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٩٢/٥).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٩٦/١٣).

المصلحة من المدافعة بالحسنى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾؛ أي: يتحول العدو إلى وليّ صديق.

وهذا المعنى ظاهر في آية مكية أخرى؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ {المزمل: ١٠}، والهجر في الآية: «هو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجدها لهم بالتي هي أحسن»<sup>(١)</sup>.

وقد فسّر الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني الهجر الجميل؛ فقال: «والهجر الجميل هو الهجر الذي لم يقترن بغضب ولا مخاصمة ولا عتاب، فهو هجرُ الراغب في العودة إلى المهجورين، الحريص على خيرهم ونجاتهم وسعادتهم، ودخولهم في عباد الله الصالحين»<sup>(٢)</sup>.

وقد تكرر هذا المعنى في السور المدنية؛ فقال تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {المتحنة: ٧}.

وجاء هذا المعنى في السّنة النبوية - أيضا -؛ كما في حديث رجوع النبي ﷺ من الطائف، وقال له ملك الجبال: «إن شئت أن أطبق عليهم

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسّعودي (١/ ٨٩٢).

(٢) معارج التفكير ودقائق التدبّر، لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ١٧٤).



الأخشيين، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(١)</sup>، وقد دخل كثير من الناس في الإسلام ممن شملهم رجاء النبي ﷺ؛ فكانوا بمكة مدفوعين، وبالمدينة يدفع الله بهم الكفار. إذن؛ فيجب أن تكون وسائل النصرة شرعية ومتفقة مع أحكام الشريعة ومنسجمة معها وبعيدة كل البعد عن الحرام والشبهة، وأن تندرج هذه الوسائل تحت معاني كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ وما أثر عن سلف الأمة؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ فالوسيلة إلى أفضل قصد هي أفضل الوسائل وأنفعها.

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: «وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة، كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل، لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل، والإنذار وسيلة إلى درء مفسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان. وكذلك المدح والذم، وكذلك الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل المأمور به في باب المصالح، فالأمر

(١) البخاري برقم (٣٠٥٩)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف»<sup>(١)</sup>.

ولا يمنع أن يتوصل المؤمن إلى النُصرة الشرعية ببعض الأمور والأسباب الدقيقة اللطيفة؛ كالكيّد الممدوح الذي لا تستحل به الحرمات ولا تسقط به الواجبات؛ فهذا النوع ونحوه جائز شرعاً في بعض الأوقات؛ لكن لا يصار إليه إلا بعد أخذ توقيع العلماء الربانيين عليه حتى لا يكون ذريعة إلى الإفساد في الدين.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فالطرق التي تتضمن نفع المسلمين والذب عن الدين ونصر المظلومين وإغاثة الملهوفين ومعارضة المحتالين بالباطل ليدحضوا به الحق من أنفع الطرق وأجلها علماً وعملاً وتعليماً؛ فيجوز للرجل أن يظهر قولاً أو فعلاً مقصوده به مقصود صالح وإن ظن الناس أنه قصد به غير ما قصد به إذا كان فيه مصلحة دينية مثل دفع ظلم عن نفسه أو عن مسلم أو معاهد أو نصرة حق أو إبطال باطل من حيلة محرمة أو غيرها أو دفع الكفار عن المسلمين أو التوصل إلى تنفيذ أمر الله تعالى ورسوله؛ فكل هذه طرق جائزة أو مستحبة أو واجبة.

(١) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (١/ ١٦٦).



وإنما المحرم أن يقصد بالعقود الشرعية غير ما شرعت له فيصير مخادعا لله فهذا مخادع لله ورسوله وذلك مخادع للكفار والفجار والظلمة وأرباب المكر والاحتيال فبين هذا الخداع وذاك الخداع من الفرق كما بين البر والإثم والعدل والظلم والطاعة والمعصية؛ فأين من قصده إظهار دين الله تعالى ونصر المظلوم وكسر الظالم إلى من قصده ضد ذلك؟<sup>(١)</sup>

وها هنا تنبيه: وهو أنه إذا كانت نتيجة الانتصار معدومة أو ضعيفة؛ فمن العبث الكلام في وسائلها وطرقها؛ لأن الوسيلة إذا لم تفض إلى مقاصدها سقط اعتبارها؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وإذا كان المقصود لا يحصل منه شيء لم يكن بنا حاجة إلى إثبات الوسيلة؛ لأن الوسائل لا تُراد إلا لمقاصدها، فإذا جزمنا بانتفاء المقاصد كان الكلام في الوسيلة من السعي الفاسد، وكان هذا بمنزلة من يقول الناس يحتاجون إلى من يطعمهم ويسقيهم وينبغي أن يكون الطعام صفته كذا، والشراب صفته كذا، وهذا عند الطائفة الفلانية، وتلك الطائفة قد علم أنها من أفقر الناس، وأنهم معروفون بالإفلاس»<sup>(٢)</sup>.

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٧٢).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٣٨٦).

### المضابط الثالث: جميع أحكام النُصرة مبناهَا على المصالح المحضة أو الراجحة.

الأحكام الشرعية تارة تناط بالمصالح الخالصة المحضة وتارة تناط بالمصالح الراجحة الغالبة؛ والأولى نادرة الوجود والثانية كثيرة الوقوع؛ لذا لا يصار إلى النُصرة إلاّ إذا ترجحت مصلحتها ولم يفضِ الدفع إلى فساد راجح على مصلحتها؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والشريعة تأمر بالمصالح الخالصة والراجحة كالإيمان والجهاد؛ فإن الإيمان مصلحة محضة، والجهاد وإن كان فيه قتل النفوس فمصلحته راجحة وفتنة الكفر أعظم فساداً من القتل؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ {البقرة: ٢١٧}، ونهى عن المفاصد الخالصة والراجحة كما نهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعن الإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون، وهذه الأمور لا يبيحها قط في حال من الأحوال ولا في شرعة من الشرائع وتحريم الدم والميتة ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك مما مفسدته راجحة، وهذا الضرب تبيحه عند الضرورة لأن مفسدة فوات النفس أعظم من مفسدة الاغتذاء به»<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٢٣٠).

وهذا الضابط يرجع فيه إلى أصليين عظيمين:

أولهما: أن تقدير المصالح والمفاسد يكون بميزان الشرع والعدل لا بميزان الهوى والظلم.

والأصل الثاني: أن تمام الفقه في هذه الأمور متوقف على النظر إلى مآلات الأفعال ونتائج التصرفات وعواقب الأمور.

فإذا أدت مناصرة النبي ﷺ بالأفعال إلى مفسدة راجحة فإنها تمنع إلى حين زوال المفسدة؛ كما نهت الشريعة المؤمنين عن سب آلهة المشركين - مع ما فيه من مصلحة مراغمتهم ومغايظتهم - لئلا يؤول هذا السب إلى سب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ {الأنعام: ١٠٨}.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله - في تفسير الآية - : «يقول تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو؛ كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبك آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أو ثائهم،

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾...<sup>(١)</sup>.

وقد نوّه شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الأمر بعد أن علّق على الآية؛ فقال  
رحمته: «وذلك أنه في اللّجاجة أن يسبّ الجاهل من يعظمه مراغمة لعدوه إذا  
كان يعظمه أيضاً؛ كما قال بعض الحمقى سبّوا علياً كما سبّوا عتيقكم: كفراً بكفر  
وإيماناً بإيماناً»<sup>(٢)</sup>.

كذلك لم يقيم النبي ﷺ الحدود في مكة؛ وذلك لدفع المفاصد الراجحة؛ إذ  
إقامتها في أوّل الإسلام سينفّر الناس عن الدين، فاقتضت مصلحة التأليف أن  
يؤخر إقامتها حتى تزول المفسدة، فالأمر لا يتعلق بالمكنة من إقامتها لأنه يمكن  
أن يقيمها النبي ﷺ على المسلمين بمكة، لكنه تركها لتحصيل أرجح  
المصلحتين، ودفع أقوى المفسدتين.

وقد جاء النهي عن إقامة الحدود في الغزو - وهو مخرّج على ما تقدم - ففي  
حديث بسر بن أرطاة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تقطع الأيدي  
في الغزو»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣١٤).

(٢) الصارم المسلول، لابن تيمية (٣/ ٩٢٥).

(٣) الترمذي برقم (١٤٥٠)، و الترمذي برقم (٢٤٩٢)، وصححه الألباني في تحقيقه على =





وقد علل الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه هذا النهي فقال: «لا تقام الحدود في أرض الحرب مخافة أن يلحق أهلها بالعدو»<sup>(١)</sup>.

فالترك - هنا - لدفع مفسدة، وهي أن الجاني قد يفرّ إلى الكفار، فراراً من الحد، وطلباً للسلامة والنجاة، فمنعت الشريعة المشروع لإفضائه إلى الممنوع<sup>(٢)</sup>.  
يقول ابن القيم رحمه الله: «إن النبي ﷺ كان يكفّ عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه وقولهم: إن محمداً يقتل أصحابه؛ فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومن لم يدخل فيه ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل»<sup>(٣)</sup>.

فمصلحة النصرة لا تتحصل بردود الأفعال، ولا تنهض بالسبب والشتائم، ولا تقوم بمجرد رفع اللواف والشعارات؛ ولا تبنى على التخيلات والتوهمات، ولا تكون باستعجال المواجهات والمصادمات؛ بل تتحصل بالفهم

=مشكاة المصابيح برقم (٣٦٠١).

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٥/٩)، وانظر: نصب الراية، للزيلعي (٣/٣٤٣)،

وحاشية كتاب اعتبار المآلات للسنوسي، فقد ساق شواهد، أنظرها هناك (ص ١٥٣).

(٢) انظر: كتاب اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، لعبد الرحمن السنوسي، (ص ١٥٢ -

١٥٣).

(٣) إعلام الموقعين (٣/١٣٨).

الدقيق لمقاصد الشريعة، والنظر الثاقب في أولويات الدين، والبصيرة التامة بالحق، والتضلع الكبير بأحكام النوازل، مع رسوخ في العلم، وإخلاص في العمل، وصدق في القول، وربانية في المنهج، وخبرة بالواقع، وصبر على البلاء، وشجاعة في القلب، ورحمة بالخلق.

#### الضابط الرابع: أن لا يعتدي المدافع في دفعه.

أذن الشرع للمؤمنين أن ينتصروا لنبیهم ﷺ بكل سبيل شرعي وأوجب عليهم ذلك ورغبهم فيه، لكن من غير تجاوز للحد المشروع؛ إذ لا يجوز مقابلة الظلم بالظلم، والفساد بالفساد، والبدعة بالبدعة؛ فالمؤمنون قد أمروا - إذا أرادوا الدفاع عن نبیهم ﷺ - بالعدل لا بالظلم، وبالحق لا بالباطل، وبالصلاح لا بالفساد، وبالسنة لا بالبدعة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ٣٩ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ٤٠ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤١ وَلَمَنْ آتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ ٤٢ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٣ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {الشورى: ٣٩-٤٣}.



قال الإمام الطبري رحمه الله: «وقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً، بأن يعاقبهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وذلك أن المظلوم وإن كان مأذوناً له في دفع الظلم عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ آتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾، فذلك مشروط بشرطين:

أحدهما: القدرة على ذلك.

والثاني: ألا يعتدي.

فإذا كان عاجزاً، أو كان الانتصار يفضي إلى عدوان زائد لم يجوز»<sup>(٢)</sup>.

وعندما يبدأ أعداء الدين بالطعن في نبي الرحمة ﷺ بالشتم والسخرية والاستهزاء والانتقاص تثور ثائرة المسلمين بعد أن اشتعلت نيران الغيرة على الدين في قلوبهم، وتحرك الغيظ في صدورهم، وتنادت الأصوات في ساحاتهم: الجهاد الجهاد؛ حينئذٍ قد ترى وتسمع - في ثغور المدافعة والمناصرة - بصيرةً وعدلاً وانصافاً؛ كما قد ترى وتسمع - تحت تحذير العاطفة أو الجهل بأحكام

(١) تفسير الطبري (٢١/٥٥٠).

(٢) الاستقامة (١/٤٠).

النازلة - تعدياً وظلماً وطيشاً... وفصل الخطاب في فقه الأزمات يتجلى في تصفية العلماء لا في تخبط العشواء، وفي وصايا الحكماء لا في الرايات العمياء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وفيهم نُفرة عن قول المبتدعة؛ بسبب تكذيبهم بالحق ونفيهم له فيعرضون عن ما يثبتونه من الحق أو ينفرون منه أو يكذبون به كما قد يصير بعض جهال المتسنة في إعراضه عن بعض فضائل علي وأهل البيت؛ إذا رأى أهل البدعة يغلون فيها؛ بل بعض المسلمين يصير في الإعراض عن فضائل موسى وعيسى بسبب اليهود والنصارى بعض ذلك حتى يحكى عن قوم من الجهال أنهم ربما شتموا المسيح إذا سمعوا النصارى يشتمون نبينا في الحرب. وعن بعض الجهال أنه قال: سبوا علياً كما سبوا عتيقكم كفر بكفر؛ وإيمان بإيمان»<sup>(١)</sup>.

**الضابط الخامس: مصلحة الدين لا تتم إلا إذا اقترنت النصره  
بسلطان العلم والحجة.**

نصرة النبي ﷺ المجردة عن العلم والحجة صفة نقص وضعف؛ بخلاف  
النصرة المصاحبة لهما تكون صفة كمال وقوة؛ فالنصرة مثلما تقوم بالردع والقوة



فهي تقوم بالعلم والحجة؛ والقوة تطلب طلب وسائل، والحجة تطلب طلب مقاصد، والقوة تابعة والحجة متبوعة؛ فالحجة تطلب على الدوام، والقوة تطلب عند الاحتياج.

قال الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ {غافر: ٥١}: «واعلم أن نصرة الله المحقين تحصل بوجوه أحدها: النصرة بالحجة، وقد سمي الله الحجة سلطاناً في غير موضع، وهذه النصرة عامة للمحقين أجمع، ونعم ما سمي الله هذه النصرة سلطاناً لأن السلطنة في الدنيا قد تبطل، وقد تتبدل بالفقر والذلة والحاجة والفتور، أما السلطنة الحاصلة بالحجة فإنها تبقى أبداً الآباد»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ {الفرقان: ٣١}؛ قال أبو السعود العمادي: «وعدّ كريم له عليه الصلاة والسلام بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أي كفاك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال هادياً لك إلى ما يوصلك إلى غاية الغايات التي من أجلتها تبليغ الكتاب أجله وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى يوم القيامة ونصيراً لك

(١) مفاتيح الغيب (١٣/ ٣٤٥).

على جميع من يُعاديك»<sup>(١)</sup>.

ومدار نصره الرسول الكريم ﷺ على قوة الحجة ووجود القدرة؛ فتارة يكون الانتصار له بالحجة والقدرة، وتارة يكون بالحجة فقط، ولا يكون الانتصار له بالقدرة من غير حجة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ {الصافات: ١٧١-١٧٤}.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «أي: أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج، ونقل ذلك عن السدي»<sup>(٢)</sup>.

لذلك كان سلطان الحجة أعظم من سلطان القدرة؛ لأن الدين لا يظهر ولا ينتصر إلا بظهور الحجة، كما في ظهور حجة الغلام في قصة أصحاب الأخدود أمام جموع الناس؛ فكانت حجته سبباً في إيمان المؤمنين؛ بخلاف القدرة فلا تؤثر إلا بواسطة الحجة، يقول ابن القيم -معللاً تفضيل الحجة على القدرة-: «لأن صاحب الحجة له سلطان وقدرة على خصمه وإن كان عاجزاً عنه بيده»<sup>(٣)</sup>.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٠٣/٥).

(٢) تفسير الطبري (١٣٠/٢١).

(٣) الفروسية، لابن القيم (ص ١٨٦).



والمتتبع للسيرة النبوية يقطع جازماً أن الصحابة رضي الله عنهم قد نصرُوا رسولهم ﷺ بمكة - بالحجة؛ ونصروه بالمدينة بالحجة والقدرة؛ وقد بينت ذلك بعض الآيات التي نزلت بالمدينة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ {المائدة: ٥٦}.

قال البغوي رحمته الله في تفسير الآية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ «يعني: يتولى القيام بطاعة الله، ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ يعني: أنصار دين الله ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.  
فالمصاحبة بين القوة والحجة وعدم إلقاء العداوة بينهما في مواضع الدفاع عن الدين ونصرة النبي الكريم ﷺ شرط لازم لرفع الدرجات وبلوغ الغايات، يقول ابن القيم: «إنَّ العلم بالحجج والقوة على الجهاد مما رفع الله به درجات الأنبياء وأتباعهم؛ كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ {المجادلة: ١١}، وقال: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ {ص: ٤٥}؛ فالأيدي القوى التي يقدرُون بها على إظهار الحق وأمر الله وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه، والأبصار البصائر في دينه»<sup>(٢)</sup>.

(١) معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ٧٣).

(٢) الفروسية، لابن القيم (ص ١٨٦).

الضابط السادس: النصر لا تتحقق إلا ببذل الواجب والمستحب من الدين بحسب الإمكان.

عندما يتحزّب أهل النفوس اللئيمة على نبي الهدى محمد ﷺ ويظهرون ما أكتته ضمائرهم من الشرّ والحسد يدرك أهل العلم والإيمان وأصحاب البصيرة والعرفان - بفضل الله ورحمته - أنّ أقوى أسباب الانتصار وأعظم خطط الدفاع هي أن يرجع المسلمون إلى دينهم ويراجعوا واقعهم ويحاسبوا أنفسهم ويتعاملوا مع النازلة بفقّه واتباع، وأنّ يبحثوا عن الأسباب الشرعية للنصرة ليصلوا إلى حقيقتين ثابتتين:

إحدهما: أنّ كمال النصر في كمال الطاعة.

والثانية: أنّ ليس للمبطل الجاني صولةٌ وجولةٌ وحراكٌ إلا عند غفلة أهل الحق؛ كما قال تعالى في سياق أمر النبي ﷺ أن يدعو ربه النصر التام: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ۝ۙ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ۝ۚ﴾ {الإسراء: ٨٠-٨١}.

يقول العلامة عبد الرحمن بن ناصر السّعدي: «هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق، فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك، ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من





العلم بآيات الله وبياناته»<sup>(١)</sup>.

فالانتصار للنبي ﷺ والدفاع عنه والذبّ عن سنته لا تكون مجدية ما لم يحرص المسلمون على الالتزام بدينهم والصبر على طاعة ربهم في السراء والضراء، ومقابلة العدو بترك الذنوب والإقلاع عن المعاصي وهجر الشرك والبدع؛ والاصطفاف للمدافعة والمناصرة خلف راية الكتاب والسنة ونبد الفرقة والاختلاف؛ يقول ابن القيم رحمه الله عند الكلام على طريقة المؤمنين في استجلاب النصر: «لما علم القوم أن العدو إنما يدال عليهم بذنوبهم وأن الشيطان إنما يستزلهم ويهزمهم بها وأنها نوعان تقصير في حق أو تجاوز لحد، وأن النصر منوطة بالطاعة؛ قالوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ {آل عمران: ١٤٧}؛ ثم علموا أن ربهم تبارك وتعالى إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يقدرُوا هم على تثبيت أقدام أنفسهم ونصرها على أعدائهم فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم وأنه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا فوفوا المقامين حقهما مقام المقتضي وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه ومقام إزالة المانع من النصر وهو الذنوب والإسراف»<sup>(٢)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٤٦٤).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

فمن طلب الانتصار لنبي الرحمة ﷺ طلب وسائل شرعية ومقاصد سامية فلا سبيل له في تحقيق ذلك وتكميله إلا بأن تكون نصرته بالله والله وفي الله، ويجتهد في عبادة ربه وطاعته بما أمكن، ويحرص على الاقتداء بالكتاب والسنة، ويتحرى العلم والعدل في معاملته للخلق؛ يقول ابن القيم - أيضاً -: «إذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً وكان قيامه بالله والله لم يقم له شيء ولو كادته السموات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها وجعل له فرجاً مخرجاً، وإنما يؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة أو في اثنين منها أو في واحد؛ فمن كان قيامه في باطل لم ينصر وإن نصر نصراً عارضاً فلا عاقبة له وهو مذموم مخذول وإن قام في حق لكن لم يقم فيه الله وإنما قام لطلب المحمدة والشكور والجزاء من الخلق أو التوصل إلى غرض دنيوي كان هو المقصود أولاً والقيام في الحق وسيلة إليه فهذا لم تضمن له النصرة، فإن الله إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا لمن كان قيامه لنفسه وهواه فإنه ليس من المتقين ولا من المحسنين وإن نصر فبحسب ما معه من الحق، فإن الله لا ينصر إلا الحق وإذا كانت الدولة لأهل الباطل فبحسب ما معهم من الصبر والصبر منصور أبداً فإن كان صاحبه محقاً كان منصوراً له العاقبة وإن كان مبطلاً لم يكن له عاقبة، وإذا قام العبد في الحق لله ولكن قام



بنفسه وقوته ولم يقم بالله مستعيناً به متوكلاً عليه مفوضاً إليه برياً من الحول والقوة إلا به فله من الخذلان وضعف النصرة بحسب ما قام به من ذلك»<sup>(١)</sup>.

### الضابط السابع: وجوب إظهار (مقصد الرحمة) في موضع

#### الدفاع عن النبي ﷺ.

يلحظ المتتبع لموارد الانتصار للنبي ﷺ في القرآن والسيرة النبوية أنها لم تخل من إبراز جانب الرحمة؛ فحتى شدته ﷺ على الكفار ومعاقبته لهم كانت مشوبةً بالرحمة؛ فشده عليهم شفقة، وعفوه عنهم إحسان، ومعاقبته لهم عدل، وقاتله لهم رحمة؛ فكان مقصد الرحمة ملازماً للنبي ﷺ في المسالمة والمহারبة، وفي المصابرة والمدافعة، وهو من عمومات الشريعة وكمالياتها وعوائدها الثابتة المستقرة؛ فأضحت البعثة النبوية من أولها إلى آخرها رحمة للمسلم والكافر؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ {الأنبياء: ١٠٧}؛ فمقصد الرحمة يظهر في مظهرين: الأول: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته<sup>(٢)</sup>.

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٧٨ - ١٧٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩/ ٢٢٠).

فما من أحدٍ من الناس إلّا وله حظ من هذه الآية؛ كما يقول ابن القيم - معلقاً عليها -: «وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾؛ أنه على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه فالمحاربون له عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له، وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها لهذا المرض فإذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض»<sup>(١)</sup>.

(١) جلاء الأفهام، لابن القيم الجوزية ص (١٨١-١٨٢).



وقد ثبت عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: لقيت النبي ﷺ في بعض طرق المدينة فقال: «أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبي الرحمة ونبي التوبة وأنا المقفي وأنا الحاشر ونبي الملاحم»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة عبد الرؤوف المناوي - شارحاً الحديث -: «ووجه كونه نبي الرحمة ونبي الحرب أن الله بعثه لهداية الخلق إلى الحق وأيده بمعجزات؛ فمن أبى عذب بالقتال والاستئصال، فهو نبي الملحمة التي بسببها عمت الرحمة وثبتت الرحمة»<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهر مقصد الرحمة - جلياً - في موضع الانتصار للنبي ﷺ من المشركين والردّ عليهم؛ كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كأنّي أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(٣)</sup>.

وقد علّق الإمام ابن القيم رحمته الله على هذا الحديث بالقول: «وتأمل حال النبي الذي حكى عنه نبينا أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسלט الدم عنه

(١) البخاري برقم (٣٥٣٢)، ومسلم برقم (٢٣٥٤).

(٢) فيض القدير (٣/ ٤٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٢٩٠).

ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه:

أحدها: عفوهم عنهم.

والثاني: استغفاره لهم.

الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه؛ فقال «اغفر لقومي» كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي؛ هذا غلامي؛ هذا صاحبي؛ فهبه لي»<sup>(٢)</sup>.

لذلك كانت معاملة النبي ﷺ للمشركين بمكة معاملة عفو وإحسانٍ لا معاملة تشفٍّ وانتقامٍ؛ كما في حديث عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة - وفي الحديث -: فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد

(١) البخاري برقم (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٤٦٨).



الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله - معلقاً على الحديث -: «وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ {آل عمران: ١٥٩}، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ {الأنبياء: ١٠٧}...»<sup>(٢)</sup>.

وإذا شرع العبد بالدفاع عن نبي الرحمة ﷺ في أي صورة من صور الدفاع فلا بد من إظهار الرحمة؛ إذ مصلحة الانتصار له لا تقوم إلا بأن تقترن النصر بالرحمة؛ فالنصرة وسيلة والرحمة غاية، وبهما يتحقق التوسط بين الإفراط والتفريط، وبهما يكون الاعتدال بين برودة القلب ويؤسسته؛ لذلك استعمل الرعيل الأول مع المشركين وأهل الكتاب كل سبيل موصل إلى نجاتهم وهدايتهم، وأعانوهم على تحصيل مصالح الدارين؛ فكان ذلك من مظاهر الرحمة والخيرية؛ حتى صارت محاربة المؤمنين للمشركين داخلة في معنى الرحمة والإحسان والفضل؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(١) البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٦ / ٣١٦).

«عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»<sup>(١)</sup>.

وقد نقل الحافظ ابن حجر كلام ابن الجوزي في شرح الحديث؛ فقال:  
«معناه أنهم أسروا وقيدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعا فدخلوا  
الجنة، فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ {آل عمران: ١١٠}، قَالَ: «خير الناس للناس تأتون بهم في  
السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

فلا تتم مصلحة الانتصار لنبي الرحمة، ولا تتحقق مقاصد الدين إلا  
بالرحمة الحقيقية المبنية على العلم والهدى، لا على الجهل والهوى.

الضابط الثامن: تصرفات الإمام في - باب النصرة - منوطة  
بالمصلحة.

وهذا الضابط يُبحث في أصلين:

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٤٨).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ١٤٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٢٨١).





الأصل الأول: النّصرة التامة لا تتحقق إلا باقتران السّماحة بالشّجاعة:

لا يصلح أمر الدين والدنيا، ولا تحفظ ثغور المسلمين، ولا تصان بيضة الإسلام إلا بأن يجمع إمام المسلمين - في سلوكه وخططه وترتيباته - بين الشّجاعة والسّماحة؛ فهو لا يعان على رعاية السياسة وتنفيذ الأحكام وتطبيق الحدود وحراسة الملة إلا إذا كانت سياسته في الملك ومعاملته مع الخلق مبنيةً عليهما معاً؛ ليحصل من اجتماعهما الوسطية والاعتدال في النّصرة من غير تهور ولا جبن.

ولا يتردد القلم أن يخط حقيقة تاريخية وشرعية وهي: أن الأمة لم تنتفع بشيء مثلما انتفعت بالسّماحة المكيّة والشّجاعة المدنيّة حتى صارت الشّهامة السّلطانيّة خادمةً للسّماحة الإسلاميّة وقائمة عليها بالرعاية والحفظ، وقد جمع نصّ قرآنيّ بينهما؛ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَحْتَبُونَ كَبِيرَ آلِ إِيْمٍ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿الشّورى: ٣٧-٣٩﴾؛ فجمعوا بين العفو والمغفرة لأعدائهم، وبين الانتصار عليهم؛ وقدم السّماحة على الشّجاعة؛ لأن الآية مكية؛ فتحصل الكمال من اقترانها؛ قال العلامة السّعدي رحمه الله - معلقاً على الآيات -: «فوصفهم بالإيمان، والتوكّل

على الله، واجتناب الكبائر والفواحش الذي تكفر به الصغائر، والانقياد التام، والاستجابة لربهم، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، ويلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، وانتفاء ضدها»<sup>(١)</sup>.

والحاجة إلى الشجاعة والسماحة حاجة عامة لكل الخلق وخاصة لولاة الأمر؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «هذا عام في ولاة الأمور وفي الرعية إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ فعليهم أن يصبروا على ما أصيبوا به في ذات الله كما يصبر المجاهدون على ما يصاب من أنفسهم وأموالهم، فالصبر على الأذى في العرض أولى وأولى؛ وذلك لأن مصلحة الأمر والنهي لا تتم إلا بذلك وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ويندرج في ذلك ولاة الأمور فإن عليهم من الصبر والحلم ما ليس على غيرهم كما أن عليهم من الشجاعة والسماحة ما ليس على غيرهم لأن مصلحة الإمارة لا تتم إلا بذلك»<sup>(٢)</sup>.

وانظر - يا رعاك الله - كيف أن النبي ﷺ قد اتصف وتخلق بالشجاعة والسماحة معاً في موضع الاعتداء عليه؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «إنه غزا

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٨٠).



مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه قال جابر: فمنا نومة، ثم إذا رسول الله ﷺ يدعوننا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال لي: من يمنعك مني قلت: الله. فهذا هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أن النبي ﷺ «عرض عليه الإسلام: قال: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، ولكنني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله قال فذهب إلى أصحابه قال: قد جئكم من عند خير الناس»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر - عند ذكر فوائد القصة -: «فمنَّ عليه لشدة رغبة النبي ﷺ في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام، ولم يؤاخذه بما صنع بل عفا عنه... وفي الحديث فرط شجاعة النبي ﷺ وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال»<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري برقم (٣٨٢٢).

(٢) عند أحمد في المسند برقم (١٤٤٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة برقم (١٢٧٢).

(٣) فتح الباري (٧/ ٤٢٦ - ٤٢٧).

وهاهنا ثلاثة أمور مهمة:

أولها: أن النّصرة الواجبة على ولي الأمر لا تظهر مصلحتها ولا يتحقق وقوعها إلا بالشجاعة والسّماحة؛ فالشجاعة وحدها تفضي إلى التهور والاندفاع؛ والسّماحة وحدها تفضي إلى الدّل والخضوع.

الثاني: أن الشجاعة تارة تسبق السّماحة، وتارة أخرى قد تتأخر عنها؛ وهذا كله منوط بالاعتدال والمصلحة.

الأمر الثالث: أن كل ما كان من باب الحدود والعقوبات الشرعية، أو المناصرة بالقوة العسكرية، أو المدافعة بالسيف ونحوها فهو موكول إلى نظر الإمام واجتهاده، ولا يجوز الافتئات عليه في أي حال من الأحوال.

فينبغي -إذن- لمن ينهض بواجب النّصرة والنّجدة من أئمة المسلمين أن يتصف بالبذل والإيثار، ويتخلّق بالسّماحة والصبر، ويتميّز بالشجاعة والإقدام، ويأمر بالعدل والإحسان، ويتحرى اتباع الكتاب والسنة، ويعتني بمقاصد الشريعة، ويحرص على البطانات الناصحة، ويكثر من المشاورات النافعة.

الأصل الثاني: تخيير الأئمة في هذا الباب تخيير مصلحة لا تخيير شهوة. ثمة فرق ظاهر بين قاعدة تخيير الأئمة، وقاعدة تخيير أحاد المكلفين<sup>(١)</sup>، فإذا

(١) انظر: الفروق، للقرافي (٣/ ٣٣-٣٧).



خَيْرُ الإمام بين أمرين، فعليه أن يختار ما فيه مصلحة للمسلمين؛ فيكون اختياره مبنياً على الاجتهاد والمصلحة لا على المشيئة والشهوة.

أما تخيير آحاد الناس فيختلف بحسب نوع التخيير؛ فقد يكون تخييراً بين واجبين، أو بين مباحين؛ فيختار أرجحهما تارةً، وأيسرهما تارةً أخرى، وقد يكون اختياره اختيار تشهي؛ كما في اختيار الولد لأحد أبويه في الحضانة، وقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا واختار أيسرهما ما لم يكن إثماً؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه»<sup>(١)</sup>.

وقد حمل بعض العلماء معنى التخيير في هذا الحديث على ما كان من أمر الدنيا<sup>(٢)</sup>؛ وحمله علماء آخرون على الأخذ بالأيسر والأرفق في كل أمر فيه تخيير ما لم يكن حراماً أو مكروهاً<sup>(٣)</sup>.

والأيسر والأرفق في باب نصرة النبي ﷺ أو في باب التعامل مع الكفار والمشركين أن يختار الإمام ما فيه مصلحة للإسلام؛ فأيسر الأمرين في هذا الباب أكثرهما مصلحة وأقلهما مفسدة.

(١) البخاري برقم (٣٣٦٧)، مسلم برقم (٢٣٢٧).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥٧٥/٦).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٨٣/١٥).

قال أبو العباس القرافي رحمه الله - عند كلامه على الفرق بين قاعدة الأئمة وقاعدة آحاد الناس في التخيير - : «وأما التخيير بين الخصال الخمس في حق الأسارى عند مالك رحمه الله ومن وافقه، وهي القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية، فهذه الخصال الخمس ليس له فعل أحدها بهواه، ولا لأنها أخف عليه، وإنما يجب عليه بذل الجهد فيما هو أصالح للمسلمين»<sup>(١)</sup>.

وقد تضافرت أدلة الشريعة على أن الإمام إذا خيّر بين أمرين عند تعامله مع الكفار؛ فعليه أن يختار الأصالح للمسلمين؛ كما في حادثة الأسرى؛ فقد اختار النبي ﷺ الفداء وشاور أصحابه: فكان رأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الفداء أيضًا، وكان رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل الأسرى؛ فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ ۚ حَتَّىٰ يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {الأنفال: ٦٧}.

وقد روى أهل التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية، قال: «وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ {محمد: ٤}؛ فجعل الله

(١) الفروق، للقرافي (٣/ ٣٣).



النبي ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار، إن شأؤوا قتلوهم، وإن شأؤوا استعبدوهم، وإن شأؤوا فادّوهم»<sup>(١)</sup>.

أي: أن النبي ﷺ - في قضية الأسرى - اختار أولاً ما كان أسهل وأيسر؛ لأنه ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، لكن الأصلح للمسلمين في ذلك الوقت أن لا يكون لهم أسرى حتى يُثخن في الأرض ثم يُخبر بعد ذلك بين الفداء، أو القتل، أو ما فيه مصلحة للمسلمين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فَإِمَّا مَثًّا بِعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ {محمد: ٤}.

قال الشنقيطي رحمه الله: «وأكثر أهل العلم يقولون إن الآية ليست منسوخة، وإن جميع الآيات المذكورة محكمة؛ فالإمام مخير وله أن يفعل ما رآه مصلحة للمسلمين، من منّ وفداء وقتل واسترقاق»<sup>(٢)</sup>.

والمقصود أن أيّ تخيير مع الكفار ينبغي أن يكون مبناه على المصلحة، وأن هذا التخيير من خاصية الإمام ومنوط به، وهو في اختياره هذا يكون مجتهداً؛ إذ

(١) رواه الطبري في تفسيره برقم (١٦٢٨٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٩١٥٥).

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (٢٤٨/٧-٢٤٩).

الأصل أن تصرفات الإمام منوطة بالمصلحة<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإن الإمام إذا خیر في الأسرى بين القتل والاسترقاق والمن والفداء؛ فعليه أن يختار الأصلح للمسلمين فيكون مصيباً في اجتهاده حاكماً بحكم الله، ويكون له أجران، وقد لا يصيبه فيثاب على استفراغ وسعه ولا يأثم بعجزه عن معرفة المصلحة»<sup>(٢)</sup>.

وهناك أمور ينبغي على ولي الأمر أن يغلب فيها جانب العقاب والزجر؛ إذ لا تظهر المصلحة في بعض أنواع الانتصار إلا بالمعاقبة والردع؛ كسبّ النبي ﷺ وشتمه؛ لأن «ضرر السب في الحقيقة إنما يعود إلى الأمة بفساد دينها وذل عصمتها وإهانة مستمسكها؛ وإلا فالرسول - صلوات الله عليه وسلامه - في نفسه لا يتضرر بذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهر من هذين الأصلين أن الدفاع الممدوح عن نبي الرحمة محمد ﷺ شرعا وعقلا - يكون بالشجاعة والسماحة واستتلاب المصلحة... وفق الله

(١) انظر: قاعدة (تصرفات الإمام منوطة بالمصلحة) في الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص ١٢١).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٤/١١٦).

(٣) الصارم المسلول (٣/٨٤٢).





تعالى أئمة المسلمين وحكامهم للاتصاف بهذه الخصال، وأعانهم على القيام بواجب النصرة لله وللرسول ﷺ، وفتح عليهم من أسباب طاعته ومرضاته.

فإن قيل: إنه قد يتعذر - في وقتنا الحاضر - في بعض البلاد والأمصار وجود أئمة يقومون على أمر الدين - نصرةً وجهاداً - في وقت قد تكالبت فيه قوى الشر على نبي الرحمة ﷺ بالطعن والاستهزاء؛ فما الحل للخروج من هذا المأزق؟

فالجواب أن يقال:

إن إحسان الظن بأئمة المسلمين وحكامهم مطلوب على الدوام؛ ففي الأمة خيرٌ كثيرٌ وعطاءٌ وفير، لكن يحتاج إلى تفعيل وإثارة؛ كما أخبر الصادق الأمين: «مثلُ أمتي مثلُ المطر، لا يُدرى أوَّلُه خيرٌ أم آخره»<sup>(١)</sup>.

وعند تعذر الكمال فيصير إلى الأمثل فالأمثل منهم، ثم إذا تعذر الكمال في أحادهم، فقد يعوّض بتعاون المجموع واجتماعهم على كلمة سواء. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

\*\*\*

(١) الترمذي في السنن برقم (٢٨٦٩)، وابن حبان في صحيحه برقم (٧٢٢٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٢٨٦).

## الخاتمة

وفيها تلخيص لنتائج البحث:

- (١) إن نصره النبي ﷺ حقيقة جامعة لكل الوسائل والأسباب والأحوال المتاحة التي بها يتحقق الانتصار للنبي ﷺ والدفاع عنه، وذلك بطاعة أمره، والسعي إلى نصرته وتعزيزه، والجهد عن دينه والذب عنه، وبيان ما أرسل به من الحق.
- (٢) إن نصره النبي ﷺ جنس تحته أنواع متفاوتة في الرتب، ولا بد أن يجب على المؤمن نوع من أنواعه.
- (٣) لقد اعتبر الشرع الحنيف أي نوع من أنواع انتقاص النبي ﷺ، أو عدم توقيره نازلة جسيمة يجب إلحاقها بأشد المحرمات وأعلى الجنايات لما اشتملت عليه من المفاصد العظيمة والأضرار الكبيرة على الإسلام وأهله.
- (٤) إن أحكام الدفاع عن النبي ﷺ تنوع بتنوع المصالح والأحوال والأوقات، وهي تقبل التفاوت والتبعض والانقسام، ويشغل الموفق



- في كل وقت بما هو واجب ذلك الوقت.
- (٥) قد جعل الشرع الحنيف تكميل الإيمان، وتحصيل المحاسن والفضائل، والتفاضل بين أهل الإيمان منوطاً بالسبق إلى الهجرة والنصرة معاً.
- (٦) قد تقرر - في البحث - أن نصرة النبي ﷺ هي من موجب محبته ومقتضاها، وأن الانصراف عن نصرته مع القدرة التامة يعدّ شعبة من النفاق.
- (٧) إن الانتصار للنبي ﷺ تكليف شرعي وواجب ديني يناط بالاستطاعة الشرعية، لذلك يسوغ للعبد أن يكتمه تارة ويظهره تارة أخرى، بحسب حال القوة والضعف، وبحسب استطاعته الشرعية ورجحان المصلحة على المفسدة.
- (٨) إنه يجب أن تكون وسائل نصرة النبي ﷺ شرعية، ومتفقة مع أحكام الشريعة ومنسجمة معها، وبعيدة كل البعد عن الحرام والشبهة، وأن تندرج هذه الوسائل تحت معاني كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ وما أثار عن سلف الأمة؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.
- (٩) قد ظهر أن مصلحة نصرة النبي ﷺ لا تتحصل إلا بالفهم الدقيق لمقاصد الشريعة، والنظر الثاقب في أولويات الدين، والبصيرة التامة

بالحق، والتضلع الكبير بأحكام النوازل.

(١٠) قد تبين لنا أن الشرع قد أمر المؤمنين - إذا أرادوا الدفاع عن نبيهم ﷺ -

بالعدل لا بالظلم، وبالحق لا بالباطل، وبالصلاح لا بالفساد، وبالسنة لا بالبدعة.

(١١) مدار نصره الرسول الكريم ﷺ على قوة الحجة ووجود القدرة؛ فتارة

يكون الانتصار له بالحجة والقدرة، وتارة يكون بالحجة فقط، ولا يكون الانتصار له بالقدرة من غير حجة.

(١٢) ظهر أن كمال النصرة في كمال الطاعة، وأن ليس للمبطل الجاني صولة

وجولة وحرأك إلا عند غفلة أهل الحق في اتباع حقهم والالتزام به ظاهراً وباطناً.

(١٣) إذا شرع العبد في الدفاع عن نبي الرحمة ﷺ بأي صورة من صور

الدفاع فلا بد من إظهار الرحمة؛ إذ مصلحة الانتصار له لا تقوم إلا بأن تقترن النصرة بالرحمة؛ فالنصرة وسيلة والرحمة غاية.

(١٤) إن النصرة الواجبة على ولي الأمر لا تظهر مصلحتها ولا يتحقق وقوعها

إلا بالشجاعة والسماحة؛ فالشجاعة وحدها تفضي إلى التهور والاندفاع؛ والسماحة وحدها تفضي إلى الدل والخضوع.



(١٥) كل ما كان من باب الحدود والعقوبات الشرعية، أو المناصرة بالقوة العسكرية، أو المدافعة بالسيف ونحوها فهو موكول إلى نظر الإمام واجتهاده، ولا يجوز الافتئات عليه في أي حال من الأحوال.

### التوصيات:

أولاً: ضرورة الاعتناء بجانب التأصيل الشرعي، والوقوف على مقاصد الشريعة، وتغليب النظر المصلحي عند بحث مسائل نصرته ﷺ.

ثانياً: الاعتناء بجانب نشر العلم الشرعي، وحث الناس على الالتزام بالشرعية والاحتكام إليها في عباداتهم ومعاملاتهم؛ وبيان أن هذا من أهم أسباب نصرته ﷺ.

ثالثاً: الاعتناء بفقهاء السيرة ودراساتها دراسة منهجية في ضوء منهج أهل الحديث والفقهاء، واستظهار معالم النصر الشرعية المنضبطة من نصوصها وأحداثها.

رابعاً: الاعتناء بالفقهاء الجامع للوزم العلم ومدارك الأحكام: كواجب الوقت، وفقه الواقع، وفقه الأولويات، وفقه النوازل، وفقه المآلات، وفقه الدعوة، وفقه السنن الكونية، وفقه السياسة الشرعية...

خامساً: السعي بكل ممكن لربط الأمة بولاة أمورها من الأمراء والعلماء  
الربانيين؛ وتحجيم المتصدرين للفتوى والتدريس من الكلام في القضايا المهمة  
للأمة من غير علم ولا برهان.

\*\*\*



## قائمة المراجع

- (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٢) الاستقامة، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- (٣) الأشباه والنظائر، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى.
- (٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- (٥) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، تأليف: عبد الرحمن بن معمر السنوسي، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٤٢٤هـ.
- (٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الجليل - بيروت - ١٩٧٣م، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

- (٧) بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد.
- (٨) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- (٩) تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.
- (١٠) تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ.
- (١١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ.
- (١٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنعام، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار العروبة - الكويت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط.



- (١٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (١٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة: الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط.
- (١٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة، إعداد: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف الرياض ١٤١٦ هـ.
- (١٧) الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- (١٨) السنن الكبرى، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى - ١٣٤٤ هـ.
- (١٩) صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ هـ، الطبعة: الثانية.
- (٢٠) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٧ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري.

- (٢١) الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- (٢٢) صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٢٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- (٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- (٢٥) الفروسية، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الأندلس - السعودية - حائل - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان.
- (٢٦) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، تأليف: أبو العباس أحمد ابن إدريس الصنهاجي القرافي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل المنصور.
- (٢٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى.



- (٢٨) قاعدة في المحبة، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- (٢٩) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ج ١-٢، تأليف: أبي محمد عز الدين السلمي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٣٠) مجموع الفتاوى، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
- (٣١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر.
- (٣٢) مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٥م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
- (٣٣) شرح مشكل الآثار، تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
- (٣٤) معارج التفكير ودقائق التدبر، تأليف: لعبد الرحمن حبنكة الميداني، الناشر: دار القلم - دمشق.
- (٣٥) معالم التنزيل، ألف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

- (٣٦) المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- (٣٧) معرفة الصحابة، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٣٨) مفاتيح الغيب، تأليف: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٣٩) المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد، دار النشر: دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- (٤٠) منهاج السنة النبوية، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- (٤١) نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، دار النشر: دار الحديث - مصر - ١٣٥٧ هـ، تحقيق: محمد يوسف البنوري.
- (٤٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

\*\*\*



# الحوار وأثره في الدفاع عن النبي ﷺ

إعداد

أ. د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ابيض



## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستعديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن من الأمور التي لا يتم إسلام المرء إلا بها، ولا تحصل نجاته وسعادته إلا حينما يستكمل مقوماتها، ما يتعلق بحقوق المصطفى ﷺ، أعظم الناس علينا حقاً بعد حق الله، من لم نعرف الخير إلا بهدأيته، ولم نر النور والهدى إلا برسالته، من شرح الله صدره، وأعلى ذكره، وأوجب على العالمين قرن اسمه باسمه جل وعلا، فالشهادتان لا يتم المراد بهما إلا باستكمالهما والعمل بهما، ومقتضى الشهادة له بالرسالة أن نطيعه فيما أمر، وننتهي عما نهى عنه وزجر، وأن تكون عبادتنا وشؤوننا على وفق ما شرع، ومن هنا فإن الباحث وطالب العلم يجد أنه حينما يسطر شيئاً يرتبط بمقام الرسالة، ويعتمد النصوص التي أبرزت وأظهرت حقوق المصطفى ﷺ، ويسهم ولو بالقلم في إحياء سنته، ونصرة

شريعته، ويدافع عن حقوقه، ويواجه من يناوئ شخصه أو سنته؛ يجد سعادة غامرة، وبهجة غالبية، ويحتسب على الله أن يكون بمشاركته ممن جاهد بقلمه ولسانه عن جناب الشريعة، وعن حقوق مشرعها عليه الصلاة والسلام. وقد وقع الابتلاء عبر العصور المختلفة بمناوأة ﷺ، إما بانتقاص شريعته وسنته، وهي قضية متكررة، وسنة باقية، يظهر الله بها الحق، ويكمل بها الابتلاء، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، كما وقع الابتلاء بمناوأة شخصه الكريم صلوات الله وسلامه عليه، لكن لو قيل بأن هذا أشد وأظهر في هذه العصور التي رزئت الأمة الإسلامية فيها بمن وجهاً سهام نقدهم، وصبوا جام غضبهم عليه ﷺ؛ لكان هذا القول صواباً. وإن المسلم ليشعر بمشاعر الغضب والأسى وهو يرى ويسمع ما يقع، وهذا ما حصل من المسلمين، ولا غرابة في ذلك، فليس أعز علينا من ديننا، ونبينا محمد ﷺ، وننظر إلى ما وقع على أنه ابتلاء وامتحان، ولكن نتفاءل بأن ذلك لحكمة أرادها الله لأ، وأن في طيات هذا المكروه منجاً جليلاً، وسنة الله في شأنه رسول الله ﷺ معلومة: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٢)</sup>، ونقوم في مقابل ذلك بما أوجبه الله علينا من

(١) الحجر: ٩٥.

(٢) الكوثر: ٣.





الحقوق، ونسهم في نصره نبينا محمد ﷺ والدفاع عنه بما نستطيع. وبالتأمل واستقراء ما كتب ودوّن، وقراءة الخلفيات والدوافع الحقيقية نجد أنه يمكننا استغلال هذا الحدث، وتوظيفه للدعوة إلى الإسلام، وإظهار حقائقه وخصائصه ومميزاته التي تستوجب القبول لدى الفطر السليمة، كما أنه يمكن استغلالها لإحياء سنة النبي ﷺ، وإظهار مآثره وصفاته الخلقية والخُلُقِيّة، وما حباه الله به مما هو سر من أسرار الاصطفاء والاختيار، لأننا مع كراحتنا لما حصل لا نغفل سبباً مؤلماً، لبعض أبناء المسلمين أثر فيه، ألا وهو تلك الانحرافات التي حملت ثقافة العنف والإرهاب، والتطرف والغلو، وألبست زوراً وبهتاناً بلبوس الدين، وتعلق منظروها بشبهه، وأظهروا ذلك على أنه دين الله ﷻ، حتى كان من آثار هذا الفكر المتطرف تشويه صورة الإسلام، والتنفير من أهله، وتجرئة أولئك الأعداء للوقوع في عرض نبينا محمد ﷺ رَدّة فعلٍ لهذه الأفعال المنكرة التي يرفضها الإسلام جملة وتفصيلاً، وقد أحسن الإخوة الزملاء في الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها «سنن» حينما اختاروا هذه الفعالية الكبرى التي حظيت بالموافقة السامية، والرعاية الكريمة من مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود -حفظه الله ورعاه-.

وإنني لأشكر لهم دعوتهم الكريمة للإسهام بالكتابة في هذا المؤتمر العالمي،

وأرى ذلك واجباً يمليه عليّ ما أوجبه الله علينا من حقوق نبينا محمد ﷺ، وقد أثرت الكتابة في جانب له أثره وفاعليته في الدفاع عن المصطفى ﷺ، والقبول لدى جميع شرائح المجتمع وطبقاته، بل والعالم، عن أمر نفتقده في لغة التخاطب بين أبناء المسلمين أو يقل، فكيف بمعاملة غير المسلمين؟ وإخال أن الطرح فيه قليل لا في مجال المؤتمر فحسب، بل على سبيل العموم، إنه أسلوب مثالي، ولغة حضارية، ونمط من أنماط التعامل الإنساني، يعزى إلى فقدته فشل كثير من الجهود، ويكون النجاح في اعتماده أسلوباً للتواصل والتبادل والتعامل، إنه الحوار الذي يتم من خلاله توظيف الاختلاف وترشيده، بحيث يقود أطرافه إلى دائرة التعارف والتآلف، ويجنبهم أخطار الشقاق والتفريق، والخلاف والاختلاف، ويضع القبول لأي طرح هادف، بأسلوب علمي موضوعي رزين. والحوار يعالج قضايا الاختلاف والتواصل لأي هدف من خلال كشفه عن مواطن الاتفاق ومثارات الاختلاف، لتكون محل النقاش والجدال والتي هي أحسن لمعرفة ما هو أقوم للجميع، ولا بد منه ليؤدي الحوار وظيفته، إن أهمية هذا الأسلوب تظهر بالموقف الشرعي، فلقد عدَّ الإسلامُ الحوارَ قاعدته الأساس في دعوته الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا في كل قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه، وهذا دليل على أن الحوار متطلب للحياة؛ لوجود الاختلاف بين الناس.



والغاية من الحوار إقامة الحجة، ودفعُ الشبهةِ والفسادِ من القول والرأي، فهو تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، ومن هنا فإن البحث يركز على الحوار بوصفه أسلوباً للدفاع عن النبي ﷺ، ولكن سيتضمن البحث بيان منزلة هذا الأسلوب، تعريفاً بمفهوماته، وبياناً لأدواته وآلياته وآدابه، واستجلاء للموقف الشرعي فيه، واستعمال النبي ﷺ له، ثم توظيفه للدفاع عن النبي ﷺ، آملاً أن تكون هذه النقاط وافية بالغرض، مؤسسة لطرح أوفى، وتفصيل مستقصى، يتجاوز ما في الخاطر المكدود، ولعله أن يكون قريباً في الواقع الملموس.

وقد دفعنا إلى كتابة هذه الوقفات أمور، أبرزها: ما سبقت الإشارة إليه من أهمية المشاركة، بل وشعورنا بالواجب تجاهها، وأهمية الحوار وأثره في الواقع المعاصر، الذي تعظم الحاجة إليه، ويتم من خلاله إيصال رحمة الإسلام وهدايته، والصورة المشروعة عنه، وعن رسوله ﷺ، والتمكن من فهم إشكالية الواقع ودوافع تلك الهجمات، والتعامل معها بهذا الأسلوب الذي هو الحكمة التي أمر الله بها، كما ظهر أثره في معالجة كثير من الانحرافات سواء في جانب الغلو أو الجفاء، والإفراط أو التفريط، حتى قضايا الإرهاب والتطرف

بالنظر إلى أنها تعتمد خطاباً متشدداً، وفهماً لا يمثل قيم الإسلام وأحكامه، إلا أنها صورة فكر لا يقابل إلا بالفكر، والأداة الموصلة إلى ذلك بمثالية وواقعية هي الحوار المعتمد على أسس وثوابت، وقدر مشترك يُمكنُ من التواصل، ويثمر ثماراً يلمسها المرء في واقعه. ومما لا شك فيه أن استجلاء المنهج القرآني لوضع أصول ومعالِم لهذا الأسلوب وكذلك ما ورد عن المصطفى ﷺ، يعد الطرح الأقرب للإقناع؛ لأنه يعد استنباطاً واستدلالاً في آن واحد، ولهذا وقع التركيز على الحوار وأثره في الدفاع عن النبي ﷺ، وتركزت الخطة على الآتي:

- المقدمة: وفيها أهمية الحوار بوصفه أسلوباً لبيان الحقوق، ودفاع المناوأة التي وقعت وتقع، وأبرز أسباب اختيار الموضوع، وخطته.
- المبحث الأول: في حقيقة الحوار وضوابطه، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: في مفهوم الحوار والمفاهيم المرتبطة به.
  - المطلب الثاني: في الألفاظ الدالة على هذا المفهوم الواسع للحوار من الكتاب والسنة.
  - المطلب الثالث: في ضوابط الحوار الفعال.
- المبحث الثاني: الحوار وأثره في الدفاع عن النبي ﷺ، وفيه تمهيد ومطلبان:



○ التمهيد، وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: منزلة النبي ﷺ، وأبرز حقوقه علينا.
- المسألة الثانية: مناوأة النبي ﷺ من قبل الخصوم في حياته وبعد موته.

▪ المسألة الثالثة: سنة الله ﷻ فيمن وقع في عرض النبي ﷺ.

○ المطلب الأول: وجوب الدفاع عن النبي ﷺ، وفيه مسألتان:

- المسألة الأولى: الدفاع عن شخصه الكريم ﷺ.
  - المسألة الثانية: الدفاع عن دينه وشريعته وسنته ﷺ.
- المطلب الثاني: الدفاع عن النبي ﷺ بالحوار، وفيه مسألتان:
- المسألة الأولى: أساليب الحوار في سنة النبي ﷺ.
  - المسألة الثانية: أهم الأساليب الحوارية في الدفاع عن النبي ﷺ.
- الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

كتبه/

**أ. د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل**

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

\*\*\*

## المبحث الأول في حقيقة الحوار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في مفهوم الحوار والمفاهيم المرتبطة به.  
الحوار في اللغة:

ذكر علماء اللغة أن معنى (حَوَرَ): الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال: حَارَ إلى الشيء وعنه حَوْرًا أو مَحَارًا أو مَحَارَةً رَجَعَ عنه وإليه<sup>(١)</sup>، والحوار: من المُحَاوَرَة؛ وهي مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة<sup>(٢)</sup>، والمحاورة: المجاورة، والحوار: التجاوب<sup>(٣)</sup>، وبالنظر إلى ما سبق من المعاني نجد أن الحوار في اللغة يدور في معنى المراجعة والتجاوب والخطاب.

الحوار في الاصطلاح:

ذكر بعض الباحثين عدة تعريفات، وسوف أذكرها مُقَدِّمَةً، ثم أحرر المقصود عند سياق المفاهيم المرتبطة بالحوار، مثل: الجدل والمناظرة والإقناع،

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (حور)، ٢١٧/٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢١٨/٤.

(٣) انظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص ١٠٦.



وذلك لأن تحرير المفهوم يتضح ببيان الفرق، فأقول:

### مفهوم الجدل:

الجدل مأخوذ من: شدة الفتل، والجدلة: الأرض لشدتها، والجدل: اللد في الخصومة والقدرة عليها، رجل جدل: إذا كان أقوى في الخصام، وتدل على شدة الخصومة، ومقابلة الحجة بالحجة<sup>(١)</sup>.

وعرف الجدل اصطلاحاً بأنه: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة<sup>(٢)</sup>.  
أو هو: عبارة عن مرأ يتعلق بإظهار المذهب وتقريرها<sup>(٣)</sup>.

### مفهوم المناظرة:

مصدر مأخوذ من ناظر يناظر مناظرة، وناظره مناظرة بمعنى: جادله مجادلة<sup>(٤)</sup>. جاء في المصباح: عُرِّفَت المناظرة بأنها: ترجع إلى النظر والمقابل في المخاطبة.

(١) انظر: لسان العرب، (جدل)، ١١/ ١٠٥.

(٢) انظر: التعريفات لعلي الجرجاني، ص ٧٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٧٥.

(٤) انظر: المصباح المنير، للفيومي، ٢/ ٦١٢.

والمراد بها: النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب<sup>(١)</sup>.

أو أنها: سلسلة من الحجج الشفهية التي تؤيد أو تعارض قضايا معينة مطروحة للنقاش<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن المناظرة: حوار متبادل بين جماعتين من المتحدثين يمثلان اتجاهين مختلفين في قضية واحدة تهمهم، ويسعون إلى حلها.

### مفهوم الإقناع:

وهو: عملية إرضاء، تكون باستخدام الطرق المؤثرة، التي تجعل نفس الآخر ترضى - بكامل جوانبها - بالشيء الذي يراد الإقناع به، ومن ثم تقتنع به، بعيدًا عن أي عامل خارجي، ويأتي الاتباع نتيجة الإقناع<sup>(٣)</sup>.

وبنظرة متأملة لمفهوم الحوار والجدل نجد أن بينهما فرقًا، ف«هما يلتقيان في كونهما حديثًا أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدل فيه لدد في الخصومة، وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأي والتعصب له»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة من الباحثين، ٢٤ / ٣٢٠.

(٣) انظر: الإقناع، لسالم سعيد جبار، ص ٣٠.

(٤) انظر: الحوار آدابه وضوابطه، ليحيى محمد زمزمي، ص ٢٦.





أما الحوار فلا يحمل هذه الخصائص التي هي في حقيقتها إقصاء للرأي، وتمسك به.

وبنظرة متأملة أيضًا في مفهوم المناظرة نجد أنها قريبة من مفهوم الحوار، إلا أن «المناظرة أدل في النظر والتفكير، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله»<sup>(١)</sup>.

أما مفهوم الحوار والإقناع، فنجد أن الإقناع هو أقرب المفهومات إلى الحوار؛ لأنه يبنى على عملية إرضاء الآخر وإقناعه باستخدام الأساليب المؤثرة، فيأتي اتباعه مبنياً على اقتناع تام<sup>(٢)</sup>، ويظهر أن بينهما علاقة ظاهرة، إذ إن الإقناع نتيجة لمقدمات الحوار، ثم تأتي القناعة التامة التي تولد الاستجابة والاتباع.

وبناء على تفحص المفهومات السابقة، وعلى ما مر من تعريفات للحوار، وما تبين من علاقة بين هذه المصطلحات نستطيع أن نضع حدًا للحوار يعتمد المقارنة السابقة، فيعرف بأنه: (نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه

(١) انظر: الحوار مع أهل الكتاب، لخالد محمد القاسم، ص ١١٥.

(٢) انظر: دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، لهلال حسين فلمبان،

الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب<sup>(١)</sup>.

أو أنه: (حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب، بل بطريقة علمية إقناعية، ولا يشترط فيه الحصول على نتائج فورية)<sup>(٢)</sup>.

ولا ينحصر في أسلوب معين، كما أنه لا يتحدد بفئة معينة، بل هو حديث يتم بين طرفين فأكثر يلتزم فيه كل طرف بأدب الحديث، ويرمي إلى أهداف تختلف بحسب طبيعته ونوعه.

\*\*\*

(١) انظر: أصول الحوار، للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ١١.

(٢) انظر: الحوار: آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، لخالد بن محمد المغامسي، ص ٢٢.



المطلب الثاني: في الألفاظ الدالة على هذا المفهوم الواسع للحوار من الكتاب والسنة.

ويمكن تقسيمه قسمين:

### ١ - الألفاظ من القرآن الدالة على هذا المفهوم:

لم ترد كلمة الحوار في القرآن بهذه الصيغة المصدرية «الحوار»، لكن إذا نظرنا إلى مشتقاتها نجد أنها ذكرت في بعض الآيات، كما ذكر ذلك في المعجم المفهرس<sup>(١)</sup>، فمنها:

أ - كلمة «يحاوره»، في قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ب - كلمة «تحاوّر»، وهي مصدر للفعل تَحَاوَرَّ يَتَحَاوَرُّ تَحَاوُرًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وهي وإن لم ترد باللفظ المذكور (الحوار) إلا أنها تحمل دلالته.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٨٠.

(٢) الكهف: ٣٤.

(٣) المجادلة: ١.

## ٢- الألفاظ من السنة الدالة على هذا المفهوم:

كذلك لم ترد كلمة الحوار بهذه الصيغة في السنة، لكن وردت اشتقاقات تحمل معنىً مغايراً مختلفاً، من ذلك:

أ- ما ورد عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والخور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال»<sup>(١)</sup>، فلفظة «الخور» كما قال ابن الأثير تدل على عدة معانٍ: النقصان بعد الزيادة، وفساد الأمور بعد صلاحها، والرجوع عن الجماعة بعد أن كان منهم<sup>(٢)</sup>، وظاهر بهذا أن لا علاقة لهذا المعنى بما نحن بصدده.

ب- ومنها ما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا ولتبتوا مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذاك إلا حار عليه»<sup>(٣)</sup>،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، برقم: (١٣٤٣).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث، ٤٥٨/١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، برقم: (٦١).



بمعنى الرجوع، أي: أنه رجع على القائل قوله<sup>(١)</sup>، وهو معنى يؤكد المدلول اللغوي، وله ارتباط بالمفهوم الاصطلاحي من جهة أن الحوار تراجع بين الأقوال.

ومن هنا فإن النتيجة التي تستند إلى المقارنة السابقة أن الاستعمال الاصطلاحي للحوار لم يرد في نصوص الكتاب والسنة بلفظه، وإنما ورد ما يفيد ذلك من الألفاظ المقاربة كالمحاجة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ<sup>٣</sup> قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ<sup>٤</sup>﴾<sup>(٣)</sup>، والمجادلة ﴿وَجَدِلْتُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>٥</sup>﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>٦</sup>﴾<sup>(٥)</sup>، وغيرها.

ومن السنة وردت أحاديثٌ حاصلٌ ما فيها حوار، وإن لم ترد بلفظ الحوار، من ذلك:

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد المناوي، ٣٨٢/٥.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) الأنعام: ٨٠.

(٤) النحل: ١٢٥.

(٥) العنكبوت: ٤٦.

- قصة الرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ، وقال: «يا رسول الله، ائذن لي بالزنا»، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: «ادنه»، فدنا منه قريباً، قال فجلس، قال: «أتحبه لأملك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمھاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتيك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(١)</sup>.

- ومن ذلك: الحوارات التي دارت بين رسول الله ﷺ واليهود في مواقف مختلفة، حينما سألوه عن مسائل ليمتحنوه صلوات ربي وسلامه عليه، فعن أنس رضي الله عنه قال: «سمع عبدالله بن سلام رضي الله عنه بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترق فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (٢٢٢١١)، ٣٦/٥٤٥، وقال عنه الألباني في السلسلة

الصحيحة: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح، ١/٦٤٥.



أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل أنفاً» قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: «أي رجل عبدالله فيكم؟»، قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرايتم إن أسلم عبدالله بن سلام»، فقالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) البقرة: ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة، برقم: (٤٢١٠).

### المطلب الثالث: في ضوابط الحوار الفعال.

إن التزام المرء بآداب الحوار هو أسلوب يدل على نجاح الحوار، ودليل على بحث أهله عن الحقيقة، ولا شك أن ضوابط الحوار إنما تقوم على أصول سلفنا الصالح، وأخذ هذا من مناظراتهم وحواراتهم، ومن ضوابط الحوار:

#### ١ - الاستماع الكامل لكل ما يقوله الآخر:

فالحوار هو: فن الاستماع للآخر، وعدم الطمع في الكلام بدلاً منه، وقد طبق النبي ﷺ ذلك، ففي الحوار الذي دار بينه وبين عتبة بن ربيعة، لما أتى عتبة إلى النبي ﷺ وجلس إليه، فقال: يا بن أخي، إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أثيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفّهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد، أسمع»، قال: يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء، وبذلنا فيها أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما





غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «فاستمع مني»، قال: أفعل، قال النبي ﷺ: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

فالاستماع الكامل للآخر، وإعطاؤه الفرصة حتى يُتم كلامه، مع استيضاح أي غموض فيما يعرضه من أفكار هو السمة المميزة لكل حواراتنا، فإذا تبين لنا خطأ الآخر، فإن الاستماع الكامل له وعدم مقاطعته هو المقدمة الصحيحة لرجوعه عن الخطأ مهما كان عناده وغلظته.

## ٢- التزام المحاور بالقول الحسن، وتجنب منهج إفحام الخصم:

يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup>، فيجب على المحاور أن يبتعد بنفسه عن أسلوب التجريح والاحتقار والإثارة والاستفزاز، ولا بد من تجنب أسلوب التحدي، وإحراج الخصم، ولو كانت الحجة بينة والدليل دامغاً، فالحوار مبني على كشف الحق، وإظهاره وقبوله.

(١) فُصِّلَتْ: ١-٢.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ١/ ٣١٤.

(٣) النحل: ١٢٥.

### ٣- الإخلاص:

على المحاور أن يوطّن نفسه ويُرَوِّضها على الإخلاص لله في كل شيء، حتى يستطيع بذلك الوصول للحق، والانتصار له.

### ٤- ترك المرء:

فلا بد أن يترك المحاور المرء والجدل، ويلتزم ببيان الحق بالحجج والبراهين، والمرء يغلق باب الحوار ويلغيه، ويوغر الصدور، ويؤصل للفرقة، قال النبي ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المرء وإن كان محقًا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»<sup>(١)</sup>.

### ٥- الحرص على محبة ظهور الحق:

وقد كان سلفنا الصالح ﷺ يحرصون على أن يخرج الحق على لسان الخصم، ويتأدّبون معه تأدّبًا عظيمًا، من ذلك ما جاء في سيرة علي بن الحسين ﷺ، فلقد كان بينه وبين ابن عمه حسن شيء، فما ترك حسن شيئًا إلا قاله،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم: (٤٨٠٠)، من حديث أبي أمامة ﷺ، وعلق عليه الشيخ الألباني فقال: هذا حديث حسن لغيره بمجموع الطرق، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٣.



وعلي ساكت، فذهب حسن، فلما كان الليل، أتاه علي فقال: يا بن عمي إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، والسلام عليكم، فالتزمه حسن، وبكى حتى رثي له<sup>(١)</sup>.

وروي أن الإمام أبا حنيفة رأى ولده حماداً يناظر في المسجد فنهاه، فقال له ولده: أما كنت تناظر؟ قال: بلى، ولكن كنا كأن على رؤوسنا الطير من أن يخرج الباطل على لسان الخصم، بل كنا نود أن يخرج الحق على لسانه فتتبعه، فإذا كنتم كذلك فافعلوا!!<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي سببا سلفنا الصالح في حواراتهم، فقد ذُكر عن حاتم الأصم أنه قال: معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي، قالوا: وما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه، فبلغ ذلك الإمام أحمد ابن حنبل: فقال: سبحان الله! ما كان أعقله من رجل!<sup>(٣)</sup>.

وما ذاك إلا لأنه أحب أن يُظهر الله الحق على لسان أخيه، ويحاول رؤية الحق من أي وجهة كان.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي ٣٩٧/٤.

(٢) يُنظر: أبو حنيفة: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، لمحمد أبو زهرة، ص ٨٤.

(٣) انظر: الرد على المخالف، بكر أبو زيد، ص ٦٠.

## ٦- الصدق والوضوح:

الحوار القائم على الصدق والوضوح هو حوار مبارك ييسر الله تعاون أطرافه على حصول الحق والرضا به، كما أنه سبيل للتآلف والمحبة.

## ٧- العلم:

فالحوار الناجح هو حوار يضبط العلم مساره، فلا يستقيم حوار دونه، بل في غيابه يصبح ضرر الحوار أكثر من نفعه، لأن جهود المتحاورين في هذه الحال تذهب سدى وتضيع بلا ثمرة تذكر، فتبين أن طريق الوصول إلى الحق عبر الحوار هو الاتصاف بالعلم وحسن القصد، وأما الجهل فهو الطريق إلى التنازع والفرقة بين الناس.

## ٨- الالتزام بوقت محدد في الكلام:

ينبغي ألا يستأثر المتحاور بالكلام، ويستطيل في الحديث، وأغلب أسباب الإطالة في الكلام ومقاطعة أحاديث الرجال يرجع إلى إعجاب المرء بنفسه، أو حب الشهرة والثناء، ونحو ذلك.

\*\*\*



## المبحث الثاني

### الحوار وأثره في الدفاع عن النبي ﷺ

وفيه تمهيد، ومطلبان:

التمهيد:

المسألة الأولى: منزلة النبي ﷺ وأبرز حقوقه علينا.

أرسل الله نبينا محمداً ﷺ إلى البشرية جميعاً، فهدى به من الضلالة، وعلم به بعد الجهالة، وبصر به بعد العمى، وأنقذ به من النار، لقد بلغ النبي ﷺ أسمى الرتب، ونال أرفع الدرجات والمنازل، فقد نال منزلة النبوة، وهي منزلة عظيمة، وشرف كبير، وقرن الله ﷻ اسمه ﷺ باسمه في الشهادتين، وأرسله الله إلى كل الثقلين الإنس والجن، بشر به الأنبياء قبله، وأخبروا بمقدمه ﷺ.

ولقد بعث الله محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وضلال من البشر، وانحراف في الفطر، وواجه ركاباً هائلاً من الجهل والانحراف والبعد عن الله، والإغراق في الوثنية. فاستطاع بفضل الله أن يخرجهم من الظلام إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة، فأحبوه وفدوه بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، واقتدوا به في كل صغيرة وكبيرة، وجعلوه نبراساً لهم يستضيئون

بنوره، ويهتدون بهديه فأصبحوا أئمة الهدى وقادة البشرية.

لقد سالم وحارب، وأقام وسافر، وباع واشترى، وأخذ وأعطى، وما عاش  
ﷺ وحده، وله من الخصائص البشرية ما يتصرف بها تصرف البشر، ولكنه في  
جانب الوحي عصمه الله وطهر قلبه، وقد لاقى صنوف الأذى، وقاسى أشد  
أنواع الظلم، وكانت العاقبة والنصر له.

ولقد جاهد النبي ﷺ في سبيل الله، وقضى عمره ووقته وجهده لإبلاغ  
دين الله، فاستحق المقام المحمود، والمنزلة الرفيعة في الدارين.

نقل الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن الحلّمي أنه قال<sup>(١)</sup>: «معلوم أن  
حقوق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق  
السادات على ممالكهم، والآباء على أولادهم؛ لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في  
الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في  
العاجلة وهدانا به، كما إذا أطعناه أدانا إلى جنات النعيم، فأية نعمة توازي هذه  
النعم؟ وأية منّة تُداني هذه المنن؟ ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على  
معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة، فأيّ رتبة تضاهي هذه الرتبة؟ وأية درجة  
تساوي في العلى هذه الدرجة؟

(١) انظر: شعب الإيمان ٢/١٩٣.



فحق علينا إذا أن نحبّه ونجلّه ونعظّمه ونهيبه أكثر من إجلال كل عبدٍ سيده، وكل ولد والدّه، وبمثل هذا نطق الكتاب، ووردت أوامر الله جل ثناؤه. قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> فأبان أن حق رسول الله ﷺ في أمته أن يكون معزراً موقراً مهيباً.

ولنبينا محمد ﷺ حقوق كثيرة، فمن أبرز حقوقه ﷺ علينا: الإيمان الصادق به ﷺ، وتصديقه فيما أتى به، قال تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ﴾<sup>(٣)</sup>، والإيمان به ﷺ هو: تصديق

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) الحديد: ٢٨.

نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله ﷺ.

ومن حقوقه ﷺ علينا: وجوب طاعته ﷺ، والحذر من معصيته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup>، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ»<sup>(٣)</sup>.

ومن حقوقه ﷺ علينا: اتباعه ﷺ، واتخاذة قدوة في جميع الأمور، والافتداء بهديه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فيجب السير على هديه والتزام سنته، والحذر من مخالفته.

(١) الأنفال: ٢٠.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، برقم: (٦٧١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٥).

(٤) آل عمران: ٣١.





ومن حقوقه ﷺ: تعظيم كلامه ﷺ، فلا يعارض كلامه بكلام غيره، ولا قوله بقول غيره كائناً من كان من الناس، بل لا بد أن يعرض كلام الناس على كلامه ﷺ فما وافق سنته قبل، وما عارضها رُدّ.

ومن حقوقه ﷺ: أن يفهم معنى كلامه على مراده هو ﷺ لا على مُراد غيره، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية<sup>(١)</sup>: «يجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يُقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان».

ومن حقوقه ﷺ: محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالدين، والناس أجمعين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَبِصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۖ﴾<sup>(٢)</sup>، وعن أنس رضي الله عنه

(١) انظر: شرح الطحاوية ١/٣٩٦.

(٢) التوبة: ٢٤.

قال: قال النبي ﷺ: « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن من وفقه الله تعالى لذلك لا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإله وأنت تُظهر حُبَّه \* هذا لَعَمْرِي في القياسِ بديعُ  
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطعته \* إن المحبَّ لمن يُحِبُّ مُطِيعٌ<sup>(٢)</sup>  
وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ، واتباع سنته، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر.

ومن حقوقه ﷺ: الصلاة عليه ﷺ، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم: (١٤)، ومسلم في صحيحه، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، برقم: (٤٤).

(٢) هذا البيت للشاعر: محمد الوراق، انظر: الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، ٤/٢.

(٣) الأحزاب: ٥٦.



وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>، ومن مواطن الصلاة على النبي ﷺ: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم وقبل تفرقهم، وغيرها.

ومع هذا كله فيجب إنزال النبي ﷺ مكانته بلا غلو ولا تقصير، فلا يعطى خصائص الإلهية، فمحمد ﷺ عبد الله ورسوله، يقول النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبدُ الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>، فهو عبد لا يُعبد، ونبي لا يكذب، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، فصلوات الله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم: (٣٨٤)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، برقم: (٣٢٦١)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسلامه عليه، وذكر هذه الحقوق بإيجاز للتدليل على هذه المكانة العالية، والمنزلة التي منحها الله نبينا وقدوتنا وحبيبنا محمداً ﷺ، نسأل الله أن يرزقنا تحقيقها، والوفاء بحقوقه علينا، وأن يجمعنا به ﷺ في جنات النعيم.

المسألة الثانية: مناوأة النبي ﷺ من قبل الخصوم في حياته وبعد موته.

جرت سنة الله الكونية بأن الحق له أعداء، وأنهم يتعرضون لأهل الخير والصلاح، ويسعون جاهدين أن يطفئوا نور الله، ولكن كما قال الله سبحانه: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد شوّه أعداء الله دعوة الرسل ﷺ، ورموا أنبياء الله بتهم عظيمة كالسحر والكذب والجنون، وأثاروا الشبهات حول دعوتهم ﷺ ليصدوا الناس عن الدين الحق، بل بذلوا في ذلك الأموال والأنفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ<sup>٢</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْشَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي هذا المطلب سنعرض بعض الصور التي ناوأ فيها الأعداء النبي ﷺ في حياته وبعد

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) الأنفال: ٣٦.



موته، لنعلم أن ما وقع في هذا العصر سنة ماضية:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله لا: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾<sup>(١)</sup>

قال: المستهزئون هم الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بن غَيْطَل السَّهْمِيّ، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل عليه السلام فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فأراه الوليد بن المغيرة، فأوماً جبريل إلى أَكْحَلِهِ وهو عرق في اليد، فقال ﷺ: «ما صنعت شيئاً!»، فقال جبريل: «كفيتك»، ثم أراه الحارث بن غيطل السهمي، فأوماً إلى بطنه، فقال: «ما صنعت شيئاً!»، قال: «كفيتك»، ثم أراه العاص بن وائل السهمي، فأوماً إلى أَخْمَصِهِ أي: باطن رجله فقال: «ما صنعت شيئاً!»، فقال: «كفيتك»، فأما الوليد بن المغيرة فمرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أَكْحَلَهُ فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمي، وذلك أنه نزل تحت شجرة فقال: يا بني ألا تدفعون؟ إني قد قتلت! فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ هلكت بالشوك في عيني! فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث بن غيطل فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج روئهُ من فيه فمات منه،

وأما العاص بن وائل فبينما هو يمشي إذ دخلت في رجله شِيرة نبتة ذات شوك حتى امتلأت منها فمات<sup>(١)</sup>.

- ومن ذلك أن أبا لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقنَّ إلى محمد ولأؤذينه في ربه ﷺ، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد: هو يكفر بالذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال النبي ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك».

ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه فقال: يا بني ما قلت له؟ فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، قال: يا بني: والله ما آمن عليك دعاءه، فساروا حتى نزلوا بالشرارة وهي أرض كثيرة الأسد، فقال أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإنَّ هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد فشَمَّ وجوهنا فلما لم يجد ما يريد، فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع فشَمَّ وجهه ثم هزمه هزيمة ففسخ رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا يتفلت عن دعوة محمد<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٦٣، وانظر: الدر المنثور للسيوطي ١٠١/ ٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ٢٩٩.



- ومن ذلك أيضًا ما ذكره ابن كثير في تفسيره<sup>(١)</sup> من أن أبا جهل قال لقومه:  
واللات والعزى لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن على رقبتك ولأعفرن وجهك في  
التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبتك، فما جاءهم منه إلا وهو  
ينكص على عقبيه ويتقي بيديه! فقيل: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقًا من نارٍ  
وهولاً وأجنحة! فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاخطفتك الملائكة عضوًا  
عضوًا».

- ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً من قريش اجتمعوا في  
الحجر، ثم تعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف أن لو  
قد رأوا محمدًا لقد قمنا إليه مقام رجل واحد فقتلناه قبل أن نفارقه، فأقبلت ابنته  
فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي ﷺ، فقالت: هؤلاء الملاء من قومك لقد  
تعاهدوا لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل واحد إلا قد عرف  
نصيبه من دمك، فقال: «يا بنية ايتيني بوضوء»، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد،  
فلما رأوه قالوا: هاهو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم،  
فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم منهم إليه رجل، فأقبل النبي ﷺ حتى قام على  
رؤوسهم، وأخذ قبضة من التراب ثم قال: «شاهت الوجوه»، ثم حصبهم بها فما

أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصا حصاةً إلا قتل يوم بدر كافراً<sup>(١)</sup>.

- وفي الصحيحين «خبرٌ آخرٌ عجيبٌ عن رجلٍ من بني النجار كان نصرانياً فأسلم، وكان يكتبُ الوحي للنبي ﷺ، ثم إنّه نكص على عقبه فتنصّر، ولحق بأهل الكتاب، فكان يهزأ بالنبي ﷺ، ويدّعي أنه أدخل في الوحي ما ليس منه، ويقول: والله ما يدري محمدٌ إلا ما كتبتُ له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه»<sup>(٢)</sup>.

- ومن ذلك ما ذكره البيهقي<sup>(٣)</sup> قال: عن أنس رضي الله عنه قال: «مرَّ النبيُّ ﷺ على أناس بمكة فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبيٌّ؟!»

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم:

(٣٤٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، في أوله، برقم:

(٢٧٨١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في كتاب: الدر المنثور ٥/ ١٠٠.





ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحاً نتنة فلم يستطع أحد أن يدنوا منهم».

ومواقف المناوأة لرسولنا ﷺ في حياته كثيرة، ولعل ما أوردته شاهد على مدى الحقد على رسولنا ﷺ ودينه، أما بعد وفاته ﷺ فكثيرة جداً، فمن ذلك:

- ما روى ابن كثير في تاريخه<sup>(١)</sup> في أحداث سنة ٦٦٥ هجرية، أن رجلاً من أهل بصرى اسمه «أبو سلامة» كان فيه مجنون واستهتار واستهزاء بكل شيء، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة وأنه سنة النبي ﷺ، فقال: «والله لا أستاك إلا في المخرج يعني دبره»، ثم أخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو ألم البطن ثم وضع ولداً على صفة الجرذان له أربع قوائم ورأسه كرأس السمكة وله أربعة أنياب بارزة وذنب طويل، ولما وضعه صاح هذا الحيوان ثلاث صيحات فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأس الحيوان فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه هذا المسخ يومين ومات في الثالث وهو يقول: «هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي».

- وذكر القاضي عياض<sup>(٢)</sup> قصة عجيبة لساخر بالنبي ﷺ، وذلك أن

(١) ٢٤٩/١٣.

(٢) في كتابه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢/٢١٨.

فقهاء القيروان وأصحاب سُحُنُون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ، فأمر القاضي يحيى بن عمر بقتله وصلبه، فطُعن بالسكين وصُلب مُنكساً، وحكى بعض المؤرخين أنه لما رُفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آيةً للجميع، وكبر الناس، وجاء كلبٌ فولغ في دمه.

والمسيرة تستمر، والله ﷻ حامٍ نبيه ﷺ.

ومن المناوأة للنبي ﷺ في الآونة الأخيرة ما قامت به بعض الصحف الأوروبية في بعض تلك الدول من نشر صور مسيئةً لنبينا الكريم ﷺ، ولا شك أن هذا استمرار لمناوأة هذا الدين الحنيف، ولكن الله حافظ دينه، وناصر نبيه، ومعلٍ كلمته ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

المسألة الثالثة: سنة الله ﷻ فيمن وقع في عرض النبي ﷺ.

جعل الله ﷻ لنبيه ﷺ مكانة عظيمة بين العباد، ومنزلة رفيعة في شريعة الإسلام، ولا يخالف في ذلك أحد، فتعظيمه ﷺ وتوقيره جزء من عقيدة الإسلام، وركن من أركانه العظام؛ فهو رسول الله إلى الناس أجمعين، وهو خاتم



الأنبياء والمرسلين.

وإن المتأمل لأحوال الشائنين للنبي ﷺ، وسنة الله ﷻ في عقوبتهم في الدنيا ليدرك أن سنة الله في هؤلاء أن يعاقبهم عقابًا شديدًا، في الحياة الدنيا قبل الآخرة، وما مر ذكره في المبحث السابق<sup>(١)</sup> شاهد على هذا، قال ابن تيمية رحمه الله<sup>(٢)</sup>: «ومن سنة الله أن من لم يتمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله، فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه...، وكل من شأنه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره».

وقال<sup>(٣)</sup>: «وقد ذكرنا ما جرّبه المسلمون من تعجيل الانتقام من الكفار إذا تعرّضوا لسب رسول الله ﷺ، وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعددة، وهذا باب واسع لا يُحاطُ به».

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي<sup>(٤)</sup>: «ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة».

(١) انظر: ص (٢٣-٢٧).

(٢) في كتابه: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ: ص ١٤٤.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) في كتابه: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٣٥.

وصور كفاية الله ﷻ وحمايته لنبيه ﷺ متنوعة متعددة، وليست مقصورةً على إهلاكِ هذا المعتدي بقارعةٍ أو نازلةٍ، فقد يكفيه الله ﷻ بأن يسلطَ على هذا المستهزئِ المعتدي رجلاً من المؤمنين يثأرُ لنبيه ﷺ، كما حصل في قصة كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يهجو النبي ﷺ، واليهودية التي كانت تشتمُ النبي ﷺ فخنقها رجلٌ حتى ماتت، وأمّ الولد التي قتلها سيدها الأعمى لما شتمت النبي ﷺ، وأبي جهلٍ إذ قتله معاذٌ ومعوذٌ لأنه كان يسبُّ رسول الله ﷺ، والخطمية التي هجت النبي ﷺ فانتدب لها رجلٌ من قومها، وأبي عَفْكٍ اليهودي الذي هجا النبي ﷺ فاقتصه سالم بن عمير، وأنس بن رُئيم الذي هجا النبي ﷺ فشجّه غلامٌ من خزاعة، وسلام ابن أبي الحقيق إذ ثار للنبي ﷺ منه عبدالله بن عتيك وصحبه<sup>(١)</sup>.

ولعل أغربَ ما وقفتُ عليه في هذا الباب وأعجبه وأطرفه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال<sup>(٢)</sup>: «وقد ذكروا أن الجنّ الذين آمنوا به، كانت تقصد من سبّه من الجنّ الكفار فتقتله، فيقرها على ذلك، ويشكر لها ذلك، ونقل عن أصحاب المغازي أن هاتفاً هتف على جبل أبي قبيسٍ بشعرٍ فيه تعريضٌ بالنبي

(١) انظر: الصارم المسلول - مرجع سابق - : ٩٥-١٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٣٤.



ﷺ، فما مرت ثلاثة أيام حتى هتف هاتف على الجبل يقول:

نحن قتلنا في ثلاثٍ مسعرا \* إذ سَفَّه الحقَّ وسَنَّ المنكرا  
قَتَعْتُهُ سِيفاً حَساماً مَبْتَرًا \* بِشْتَمِهِ نَبِيَّنَا الْمُطَهَّرَا  
ومسعرٌ كما في الخبر اسمُ الجنِّي الذي هجا النبي ﷺ.

وقد تكفل الله سبحانه بصيانة عرض النبي ﷺ والانتقام له فقال:  
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾،  
وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا ترون كيف يصرف الله عني  
شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد» (٢). والله ﷻ  
بَيِّنَ أن مبغض النبي ﷺ هو الأقطع الخاسر الذليل، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ  
شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٣).

يقول شيخ الإسلام: «وإنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسبَّه، ومُظْهِرٌ  
لِدِينِهِ وَلِكَذِبِ الْكَاذِبِ إِذَا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد. ونظير هذا ما

(١) الحجر: ٩٤-٩٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أساء رسول الله ﷺ، برقم:  
(٣٣٤٠).

(٣) الكوثر: ٣.

حَدَّثَنَا أَعْدَادُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْعُدُولِ، أَهْلُ الْفَقْهِ وَالْخَبْرَةِ، عَمَّا جَرَّبُوهُ مَرَاتٍ  
مُتَعَدِّدَةٍ فِي حَصْرِ الْحَصُونِ وَالْمَدَائِنِ الَّتِي بِالسَّوَاخِلِ الشَّامِيَةِ، لَمَّا حَصَرَ الْمُسْلِمُونَ  
فِيهَا بَنِي الْأَصْفَرِ فِي زَمَانِنَا، قَالُوا: كُنَّا نَحْنُ نَحْصُرُ الْحِصْنَ أَوِ الْمَدِينَةَ الشَّهْرَ أَوْ  
أَكْثَرَ مِنَ الشَّهْرِ وَهُوَ مَمْتَنِعٌ عَلَيْنَا حَتَّى نَكَادُ نَيَأْسُ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا تَعَرَّضَ أَهْلُهُ لِسَبِّ  
رَسُولِ اللَّهِ وَالْوَقِيعَةِ فِي عَرْضِهِ تَعَجَّلْنَا فَتَحَهُ وَتَيَسَّرَ، وَلَمْ يَكْدِ يَتَأَخَّرْ إِلَّا يَوْمًا أَوْ  
يَوْمَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَفْتَحُ الْمَكَانَ عَنُودَ، وَيَكُونُ فِيهِمْ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالُوا:  
حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَتَّبَاشِرُ بِتَعْجِيلِ الْفَتْحِ إِذَا سَمِعْنَاهُمْ يَقْعُونَ فِيهِ، مَعَ امْتِلَاءِ الْقُلُوبِ  
غَيْظًا عَلَيْهِمْ بِمَا قَالُوا فِيهِ، وَهَكَذَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا الثَّقَاتِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ  
أَهْلِ الْغَرْبِ -يَعْنِي: الْمَغْرِبِ- حَالَهُمْ مَعَ النَّصَارَى كَذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الصارم المسلول ١١٦-١١٧.



المطلب الأول: وجوب الدفاع عن النبي ﷺ .

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الدفاع عن شخصه الكريم ﷺ :

إن من حق النبي ﷺ علينا أن نحبه ونجمله ونبجله ونعظمه، وأن نذب عنه كيد الكائدين ومكر الماكرين، كما قال حسان بن ثابت ؓ :

فإن أبي ووالده وعرضي \* لعرض محمد منكم وقاء<sup>(١)</sup>  
وإن الدفاع عن النبي ﷺ واجب شرعي وفرض عين على كل مسلم، وهذا ما استقر في أذهان الصحابة ؓ، فكانوا يفتدون رسول الله ﷺ بآبائهم وأمهاتهم، تطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ<sup>٢</sup> وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ<sup>(٣)</sup> .

ويؤكد هذا المعنى حديث أنس بن مالك ؓ قال: قال ﷺ: «والله لا

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، برقم:

(٢٤٩٠).

(٢) التوبة: ٢٤.

يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

وقد أجمع العلماء على أن من سب النبي ﷺ من المسلمين فهو كافر مرتد يجب قتله، وهذا الإجماع قد حكاه غير واحد من أهل العلم كالإمام إسحاق بن راهويه وابن المنذر والقاضي عياض والخطابي وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

وهو إجماع على كفر العمل، أما تكفير المعين فله ضوابطه المعلومة في كتب العلماء، وهذا دليل على وجوب الدفاع عن الرسول ﷺ بالنفس والمال والأهل، ووجوب مدافعة من وقع في عرض النبي ﷺ، والذب عن عرضه إذا تعرض له سفيه، وهذا هو مقتضى محبته ﷺ وتعظيم شأنه وقدره، وهو واجب على كل مسلم، ولا يتصور أن يوجد مسلم يحب الرسول ﷺ بحق وصدق ثم لا يهتّب لنصرته والذب عن عرضه الشريف كما كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون.

يقول شيخ الإسلام: «التعزير: هو اسم جامع لنصره وتأنيده ومنعه من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم: (١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، برقم: (٤٤).

(٢) انظر: الصارم المسلول ٢/ ١٣-١٦.





كل ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج عنه عن حد الوقار<sup>(١)</sup>.

وأما سائبه ومؤذيه والمستهزئ به فهو في أحط منزلة وأخس مرتبة، فإن كان مسلماً فإنه يصبح مرتداً بإجماع أهل العلم كما سبق، وإن كان معاهداً أو ذمياً أو مستأمناً فإن عهده منتقض، ويستحق أن يضرب الإمام عنقه بالسيف انتصاراً لرسول الإسلام ونبي الأنعام، كيف لا والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول جل شأنه: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الصارم المسلول ١/ ٤٢٥.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) التوبة: ٦١.

(٤) التوبة: ١٢.

## المسألة الثانية: الدفاع عن دينه وشريعته وسنته ﷺ:

لقد أنعم الله علينا بشريعة كاملة، مبرأة من كل نقص، مطهرة من كل دنس، مؤسسة على العدل والحكمة، والمصلحة والرحمة، وإن الناس بغير شريعة الإسلام يعيشون عيشة نكدة، كيف لا والله لأقال: ﴿وَمَنْ يُنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الحياة التي تكرم الإنسان إنما هي الحياة في ظل شريعة الإسلام، ولا عز ولا شرف إلا بالتمسك بها، والعمل بمبادئها، والوقوف عند حدودها، وإن لهذه الشريعة أعداء، لا يألون جهداً في زعزعة ثوابتها، وخلخلة أصولها، والتشكيك في مسلماتها. وإن الدفاع عن هذه الشريعة، ورد شبه المفترين، والقيام بواجب الإنذار، والحسبة والإنكار، والتبليغ والبيان؛ واجب على جميع المسلمين، كل على حسب علمه وطاقته واستطاعته، ويتأكد ذلك في حق العلماء والفقهاء، وأهل الحل والعقد والقضاء والإفتاء، وإنها تبعة ثقيلة، لا بد من القيام بها، ليحفظ الدين، ويحمى من التغيير، وإن واجبنا نحن المسلمين أن ندافع عن شريعة محمد ﷺ، وأن نحمية من الذين يشوهونه، وإن الواجب أيضاً الوقوف أمام التحديات التي تواجهنا وننال من ديننا.



وإنّ من اللازم أيضًا سدّ الباب أمام كلّ من يريد الاصطياد في الماء العكر من أصحاب الاتجاهات المنحرفة والمسالك الضّالة والمشارب المشبوهة التي تحرّص على صرف المسلمين عن المنهج الصحيح، والمعتقد السليم بشبه يلبس بها، وتستند إلى بعض النصوص بفهم مخالف لما عليه علماء الإسلام، والإسلام أصبح يُتهم من الأعداء الحاقدين بما هو منه براء، كلّ ذلك للصدّ عن سبيل الله، ولإبعاد البشرية عن منهجه الوضّاء.

ولذا فأبناء العالم الإسلامي مطالبون بتصحيح المسارات التي يتّخذها الآخرون سبيلاً لتشويه صورة الإسلام النقيّة، وابتغيها الحاقدون سلماً لطمس حقائقه المضيئة عدلاً ورحمة وسماحة، وإنّ واجب المسلمين تجاه دينهم أن يشبّثوا للعالم كلّ صدق التوجّه وسلامة المقاصد وسموّ الأهداف وإظهار الإسلام الحقّ للعالم كلّ، الإسلام الذي تضمّن الرحمة بأوسع معانيها، والعدل بأدقّ تفصيلاته، والإحسان بشتّى صوره، وإصلاح الدارين بكلّ وسيلة ممكنة.

وعلى العلماء وطلاب العلم النظر لكلّ قضية تُطرح في عالمهم نظرَ تدقيق وتفهُّم وتمحيص للإفادة من الإيجابيات، واعتماد الأساليب الناجحة في التصرف تجاهها، ولن يتمّ هذا إلا بتوحيد الجهود وتنسيق المواقف في إطار فهم صحيح من الكتاب والسنة ونيّة صادقة للإصلاح، في محيطٍ وعي تامٍّ وإدراكٍ كاملٍ بعالم

يموجُ بالتَّحوُّلات وتَعْصِفُ باستقراره المتغيِّرات، عَمَلٌ مِنَ الْعِلْمَاءِ وَالْمُفَكِّرِينَ  
وَفَقَّ قَاعِدَةً مَتَمَكِّنَةً لَا يَبَادِرُهَا تَفْرِيطٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الثَّوَابِتِ، وَلَا يَخْتَرِقُهَا تَنَاوُلٌ عَنْ  
شَيْءٍ مِنَ الْخِصَائِصِ، بِذَلِكَ نَسْتَطِيعُ الدِّفَاعَ عَنْ دِينِنَا الْحَنِيفِ، وَالذَّبَّ عَنْ جَنَابِهِ،  
وَالْوُقُوفَ ضَدَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

\*\*\*

## المطلب الثاني: الدفاع عن النبي ﷺ بالحوار.

وفيه مسألتان:

### المسألة الأولى: أساليب الحوار في سنة النبي ﷺ.

السنة النبوية مليئة بالحوارات التي جسدها النبي ﷺ في معاملته صحابته على تباين طبقاتهم، واختلاف بيئاتهم، فثمة حوارات مع علماء الصحابة، ومع أفرادهم، وحوارات مع الأعراب، وحوارات مع زوجاته أمهات المؤمنين، بل حتى مع الخدم والصغار، ومن يستقرئ السنة النبوية يجدها مصدراً ثرياً بكثير من أساليب الحوار ومجالاته المتنوعة، وأهدافه المختلفة، التي لو رام باحث أن يؤلف من كل فئة منها أطروحة علمية أو بحثاً متخصصاً لأعجزه ذلك عن الوفاء بحق هذه الثروة الغنية، ولتقاصر بيانه عن حصر جوانبها، ولأن هذا البحث ينحو منحى التأصيل وذكر النماذج التي طبقها النبي ﷺ بوصفها شواهد على الفقرات السابقة، فإنني أسلط الضوء عليها، وأسعى جاهداً بالفهم الدقيق أن أصل إلى تأطير هذه النماذج، وذكر مظاهر الاستفادة منها في الدعوة إلى الله ﷻ، ونشر هذا الدين عموماً، والدفاع عن النبي ﷺ وشريعته خصوصاً، وكيف أن هذا المنهج الفريد المتميز كان له أعظم الأثر في إيصال هذه الرحمة إلى العالم، ولذا نجد أن أول من استعمله متأسين بالنبي ﷺ صحابته رضوان الله

عليهم، فقد ساروا على نهج النبي ﷺ في الحوار في حياته ﷺ، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ولعلي أستقري بعض أساليب الحوار في سنة المصطفى ﷺ، وأدعمها بالأمثلة، سائلاً المولى التوفيق، فمنها:

### ١ - أسلوب الحوار الدعوي:

وهذا الأسلوب الذي يوجّه إلى غير المسلمين من الحوارات له فائدة كبيرة تتمثل في دعوة هؤلاء المشركين إلى الإسلام، أو تبين زيف واقعهم، وحالهم في ضلالهم وغيهم، والباطل الذي يعتقدونه، ولكن بأسلوب الحوار الذي يوصل الحقائق، ويدخل إلى شغاف القلوب دون عنف أو مواجهة إلا في أضيق نطاق، ولعل من الأمثلة على ذلك قصة إسلام الصحابي الجليل: ثمامة بن أثال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ خيلاً قبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فتركه حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك. فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل



المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>، فقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الملاطفة، خصوصاً لما كان مع من يرجى إسلامه.

ومن الأسلوب الدعوي في دعوة غير المسلمين: المراسلات والمكاتبات التي كان الرسول ﷺ يوجهها إلى الملوك والرؤساء، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل ملك الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿يَتَاهَلْ أَلِكْتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، برقم: (٤١١٤).

اللَّهُ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>، وكتب ﷺ كتبًا أخرى إلى ملوك آخرين، كل هذا لنشر الإسلام، ولدعوة غير المسلمين.

## ٢- أسلوب الحوار التعليمي:

وهذا الأسلوب يكون بين المعلم الأول ﷺ وبين الصحابة رضي الله عنهم، ويكون القصد منه تعليمهم وإفادتهم في أمور دينهم، فالقصد منه أن يخرج منه الآخر بعلم يفيد، ومن أمثلة تلك الحوارات ما دار بين النبي ﷺ وبين الصحابة رضي الله عنهم حينما سأله عن كيفية الصلاة عليه، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ، فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألتنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران، برقم: (٤٢٧٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، برقم: (٤٧٠٧).





إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»<sup>(١)</sup>، فهذا الحوار دار بين النبي ﷺ والصحابة، والمقصد منه التعليم.

### ٣- أسلوب الحوار القصصي:

وهو الحوار الذي يستخدم فيه النبي ﷺ القصة لإيصال فكرة معينة إلى المتلقي، وعادة ما تكون القصة من قصص السابقين، مثل: «قصة الأبرص والأقرع والأعمى، التي ضربها النبي ﷺ مثلاً لأصحابه»<sup>(٢)</sup>.

### ٤- أسلوب الحوار الاستشاري:

وهو الحوار الذي يعتمد على استشارة الصحابة فيما يهمهم، والأخذ برأيهم، ويمكن أن يمثل لهذا الأسلوب من الحوارات باستشارة المصطفى ﷺ للصحابة في غزوة بدر، فقد «أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَرْفُؤُنَ﴾ [الصفات:

٩٤]، النسلان في المشي برقم: (٣٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أبرص وأعمى وأقرع في بني

إسرائيل، برقم: (٣٤٦٤).

الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله ﷻ نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ «خيراً»، ودعا له، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس -وإنما يريد الأنصار-، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة» قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، قال: فقد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا، على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا



عدونا غداً، إنا لَصَبْرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»<sup>(١)</sup>، وغيرها من استشارات النبي ﷺ الحوارية.

٥ - أسلوب الحوار الذي يدور بين السؤال والجواب لإيصال حقيقة أو

تشبيه بواقع محسوس:

وذلك يأتي عن طريق الأسئلة القصيرة التي يصل بها المحاور إلى نتيجة مرضية، مثل: حديث الرجل الذي أراد أن ينفي ولده، فقال له الرسول الكريم ﷺ: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: مُحَرٌّ، قال: «هل فيها من أورك» قال: نعم، قال: «فأنى ذلك؟» قال: لعله نزعه عرق، قال: «فلعل ابنك هذا نزعه عرق»<sup>(٢)</sup>. إلى غير ذلك من أساليب الحوار في السنة النبوية، والمقصود استخدام مثل هذه الأساليب النبوية للوصول إلى طريق الفهم والمعرفة، ومحاولة الإقناع بالتي هي أحسن كي يكون أدعى للقبول والرضا.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٢٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، برقم: (٤٩٩٩)،

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن المتأمل للأساليب الحوارية التي سبق بيانها، والتي استخرجت من سنة المصطفى ﷺ ليجد أنها أنجع أساليب الحوار للدفاع عن النبي ﷺ، كاستخدام أسلوب الحوار الدعوي لدعوة من جهل حقيقة دعوة النبي ﷺ، وكاستخدام أسلوب الحوار التعليمي مثلاً لتعليم الناس ما يجهلونه، واستخدام أسلوب البرهاني الحججي على إثبات صدق نبوة محمد ﷺ، أو على إبراز موقف من مواقفه للعامة، وغير ذلك.

وذكر ذلك للتمثيل فقط، وإلا لو سبرنا أساليب الحوارات لوجدنا أن ذلك يختلف باختلاف المخاطبين، وباختلاف الزمان، ولكن للحوارات النبوية على اختلافها استعمال واسع للتطبيق في كل ما يستجد من أحداث، والمهم في هذا الأمر هو تجسيد مفهوم الحوار وثقافته وتطبيقه حسب حال الشخص.

### المسألة الثانية: أثر الحوار في الدفاع عن النبي ﷺ.

دين الإسلام دين السماحة والرفق، ودين الأمن والأمان والرحمة للبشرية كلها في كل زمان ومكان، والله تعالى يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، والإسلام يحارب العنف والشدّة، ويدعو إلى السلم والسلام،

(١) الأنبياء: ١٠٧.



ودين الإسلام وسط بين الإفراط والتفريط؛ ذلك أن الإسلام جاء منظماً لمصالح العباد، فقد أتمه الله تعالى وجعله كاملاً، وضمّنه تحصيل كل مصلحة، والنهي عن كل مفسدة، فلا جرم أن كان هذا الدين هو الدين الذي فطر الله العباد على استحسانه، والميل إليه، فالنفوس تنجذب إليه، وتتقبله بحكم الفطرة والغريزة، ﴿فَظَرَّتْ أَلَلَهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّهَا﴾<sup>(١)</sup>. ورسول الإسلام محمد ﷺ جبله الله على خصائص وخالل من سمع بها آمن به، «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك فسنة الله أن جعل لهذا الدين أعداء، وجعل الصراع بين الحق والباطل مستمراً إلى قيام الساعة، ولكن هذه السنة كانت في حياة رسولنا ﷺ، فكيف دعاهم وكيف حاورهم؟ هل تم ذلك بالعنف والإقضاء، أم أنه بخلاف ذلك؟

لقد دعا الإسلام إلى استعمال الرحمة في شؤون المسلم كلها، وترك العنف والشدّة، ومن ذلك معاملة المخالف حتى ولو كان عدوّاً، ﴿وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَتَائُنَ

(١) الروم: ٣٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، برقم: (١٥٣)، من حديث أبي هريرة ؓ.

قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا<sup>(١)</sup>، فالعنف لا يجلب إلا الشر، يقول النبي ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(٢)</sup>، وإن المتأمل لواقع المسلمين يجد أن أنجع علاج وأجل حل لبيان الحق في جناب النبي ﷺ لا يكون بالشدة والقسوة، والأفعال الشنيعة، ولكن بالحوار الناجح الفعال، الذي يعتمد على تأصيل علمي، واحترام للآخر، والحرص على إيضاح الحق والانتصار له، وبيانه جلياً واضحاً، والحرص على الانضباط بضوابط الحوار التي سبق بيانها، ومن ثم تحصل الفائدة التي ترجى، ويتضح الحق، ويزول الإشكال باتضاح المقال.

والحق أن الحديث عن الحوار يبقى محدود الفائدة والأثر ما لم يقترن ببيان الآثار العظيمة، والفوائد الجمّة، والنتائج المبهرة في الأغراض والأهداف التي يكون الحوار سبيلاً للوصول إليها، ومن هنا فإن وقفة مع هذه الآثار تميز هذه الجوانب التأصيلية، وتخرجها إلى الواقع الملموس، ويمكننا التمييز بين أنواع من الآثار في مجال الدفاع عن النبي ﷺ وبيانها على النحو الآتي:

(١) المائدة: ٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم:

(٢٥٩٤)، من حديث عائشة ؓ.



أ- آثار الحوار على الدفاع عن شريعة النبي ﷺ عموماً: وهو جانب من الآثار العامة التي ينتجها استعمال هذا الأسلوب في الدعوة إلى هذا الدين، ونشر مبادئه وثوابته، وهدايته ورحمته للناس أجمعين، ويندرج في هذا دعوة المسلم وغير المسلم، وذلك بالنظر إلى أن الدفاع عن الشريعة يكون بالإيجاب، وذلك ببيان الدين ومحاسنه وشرائعه، ويكون بالدفاع عنه، وكل ذلك دفاع عن صاحب الرسالة ومبلغ الشريعة صلوات الله وسلامه عليه، وأبرز الآثار في هذا ما يأتي:

١ - هناك غاية بعيدة ومهمة، بل هي الغاية الكبرى، وتتنظم مجموعة من الغايات القريبة التي يمكن تفصيلها، إنها إيصال رحمة الإسلام ورسالته إلى العالم بصورته الغضة الطرية، وسمته وميزته الوسطية التي تحقق السعادة للبشرية بعيداً عن المفهومات المغلوطة، أو الآراء الضالة المضلة، وإنما كما قال النبي ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup>، ليشرف من يسهم في ذلك بكونه يقوم

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم: (٤٦٠٩)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم: (٢٦٧٦)، من حديث =

بمهمة الأنبياء والرسل.

ويندرج في هذه الغاية البعيدة غايات قريبة تكون وسيلة إلى الغاية الكبرى وجزءاً من أهدافها، ومنها:

٢- الوصول إلى الحق، سواء بيانه إن كان مجملاً، أو بإيضاحه إن كان مشكلاً، أو بترجيح أحد آراء الخلاف المطروح بالأدلة، وتضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر فيه من خلال أسلوب الحوار.

٣- تحقيق مقاصد الإسلام وأهدافه وغاياته النبيلة في صورته الشمولية، وكذا في أحكامه وتشريعاته عقيدة وعبادة ومعاملة وسلوكاً.

٤- الاجتماع والألفة والوحدة، والبعد عن التفرق المذموم، والاختلاف المحرم، أخذاً بالتوجيه القرآني: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup>، ويقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٢)</sup>.

=العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال عنه الشيخ الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٦٠٧).

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم: (٦٧٥١)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.





٥- الوصول إلى الآخرين ومواصلتهم بالأسلوب الذي يملك القلوب، ويؤثر عليها ويوصل إلى القناعة، ولا شك أن هذا هدف رئيس؛ لأن به تتحقق الغاية الكبرى التي سبقت الإشارة إليها، فالنبي ﷺ أمرنا بكل ما يجمع ويؤلف، ويستجلب المودة، ويستبقيها، ولذلك أمرنا بالسلام، «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»<sup>(١)</sup>، وأمرنا بالهدية لأنها طريق المحبة «تهادوا تحابوا»<sup>(٢)</sup>.

٦- ومنها ما هو وسيلة إلى الغاية السابقة وسبب رئيس فيها، وهو نشر الأخلاق الإسلامية، وإظهار سماحة الإسلام ويسره، ولا يخفى منزلة الأخلاق في الإسلام، حتى إن النبي ﷺ جعلها سبباً لمرافقته في الجنة، نسأل الله الكريم من فضله، «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً...»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم: (٢٠٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الهبات، باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس، برقم: (١١٧٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال عنه الألباني: حسن الإسناد، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، برقم: (٥٣١٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب معالي الأخلاق، برقم: (٢٠١٨)، من حديث جابر رضي الله عنه، وعلق عليه الألباني بأنه صحيح الإسناد.

وبين عليه الصلاة والسلام أن الرجل يدرك بخلقه درجة الصائم القائم<sup>(١)</sup>، والحوار يمثل خلقاً قولياً وفعلياً، أما كونه قولياً فهو من القول الحسن الذي أمر الله به في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(٢)</sup>، وأما كونه فعلياً فهو لا يصدر إلا ممن حسنت أخلاقهم، وتهذبت طباعهم، وسمت نفوسهم، وارتقت أساليبهم إلى هذه الصورة المثالية، والمهارة الأدبية.

٧- ومن الآثار المهمة التي تكون قريبة وبعيدة: أن هذا الأسلوب وسيلة لتكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم، والعلاقات شأن طبعي إنساني غريزي لا غنى لأي مجتمع عنه، ثم هي وسيلة لتحقيق المصالح للأطراف التي ترتبط بهذه العلاقات، سواء في ذلك العلاقات بين الأفراد، التي تمثل صورة من صور العلاقات التي فرضت نفسها في واقع اليوم، فأظهرت التقنية وشبكات الاتصال ووسائل الإعلام أنماطاً من صور العلاقات التي يمثلها الأشخاص، أم العلاقات على مستوى الوحدات السياسية، وغايتها السلم والسلام، والأمن والأمان، والانطلاق من القيم

(١) فقال في حديث عائشة رضي الله عنها: «إن المؤمن ليدرك بخلقه درجة الصائم القائم»، أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، برقم: (٤٨٠)، وعلق عليه شعيب الأرناؤوط فقال: حديث صحيح.

(٢) البقرة: ٨٣.



المشتركة التي تمثل أرضية لهذه العلاقات، ووسيلتها الحوار الذي يقرب وجهات النظر المتباينة، ويضيق أمر الخلافات، وإن المتدبر لكتاب الله ليلمكه العجب من هذه الآية الجامعة التي تجسد أمثل قيم التواصل والتسامح، يقول الله تعالى فيها: ﴿وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَتَائُنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾<sup>(١)</sup>، ففي هذا الجزء من الآية ينهى الله المسلمين عن الاعتداء حتى لو كان المقصود به أقواماً لهم سابقة في ذلك، فهم المبتدئون، وهم الذين صدوا عن المسجد الحرام، لكن هذا لا يُسَوِّغُ العدوان، ومع هذه الأجواء المشحونة بالعداوة يأتي التوجيه الإلهي بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، إن سياق الآية يوحي بالعموم في هذا التعاون الذي قد يكون مع هذا المخالف الذي سبق منه ما سبق، لكن إن كان ثمة وسيلة للسلام والتقارب والتعاون والتحاور فهو مطلب شرعي للوصول إلى هذه الصورة المثالية من السلم والسلام.

٨- إظهار قوة المسلمين وعزتهم، وثباتهم على الحق، وترابطهم، وهي مقاصد مرعية تعد دعوة بلسان الحال إلى هذا الدين، وتبرز أثر التمسك بهذا الدين بروحه وبوسطيته على أوضاع الأمة الإسلامية ومجتمعاتهم.

(١) المائدة: ٢.

(٢) المائدة: ٢.

٩ - إظهار قوة الحجة، وأصالة المنهج، ومبادئ الحق، وهذه الآثار تعود مصلحتها لغير المسلمين ليعودوا إلى الحق، ويراجعوا أنفسهم، وتعود إلى المسلمين ليزدادوا إيماناً وثباتاً على دينهم.

١٠ - بيان الباطل الذي عليه الخصم بالحكمة، والرد على الشبهات وإظهار الخطأ أو الباطل على حقيقته ليحذره الآخرون.

١١ - ومن الآثار فيما يتعلق بدعوة المسلمين: معالجة التقصير والخطأ والمعصية والذنوب بأيسر طريق وأقصر خطوة، وأعمق أثر، حيث إن هذا الأسلوب يؤدي إلى الشعور بالذنوب، والندم عليه، والبحث عن العلاج، والقناعة بالقرار الذي يتخذه التائب.

١٢ - ومنها: أنه طريق للقبول الذي يضعه الله للداعي إلى سبيله، والقائم على نشر دينه، لأن الحوار من الحكمة والخلق، والخلق الحسن سبيل الإصلاح وكسب المشاعر، والمحبة، وإذا أحب الناس عبداً فهو دليل على ما وضعه الله من قبول له في الأرض: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى =



هذه جملة من الآثار العامة التي تصب في خدمة الدين والدفاع عن شريعة النبي ﷺ، وسبق لنا أن الدفاع عن شريعته دفاع عن مبلّغها رسول الله ﷺ.

ب- آثار الحوار في الدفاع عن النبي ﷺ خصوصاً: أي: عن شخصه الكريم، وذاته الموقرة، وما من شك أن الآثار العامة التي سبق التعرض لها جزء كبير منها يتحقق فيما إذا كان الحوار وسيلة للدفاع عن شخص النبي ﷺ حينما يناوئه الأعداء، ولكن ثمة آثار خاصة، فمنها:

١- نصره النبي ﷺ والانتصار له، والدفاع عنه والذب عن عرضه بالأسلوب الذي تتحقق به هذه المصالح دون أن يترتب عليها مفسد، أو ينتج عنها ردود أفعال تكون في حجمها أعظم مما يتوقعه المدافع من إيجابيات، وبيان ذلك: أن وقوع الأعداء في عرضه سنة ماضية، ودأب الهالكين الشائنين، والله قد أخبرنا أن من شأنه فهو الأبر، وأنه سيكفي رسوله ﷺ المستهزئين الشائنين سواء في حياته ﷺ أو بعد مماته، والمطلوب منا أن نغتنم هذه الفرصة، ونرى في طياتها المنحة، ونستغلها لإبراز أخلاق الرسول ﷺ وشمائله، وما جبله الله عليه، ومعجزاته وسيرته العطرة، وأن نقدمها للناس في ظل هذه الأجواء المشحونة بالعداوة بأسلوب الحوار، لتحصل النصر، لا بالتشنج والمصادمة،

=عباده، برقم: (٦٨٧٣)، من حديث أبي هريرة ؓ.

والعنف والمواجهة، وإنما بما جاء به من رحمة وهداية وخلق عظيم تجعل السامع والقارئ يدرك هذه الحقائق، بل وتنقلب عداوته ومواقفه إلى إيجابية، ولعل هذا من حكمة الله في تسليط هؤلاء الأعداء، ووقوعهم في عرضه، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا أراد الله نَشْرَ فَضِيلَةٍ \* طُوِيَتْ أَتْحَ لَهَا لِسَانٌ حَسُودٍ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ \* مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ<sup>(٢)</sup>  
٢- ومنها: ضبط النفس والعقل والمسار والتوجه فيما يتعلق بالدفاع عن النبي ﷺ، وتجسيد موقف النبي ﷺ من اعتدى عليه، فلقد كان من هديه ﷺ أنه ما انتقم لنفسه قط، تقول عنه زوجه عائشة ؓ: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»<sup>(٣)</sup>.

٣- التحكم في العواطف والمشاعر والأحاسيس، لأن الحوار هدوء وتعقل وحكمة، والحكمة سبيل التبين فيما يصدر حتى لا تتحول العواطف إلى

(١) البقرة: ٢١٦.

(٢) البيتان لأبي تمام، انظر: ديوان أبي تمام ١/ ٢٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم: (٣٣٦٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباحثته ﷺ للأثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، برقم: (٦١٩٠).



عواطف هو جاء، فالحوار من أجل الدفاع عن النبي ﷺ تعرض فيه سيرة النبي ﷺ وما جاء به، من غير زيادة ولا تزيد، بل بالنص الذي ثبت ونقله العدول الثقات، وبذلك يتم المقصود بالأسلوب الهادئ الأمثل.

٤- وكما يحصل التحكم في العواطف والمشاعر يقف المسلم في صورة عرض الإسلام والدعوة إليه عند هدف هذه الدعوة، وهو تحبيب هذا الدين إلى الآخرين، وإظهار سماحته، وإبراز محاسنه، ومراعاة هذه المصالح دون مفساد، فإن قَبِلَهُ المدعوون وإلا فقد قامت الحجة، ومع ذلك سيكون الموقف إيجابياً في استمرار العلاقة، وتخفيف حدة المواجهة وضغوطات الموقف، وتحقيق المصالح المتبادلة، واستمرار عرض هذا الدين، والدفاع عن النبي ﷺ، والحق أبلغ، وعرضه مع الصبر والحكمة والسكينة والهدوء مدعاة لقبوله، أو على الأقل الكف عن الهجوم والاستعداد، وهذا هو مقتضى دلالة النصوص القرآنية، وما ثبت في السنة النبوية، فالله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(١)</sup>، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين

بسبب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو<sup>(١)</sup>، فهو لاء يدعون من دون الله، وهو أعظم اعتداء في حق الله أن يُصَرَفَ ما هو حق لله لغيره، ومع ذلك تُهيننا عن مسبتهم استجلاباً لمصلحة تأليفهم ودعوتهم، ودرءاً لمفسدة أعظم في تحريك المشاعر المعادية المانعة من القبول، وإذا تحققت هذه المصالح واندفعت المفاسد أمكن بذلك إيصال هذا الدين دون إكراه كما هو التوجيه القرآني ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ<sup>(٢)</sup>﴾، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ<sup>ط</sup> فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ<sup>(٣)</sup>﴾، وقوله جل شأنه لرسوله ﷺ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ<sup>(٤)</sup>﴾.

٥- ومن فوائد الحوار في شأن الدفاع عن النبي ﷺ خاصة: استعمال القواسم المشتركة، ومواطن الاتفاق في الرسائل السماوية، وأن هذه الرسالة الخاتمة التي اختار الله لها محمداً ﷺ أنزلها الله مهيمنة على الكتب السابقة، مشتملة على ما فيها من المصالح بصورة أبلغ، وأشمل وأكمل، ناهية عما تضمنته المفاسد بصورة أكمل، وهذه العلاقة يؤكدتها اتفاق الأديان السماوية في جوانب

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٣١٤.

(٢) البقرة: ٢٦٥.

(٣) الكهف: ٢٩.

(٤) يونس: ٩٩.





تكون منطلقاً للدفاع عن النبي ﷺ، فالله تعالى أوجب الإيمان إجمالاً بالرسول السابقين وما أنزل عليهم، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَلِكِتَيبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَلِكِتَيبِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ<sup>(١)</sup>﴾، ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ ءَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرَسُولِهِ لَا تُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ<sup>(٢)</sup>﴾، وبين الله تعالى أن رسالة الرسول ﷺ مهيمنة على الرسالات السابقة ناسخة لها، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَيبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِّنَ الْكِتَيبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>﴾، فهذا القدر المشترك الذي يعقل بالحوار يؤدي إلى أداء حقوق النبي ﷺ وتوقيره ومعرفة حقه من الخصوم بصورة أبلغ وأشمل، وهو المنهج الذي أمرنا به بعيداً عما يسلكه بعض الغلاة ومن ليس لديهم فقه ولا بصيرة إما عن غيرة، أو حماس غير منضبط، أو لأي دافع، يقع لدى بعض أولئك الخلط بين الغيرة المنضبطة والغضب لله ولرسوله ﷺ، وما ينبغي سلوكه لمقاومة الاعتداءات والتصرف تجاه القضايا المختلفة.

٦- ومن آثار الحوار في هذا الشأن الخاص أنه ينظر إليه بمنظار آخر،

(١) النساء: ١٣٦.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) المائدة: ٤٨.

وذلك أن اعتماده أسلوباً يؤدي إلى إبراز مكانة النبي ﷺ وشخصيته الفذة التي اصطفاه الله ﷻ وجعلها على أكمل الخلال وأعظم الأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، وباستحضار هذه الميزات، واستشعار هذه المنزلة يمكن التأثير بها في الآخرين، لأنها خِلالٌ تفرض نفسها، وتجعل القارئ والسامع والمتأمل تتملكه هذه الجوانب، ولا سيما أهل الكتاب الذين يجدون صفات النبي ﷺ لديهم في كتبهم، فربما أدت مناوأة شخصه صلوات الله وسلامه عليه إلى شيء من اللبس والغش، لكن إذا دوفع عنه بالحوار والمناظرة والقول الحسن أمكن التأثير بهذه الميزات التي ورد النص عليها في كتبهم كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي

(١) القلم: ٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) البقرة: ١٤٦.



كَانَتْ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>.

أما الآثار التي تنعكس على المُحَاوِر والمُحَاوَر فيمكن الوقوف على جملة منها ليعلم أننا بحاجة ماسة إلى تفعيل الحوار الهادف، ومنها:

١ - علو الهمة وسلامة القصد، وتحقيق الإخلاص بدرجة عظيمة. وبيان ذلك أن المحاورة الفاعلة المؤثرة إنما تصدر من قلب مخلص ناصح لدينه ولنبيه محمد ﷺ، تتمثل في حوارهِ الأهداف النبيلة، والغايات الحميدة، ولذلك فهو يتجرد عن الأغراض الشخصية، والأهواء والنزعات الفردية، ويسمو بعمله هذا ليكون لله وفي الله، وأداءً لحق رسول الله ﷺ.

٢ - وفي مقابل ما سبق ينتج الحوار تخليصه من الرياء المذموم الذي يفسد العمل، ويضعف أثره بل ربما يعدم الأثر المطلوب.

٣ - ويحقق الحوار للمحاور التغلب على الأهواء الشخصية كما سبق، والانتصار على شهوات النفس ومقاصدها، وقد أمرنا الله سبحانه بالعدل حتى مع النفس، وبين أن أعلى المراتب وأشرف المنازل أن يتعالى المرء على هواه، ويعدل حتى مع نفسه، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ

(١) الأعراف: ١٥٧.

شُهِدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴿... الآية<sup>(١)</sup> .

٤ - البعد عن المراء المذموم، والمحاكة بالباطل وللباطل، والاستغناء عن ذلك بالأساليب الحوارية التي تعد جدالاً بالتي هي أحسن، كما أمر الله سبحانه بذلك في قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥ - ومن الشار الحسنة والآثار الإيجابية: التخلص من آفات النفس: من الحسد والحقد والغل والبغضاء والعداوة، وهذا ظاهر لمن تأمله، وهو جزء مما سبق من الآثار.

وهذه الآثار تتحقق للطرفين المحاور والمحاور، لأن الحوار يحسن القصد، وتأثلف القلوب، وتجتمع الكلمة.

وبعد فهذه جملة من الآثار، حاولت أن أجمع أكبر قدر منها ليتبين أن الحوار إذا روعيت فيه الآداب، واتبعت فيه أمثل الأساليب الحوارية، كان له أثره المهم في القضية المعينة، وبه يندفع الإنسان إلى الإيجابية، ويرقى إلى سلم النجاح، وتكون فوائده جمّة، ويستطيع كل إنسان من خلاله إيصال الحق، وتعليم الجاهل ما خفي عليه من أمور يحتاج إليها لنجاته في الدنيا والآخرة، كما يستطيع أن

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) العنكبوت: ٤٦.



يدعو إلى الإسلام بتلك الوسيلة، وتحسين صورة الإسلام لدى من لا يعرفه.  
وبنظرة متأنية في الواقع العلمي، والهدي النبوي فيه، نجد أن نبينا وقدوتنا  
محمدًا ﷺ قد استخدم الحوار بشكل واسع، وبصور مختلفة، فكان ﷺ يذهب  
إلى الناس في نواديهم ومحافلهم وأسواقهم وبيوتهم، ويكتب إلى زعمائهم  
وحكامهم، ويستقبل وفودهم، ويدعوهم أثناء جهاده إياهم، ويناقش علماءهم  
ويطلع على كتبهم للاحتجاج عليهم، ويسمعهم القرآن ويتلوهم عليهم، وغير  
ذلك من الاستعمال الفعلي من النبي ﷺ للحوار بجميع صورته، وهذا يدعونا  
إلى الاقتداء به، واقتفاء أثره وسنته، وذلك من خلال إقامة البرهان والدليل  
القاطع على صدق الحق وصحته عليهم، والرد الصحيح على من وقع في عرضه  
أو شأه وأبغضه، أو ناوأ شريعته، وبذلك يكون الاستخدام الأمثل للحوار  
المؤصل على الكتاب والسنة، وفعل سلف الأمة ﷺ، ويتحقق معناه الناجح  
الذي يرجى أن تكون عليه حواراتنا في كل حين مع الموافق والمخالف،  
والله الموفق.

\*\*\*

## الخاتمة

في ختام هذا البحث أسجل أبرز النتائج التي ظهرت من خلاله، إضافة إلى بعض التوصيات، وقد كان الموضوع شائقاً ممتعاً، وأبرز ما انتهى إليه البحث من نتائج ما يأتي:

١- أن مفهوم الحوار يرتبط به عدة معانٍ تبينه وتوضحه، وتزيل الإشكال فيه.

٢- أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة إشارة صريحة إلى (الحوار) بصفته مصدراً، بل وردت مشتقاته وبما يقاربه من ألفاظ.

٣- أن الانضباط بضوابط الحوار الفعال يكسبه قوة التأثير، وسرعة النتائج، والقناعة المؤثرة.

٤- رفعة منزلة الحبيب ﷺ، وعلو مكانته عند الله ﷻ، وحقوقه الواجبة التي أوجبها الله علينا، من المحبة والطاعة وغيرها.

٥- المناوأة المباشرة للنبي ﷺ من قبل خصومه حياً وميتاً، وبيان أن هذا من سنة الله في الكون وهي: أن للحق أعداء.



٦- دفاع الله ﷻ عن نبيه محمد ﷺ، ويبرز ذلك من خلال إيراد بعض القصص التي وردت في ثنايا هذا البحث، وكيف عاقب الله أصحابها أشد عقوبة.

٧- أن من حقوق النبي الكريم ﷺ علينا دفاعنا عن شخصه، وتبيين الحق لمن أخطأ في حقه.

٨- أن من حق النبي ﷺ علينا الدفاع عن شريعته، وإبراز محاسنها، والذود عن ذلك بأقصى المستطاع.

٩- استخدام النبي ﷺ للحوار بشكل كبير، واستعماله في ذلك أساليب لتبيين الحق، وتقوية الحجة، وإيضاح المحجة.

١٠- تطبيق الأساليب التي استعملها النبي ﷺ في حواراته، واستخدامها في الدفاع عنه ﷺ، ورد كيد المعتدين، وأنها أنجح الأساليب وأنفعها، وأعمقها أثرًا مع السابقين واللاحقين.

١١- أن آثار الحوار وثمراته متعددة متنوعة كثيرة، تظهر أهميته ومكانته ومنزلته في بيان هذا الدين وإيصال هدايته ورحمته، وفي الدفاع عنه وعن رسولنا الكريم ﷺ، وتحقيق به مصالح عظيمة للأفراد والأمم، فهو الوسيلة المثلى لكل ما يرتبط بالعلاقة بالآخرين.

١٢- وبضدها تتبين الأشياء، فكما أن للحوار الآثار العظيمة فإن فقدان الحوار أو نقص آدابه أو ضوابطه يؤدي إلى نتائج سلبية، ويوسع هوة الخلاف، ويفضي إلى أمور تناقض مقاصد الشرع وغاياته.

والحق أن معايشة موضوع البحث أنتجت بعض التوصيات، وأهمها:

١- استعمال مثل هذه الأساليب بشكل عملي جاد، وتفعيلها في الأوساط الأكاديمية والبحثية والعلمية، فيكون ذلك ضماناً للدفاع عن حبيبنا ﷺ، وبياناً للصورة المشرقة للإسلام، ويجعل من طريقة النبي ﷺ في حواراته نبراساً يلتزمه المسلم، ويسير عليه في خطى واثقة بأن الحق سيظهر.

٢- العناية بتأليف الكتب التي تتضمن محاورات عقلية، ونشرها في المكتبات والشبكة العنكبوتية، والعناية بترجمتها وإيصالها إلى الغرب، ليحدث التغيير المنشود، ويقع الأمل الموعد -ياذن الله-.

٣- العناية بجمع الحوارات الواردة في القرآن والسنة النبوية، كل على حدة، وإبرازها في موسوعة ترتب على نمط ميسر سهل، تكون قريبة من الباحثين والمتخصصين والمعنيين بالدعوة ومجالاتها.

٤- نشر ثقافة الحوار بصورة مؤصلة، يربط فيها النشء بما ورد في سنة النبي ﷺ؛ ليكون ذلك حصانة لهم، وزاداً يتمكنون به من معاملة الموافق والمخالف.





وختامًا فإن هذه الجهود لم تكن لتؤتي ثمارها، ونرى نتائجها إلا بفضل الله  
وَعَجَّلَ أولاً وآخرًا، فهو الذي أنعم ومنّ علينا بهذه النعم العظيمة والآلاء الكبيرة  
﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، ثم الجهود المباركة والأعمال المخلصة، من  
أولئك الرجال الأفاضل، والحكام الأماجد ولادة أمرنا -أيدهم الله-، وعلى رأسهم  
ملك السلم والسلام والإنسانية خادم الحرمين الشريفين الملك / عبدالله بن  
عبد العزيز، وسمو ولي عهده الأمين الأمير / سلطان بن عبدالعزيز، وسمو النائب  
الثاني الأمير / نايف بن عبدالعزيز، حفظهم الله ذخراً وعزاً للإسلام ووطن  
الإسلام، وجعل أعمالهم في موازين حسناتهم، إنه سميع مجيب.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله  
وصحبه أجمعين.

أ. د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل

\*\*\*

## قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- (١) أبو حنيفة: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، لمحمد أبو زهرة، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧ م.
- (٢) أصول الحوار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة، الرياض، ١٤١٥ هـ.
- (٣) الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت.
- (٤) الإقناع: سالم بن سعيد جبار، الطبعة الأولى، جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٩ هـ (رسالة ماجستير).
- (٥) البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، بيروت - مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٧ م.
- (٦) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.



- (٧) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- (٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة.
- (٩) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية: خالد بن محمد المغامسي، الطبعة الخامسة، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ١٤٢٩ هـ.
- (١٠) الحوار مع أهل الكتاب: خالد القاسم، ط ١، الرياض، دار المسلم، ١٤١٤ هـ (رسالة ماجستير).
- (١١) الحوار، أدبه وضوابطه: يحيى محمد زمزمي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، دار التربية والتراث، ١٤١٤ هـ (رسالة ماجستير).
- (١٢) الدر المنثور: لعبد الرحمن بن الكمال جلال السيوطي، طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٩٣ م.
- (١٣) دلائل النبوة: للبيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- (١٤) دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري: هلال حسين فلمبان، الطبعة الأولى، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ١٤٢٩ هـ.
- (١٥) الرد على المخالف من أصول الإسلام: للشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، ١٤١٤ هـ.
- (١٦) السلسلة الصحيحة: للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

- (١٧) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، حمص، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ.
- (١٨) سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- (١٩) السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٢٠) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، طبعة المكتب الإسلامي.
- (٢١) شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السيد بسيوني زغلول، بيروت - دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ.
- (٢٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، الطبعة الأولى، دار الأرقم، ١٤٢٧ هـ.
- (٢٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الحلواني وشودري، طبعة رمادي للنشر، ودار المؤتمن، الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ.
- (٢٤) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
- (٢٥) صحيح الترغيب والترهيب: لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة الخامسة، الرياض، د.ت.
- (٢٦) صحيح مسلم: تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.



- (٢٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ.
- (٢٨) الكامل في اللغة والأدب: لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤١٧ هـ.
- (٢٩) لسان العرب: لابن منظور الإفريقي، طبعة دار الفكر - بيروت - ، ودار صادر، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ.
- (٣٠) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩ هـ.
- (٣١) المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر - دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ.
- (٣٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، لبنان - بيروت.
- (٣٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد بن فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٨ هـ.
- (٣٤) الموسوعة العربية العالمية: مستمدة من دائرة المعارف العالمية، وإضافات الباحثين العرب، صادرة عن مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.
- (٣٥) النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد بن الأثير، مكة المكرمة، دار الباز، د.ت.

\*\*\*





# الرد على شبهة تعدد أزواجه ﷺ

إعداد

د. عبد الله نومسوك

كلية العلوم الإنسانية جامعة رام خام هيانج بانكوك - تايلاند







## المقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فهذا بحث في: الردّ على شبهة تعدد أزواجه ﷺ. قدّمته للمؤتمر الدولي عن نبي الرحمة ﷺ، المقام في الرياض بتنظيم الجمعية العلمية السعودية للسنّة وعلومها وقد تحدّث في البحث عن خمس نقاط:

- (١) الشبهات التي يردّدونها ويثيرونها حول الموضوع.
- (٢) البراهين الرئيسة للردّ على الشبهة.
- (٣) حقائق ثابتة تردّ على الشبهة.
- (٤) الحكم الجليلة والأهداف السامية لتعدد زوجات النبي ﷺ.
- (٥) شبهة زواجه ﷺ بأُم المؤمنين عائشة ؓ وهي صغيرة السنّ والردّ عليها.

هذا وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وله الحمد والمنة في البدء والختام.

## أولاً

### الشبهات التي يردّدونها ويثيرونها حول الموضوع

إن الشبهات التي يردّدنها أعداء الإسلام ويثيرونها حول الموضوع<sup>(١)</sup> تتلخّص في الأمور الآتية:

أ/ ادعّاءهم أن محمداً ﷺ كان رجلاً شهوانياً، يسير وراء شهواته وملذاته، ويمشي مع هواه، لم يكتف بزواج واحدة أو بأربع كما أوجب على أتباعه، بل تزوّج العديد من النساء، إجابة لنداء الهوى، وإشباعاً للشهوة.

ب/ أن محمداً ﷺ تزوّج بأم المؤمنين عائشة ؓ وهي صغيرة، وبينهما فارق كبير في السن.

ج/ أن محمداً ﷺ تزوّج بزواج ابنه بالتبني (زيد بن حارثة)، وهو أمر غير مقبول.

\*\*\*

(١) هذه الشبهات قد أثارها أخيراً وسائل الإعلام الدنماركية في صورة رسوم متحركة.



## ثانياً

### البراهين الرئيسية للرد على هذه الشبهات

إن هذه شبهة قديمة تتكرر بين الفينة والأخرى، ولا تقوم على أساس علمي نزيه، وللرد على هذه الشبهات أبين أو لا أموراً رئيسة مهمة تُعدُّ براهين لإبطال هذه الافتراءات فيما يلي:

أ/ إن محمداً ﷺ نبيّ إنساني، تزوّج كما يتزوّج البشر، ليكون قدوة لهم في سلوك الطريق السوي، وليس هو ملكاً، أو إلهاً، أو ابن إله، كما يعتقد النصارى في نبيّهم، إنما هو بشر مثلهم، فضّله الله عليهم بالوحي والرسالة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ب/ إن تعدّد الزوجات قد وجد في الأنبياء العظام، كإبراهيم، وداود، ويعقوب، وسليمان، وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، فهذا نبي الله سليمان، روى البخاري في صحيحه أنه قال: «لأطوفنّ الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله...»<sup>(٢)</sup>، ولم يكن ﷺ بدعاً من الرسل حتى يخالف

(١) سورة الكهف آية ١١٠.

(٢) صحيح البخاري رقم الحديث ٥٢٤٢.

سنتهم، أو ينقض طريقتهم، فالرسل الكرام قد حكى القرآن الكريم عنهم، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾<sup>(١)</sup>.

ج/ إن نظام تعدد الزوجات كان في بني إسرائيل قبل أن يأتيهم نبي الله موسى، فلما جاءهم أقره، بل أوجب على الأخ إذا مات أخوه عن زوجة وليس له ولد أن يتزوجها ويضمها إليه وإن كان متزوجاً، وما أباحت التوراة فهو مباح في المسيحية ما لم يرد في الإنجيل نص يخالفه، ولم يرد في الإنجيل نص بتحريم التعدد، وقد ثبت تاريخياً أن بعض الأقدمين من المسيحيين ومن آباء الكنيسة كان لهم كثير من الزوجات<sup>(٢)</sup>. وكان الآثنيون والصينيون والبابليون والأشوريون والمصريون وغيرهم يعددون الزوجات<sup>(٣)</sup>.

د/ إن تعدد الزوجات أمر معتاد ومألوف لدى العرب في الجاهلية، وكان الناس في ذلك الوقت لا يوجد عندهم شيء اسمه تحديد عدد الزوجات، فقد كان للرجل أن يتزوج أي عدد شاء من النساء، فهذا غيلان بن سلمة الثقفي كان

(١) سورة الرعد آية ٣٨.

(٢) تعدد الزوجات في الإسلام: عبد التواب هيكل ص ٥٧.

(٣) تعدد الزوجات وأهميته للمجتمع المسلم: د. ناصر بن عقيل الطريفي، مجلة البحوث

الإسلامية، العدد ٢٥ ص ١٥٩.



متزوجا قبل الإسلام بعشر زوجات، وصحابي آخر اسمه الحارث بن قيس كان متزوجا قبل الإسلام بثماني زوجات، ولكن بعد اعتناقهم الإسلام تقيّدوا بأربعة فقط بأمر الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>، لذا فلا يوجد أحد من أعدائه ﷺ لا في مكة ولا في المدينة من المشركين والمنافقين واليهود والنصارى يثير هذه الشبهات، مع أنهم أحرص الناس على اتهامه بالباطل، حيث يجتهدون في البحث عن أيّ ثغرة يطعنون منها هذا النبي الكريم لينفض عنه أصحابه من حوله، ويعودوا إلى الكفر بعد الإيثار.

هـ/ إن الواقع التاريخي من حياة النبي ﷺ يردّ على هذه الشبهات، ويشهد بافترائها وبطلانها، سواء في حياته قبل البعثة أو بعدها، فالثابت والمشهور من سيرته الشخصية ﷺ أنه رجل مستقيم عفيف متعفف عن الفاحشة، وقد نشأ ﷺ منذ طفولته على العفة، والطهر، والأمانة، والصدق، لم يدنس عرضه، ولم يجرب عليه كذب، واشتهر في قومه بذلك حتى لقبوه بالصادق الأمين<sup>(٢)</sup>، ومع توافر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في

(١) انظر: سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع ج ١

ص ٥١٩، وانظر سنن الترمذي رقم الحديث ١١٢٨، وسنن ابن ماجه رقم الحديث ١٩٥٣.

(٢) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ١٣٩ - ١٤٠.

المجتمع الجاهلي لم يعرف عنه إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائه<sup>(١)</sup>، وقد ظلّ على هذه الصفات الحميدة من الطهر والعفة ومكارم الأخلاق طول حياته، ولا غرو فقد أدبه ربّه، فأحسن تأديبه، وخاطبه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان خُلُقُه القرآن»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٢٥ - ١٢٨.

(٢) سورة القلم آية ٤.

(٣) رواه مسلم الحديث ذو الرقم ٧٤٦.

## ثانياً

### حقائق ثابتة تردّ على هذه الشبهات

ويضاف إلى ذلك أن هناك حقائق ثابتة وبراهين ساطعة تردّ على هذه

الشبهات السقيمة وهي:

أ/ أن النبي ﷺ لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر، وأول زواجه كان من ثيب وهي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، تزوّج بها وعمره خمس وعشرون، وهي في سنّ الأربعين، وكانت قد تزوّجت قبله برجلين ولها منهما أولاد<sup>(١)</sup>، وظلّ معها خمساً وعشرين سنة لم يتزوّج عليها، إلى أن ماتت وهي في الخامسة والستين من عمرها<sup>(٢)</sup>، أي بعد أن جاوز هو ﷺ خمسين من عمره، وولّى عنه عهد الشباب الذي هو مظنة الشهوة.

فلو كان ﷺ رجلاً شهوانياً لما تزوج في فورة شبابه من ثيب تكبره بخمسة عشر عاماً، ثم لو كان رجلاً شهوانياً لتزوّج وعدّد في ريعان شبابه، ولكنه لم يتزوّج خلال هذه الفترة الطويلة إلا مرة واحدة فقط.

(١) انظر: موسوعة حياة الصحابيّات: محمد سعيد مبيض ص ٣٢٢ - ٣٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٣.

ب/ لم يعدّد النبي ﷺ الزوجات إلا بعد بلوغه سنّ الشيخوخة، أي بعد أن جاوز من العمر خمسين سنة، حيث ضعفت فيه الرغبة في النساء، وأول زوج تزوّجها بعد وفاة خديجة هي سودة بنت زمعة، وكانت كبيرة السن، بدينة الجسم ثقيلة الحركة<sup>(١)</sup>، وكانت ممن أسلم قديما، وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو، فتوفي عنها<sup>(٢)</sup>، فتزوجها ﷺ خوفا عليها من أذى المشركين من قومها وفتنتهم، ولحاجته أيضا إلى من يعينه في شؤون البيت وتربية الأبناء.

فلو كان ﷺ رجلا شهوانيا لكان باستطاعته أن يتزوّج من خيار الفتيات الأباكار، ولما تزوّج بالأرملة المسنة.

ج/ «أن النبي ﷺ لم يتزوّج إلا بكرا واحدة، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها»<sup>(٣)</sup>، فجميع أزواجه ثيبات، هنّ بين أرملة ومطلّقة، ومعظمهن من كبيرات السنّ وذوات العيال.

فلو كان ﷺ رجلا شهوانيا غارقا في لذات الجسد لما تزوّج الأراامل

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٦٩٨.

(٢) المرجع السابق ص ٦٩٧.

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٥٠٧٧.





والشيات، وترك الأبكار والفتيات، مع أنه كان يحث أصحابه على الزواج من الأبكار<sup>(١)</sup>، ولما عدّد في سنّ الشيخوخة مع تركه للتعدد في سنّ الشباب.

د/ أن النبي ﷺ قد خيّر أزواجه بين أن يفارقهنّ، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهنّ عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهنّ عند الله في ذلك الثواب الجزيل<sup>(٢)</sup>، فاخترن رضي الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة<sup>(٣)</sup>، ورضين بأن يبقين معه على حياة الفقر والفاقة والكفاف والتقصّف، حتى شهد التاريخ «أنه ﷺ ما شيع من خبز قط ولا لحم إلا على ضفف»<sup>(٤)</sup>. «وما شيع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول

---

(١) ثبت أن النبي ﷺ لما علم أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله قد تزوج من امرأة ثيبا قال له: «فهلّا جارية تلاعبها وتلاعبك» (صحيح البخاري، الحديث ذو الرقم ٥٠٧٩).

(٢) وذلك في قصة طويلة وثابتة بنص القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لَّا زَوْجَكَ إِن كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (سورة الأحزاب آية ٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٨.

(٤) أخرجه الترمذي في الشئال، وقال الألباني في المختصر ص ٧٦ «إسناده مرسل صحيح» ومعنى ضفف: الضيق والشدة، وقيل إن الضفف اجتماع الناس (النهاية لابن الأثير ٩٥/٣).

فلو كان النبي ﷺ رجلاً شهوانياً كما يدعي المفترون، وكان زواجه بهنّ بسبب طغيان الغريزة الجنسية لديه كما يلغون، لكان يجب أن يحتفظ بهنّ في جميع الأحوال، ولا يفرط فيهنّ لمجرد حبّه لحياة التقشف والزهد، وكذلك إن البيت الذي يشكو أهله قلة المؤنة والزينة لا يقال عنه إنه بيت رجل تملكه الأهواء والشهوات.

\*\*\*



## رابعاً

### الحكم الجليلة والأهداف السامية للتعدد

إن تعدد زوجات النبي ﷺ خصوصية من خصوصياته النبوية، وإن هناك حكمة هدف إليها النبي ﷺ من زواجه بكل واحدة منهن جميعاً، فلم يتزوج لشهوة، ولا للذة، ولا لرغبة دنيوية، ولكن لحكم جليلة وغايات نبيلة وأهداف سامية، ويمكن أن أجمل الحكمة من التعدد فيما يلي:

#### أ/ الحكمة التعليمية:

وهي من أجل الحكم التي تتجلى في تعدد أزواجه ﷺ، ذلك أن المرأة نصف المجتمع، فهي تحتاج إلى أن تتعلم، فأراد النبي ﷺ أن يجعل من أزواجه معلّّات لجميع المسلمين والمسلمات، ليقمن بوظيفة البلاغ والبيان عن الرسول ﷺ، فيتعلم الناس منهن أمور دينهم ودنياهم، ويعلمنهم الحلال والحرام في كل أمورهم، خاصة ما يخص النساء من الأحكام، ومعاملة الرجل لزوجته وأهل بيته، ومن المستحيل أن تقوم زوجة واحدة أو زوجتان بتحمل هذه المسؤولية العظيمة مهما أوتيت من قوة الذاكرة والذكاء، ومن المعروف أن السنة المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، بعد القرآن الكريم، وتشتمل على أقوال

الرسول ﷺ وأعماله وتقديره، ولا يمكن لأحد أن يعرف جميع ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير إلا أن يكون معه في جميع الأوقات، وهذا الشرف قد جعله الله ﷻ مقسوماً بين صحابة النبي ﷺ، ولم يكن أحد ليتحمل منه ما يختص بأزواجه ﷺ، فكان لهن أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية، وأصبح منهن معلّمات ومحدثات نقلن هديه ﷺ.

#### ب/ الحكمة التشريعية:

وتتجلى هذه الحكمة في زواجه ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش، بعد أن طلقها زيد بن حارثة الذي كان ابناً له بالتبني، فتزوجها النبي ﷺ لإقرار حكم شرعي في إبطال عادة التبني التي كانت سائدة في العرب قبل الإسلام، فقد كانت دينا متوارثا عندهم، يتبنى أحدهم ولدا ليس من صلبه، ويجعله في حكم ولد الصلب، ويتخذه ابناً حقيقياً، له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال، في الميراث، والطلاق، والزواج، ومحرمات المصاهرة، ومحرمات النكاح، إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه، فكان السبيل لإبطائها أن يتم التغيير في بيت النبوة، وعلى يد الرسول ﷺ نفسه، ليكون قدوة وأسوة للمسلمين من بعده<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري ٢/ ٦٥٤ - ٦٥٧، وانظر: في ظلال



وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة، وقد صرح القرآن الكريم بالحكمة من هذا الزواج في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾<sup>(١)</sup>. كما صرح بإبطال نظام التبني في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ج/ الحكمة الاجتماعية:

وتظهر هذه الحكمة بوضوح في تزوجه ﷺ بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، وبأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وذلك أن لكل من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ.

لقد تزوج النبي ﷺ بأم المؤمنين عائشة<sup>(٣)</sup> بنت أحب الناس إليه،

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٣) انظر: موسوعة حياة الصحابيَّات: محمد سعيد مبيض ص ٥١٩ - ٥٢٦، وانظر: السيرة

النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٦٩٨ - ٦٩٩، وسيأتي =

وأعظمهم قدرا لديه، ألا وهو أبو بكر الصديق الذي كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله في سبيل نصره دين الله، والدفاع عن رسوله، ووقوفه بجواره عند الشدائد، فأراد ﷺ أن يكرم بهذا الزواج ابنته ليصبح بينهما مصاهرة وقرابة تزيد في صداقتهما وترابطهما الوثيق.

كما تزوج ﷺ بأم المؤمنين حفصة بنت عمر<sup>(١)</sup> بطل الإسلام الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين، وقد تأيمت بموت زوجها خنيس بن حذافة بيدر، فعرضها أبوها عمر على كل من أبي بكر وعثمان، فلم يجيباه، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فطيب رسول الله خاطره فتزوجها، إعزازاً لشأنها، وتطييباً لخاطر أبيها، ورفعاً لمنزلته بهذه المصاهرة.

وتتجلى هذه الحكمة أيضا في تزوجه ﷺ بعدد من نساء قريش، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق، وجعل القلوب تلتف حوله، وتلتقي حول دعوته في إيمان وإجلال<sup>(٢)</sup>.

=ذكرها مرة أخرى في شبهة زواجها.

(١) انظر: موسوعة حياة الصحابييات: محمد سعيد مبيض ص ٢٨٨ - ٢٩٢، وانظر: السيرة

النبيه في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٦٩٩ - ٧٠٠.

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري ٢ / ٦٥١.



## د/ الحكمة الإنسانية:

وتظهر هذه الحكمة في تزوجه ﷺ بالأرامل اللاتي أسلمن، وتوفي أو قُتل عنهن أزواجهن، ولم يكن لهنَّ سبيل للرجوع إلى أهلهنَّ المشركين، فتزواجهنَّ ﷺ رفقاَ بحالهنَّ، وصونا لعفافهنَّ، وحفظا لإسلامهنَّ ولأولادهنَّ الأيتام. ومن أمثلة ذلك:

(١) أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها<sup>(١)</sup>، امرأة مؤمنة من المؤمنات اللاتي هاجرن مع أزواجهن إلى الحبشة خوف الفتنة، وقد توفي عنها زوجها السكران ابن عمرو بعد ما عادا من الهجرة، وتركها بين أهله المشركين، فأنقذها رسول الله ﷺ بزواجه بها، ليحفظ عليها دينها وإيمانها، ويصدَّ عنها أذى قومها، وقد قام ﷺ بتكريمه بنفسه ليكون هذا العمل الإنساني قدوة من بعده.

(٢) أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية<sup>(٢)</sup>، مات عنها زوجها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي في أعقاب غزوة أحد، وهما من السابقين في

---

(١) انظر: موسوعة حياة الصحابيَّات: محمد سعيد مبيض ص ٤٧٨ - ٤٨٣، وانظر: السيرة

النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٦٩٧ - ٦٩٨.

(٢) انظر: موسوعة حياة الصحابيَّات: محمد سعيد مبيض ص ٧٤٤ - ٧٥١، وانظر: السيرة

النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٧٠٢ - ٧٠٣.

الإسلام، ومن أول من هاجر إلى الحبشة، مات عنها تاركا وراءه أولادها، فتزوج بها ﷺ حماية لها ولأولادها من المهانة، وبراً بأصحابه الذين يقدمون أرواحهم فداءً لله ولرسوله.

(٣) أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب زعيم قريش<sup>(١)</sup>، كانت عند عبيد الله بن جحش الأسدي، فأسلمها، وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرة الثانية، وهناك ارتد زوجها عن الإسلام وتنصر، وثبتت هي على الإسلام، فلما علم الرسول ﷺ بذلك بعث إلى النجاشي، فزوجها إياه وكيلا عن الرسول، ودخل بها بعد عودته من الحبشة.

وحكمة هذا الزواج واضحة من الناحية الإنسانية، وهي الرفق بها، والمواساة لها في مصيبتها في زوجها وغربتها، وفي إنقاذها من الذل والمهانة، وواضحة أيضا من الناحية السياسية كما سيأتي ذكره.

(٤) أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية<sup>(٢)</sup>، وتسمى أم المساكين لرحمتها

(١) انظر: موسوعة حياة الصحابييات: محمد سعيد مبيض ص ٣٧٦ - ٣٨٠، وانظر السيرة

النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٧٠٦ - ٧٠٧.

(٢) انظر: موسوعة حياة الصحابييات: محمد سعيد مبيض ص ٤١٣ - ٤١٤، وانظر: السيرة

النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د/ مهدي رزق الله أحمد ص ٧٠١ - ٧٠٢.





إياهم ورقتها عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش، وقتل عنها يوم أحد شهيداً، فتزوجها الرسول ﷺ رفقا بحالها، ومواساة لها في فقدتها زوجها، واعترافاً منه بفضلها، ماتت ورسول الله ﷺ حيّ، ولم يمت من أزواجه في حياته ﷺ غيرها وغير خديجة بنت خويلد.

(٥) أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية<sup>(١)</sup>، كانت أرملة أبي رهم بن عبد العزى، وكانت تتمنى أن تكون زوجاً لرسول الله، فتزوجها ﷺ صيانة لها، ورعاية لإنسانيتها، وإنقاذها من الذل والمهانة، وكانت آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ.

### هـ/ الحكمة السياسية

وتتجلى هذه الحكمة في تزوجه ﷺ ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله، فمن عادة العرب أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة، وذلك يدعوه إلى نصرته وحمايته والانضمام إليه<sup>(٢)</sup>، ومن أمثلة ذلك:

(١) انظر: موسوعة حياة الصحابيَات: محمد سعيد مبيض ص ٧١١ - ٧٢٠، وانظر السيرة

النّبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٧٠٩.

(٢) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٧١٢.

(١) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق<sup>(١)</sup>، «وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفتدي نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال، فعرض عليها الرسول أن يدفع عنها الفداء، وأن يتزوج بها، فقبلت ذلك، فتزوجها، فقال المسلمون: أصهار رسول الله يسترقون، فأعتقوا ما كان في أيديهم من الأسرى، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت، فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها»<sup>(٢)</sup>. وكان لهذا الزواج أثر بالغ في تأليف قلوبهم، ودخلوا في دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.

(٢) أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية<sup>(٣)</sup>، «كانت من يهود بني النضير وابنة زعيمهم، ولما افتتح المسلمون خير سبي النساء، من بينهن صفية، فعرض عليها النبي ﷺ أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله، فقالت: أختار الله ورسوله، وأسلمت، فأعتقها، وتزوجها»<sup>(٤)</sup> إكراماً لمنزلتها، وتأليفاً

(١) انظر: موسوعة حياة الصحابييات: محمد سعيد مبيض ص ٢٧١ - ٢٧٥.

(٢) الحديث في سنن أبي داود الحديث ذو الرقم ٣٩٤٥، ومسنود إمام أحمد ٦/٢٧٧.

(٣) انظر: موسوعة حياة الصحابييات: محمد سعيد مبيض ص ٤٩٥، وانظر: السيرة النبوية في

ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد ص ٧٠٧ - ٧٠٨.

(٤) الحديث في صحيح مسلم رقم الحديث ١٣٦٥، وعند البخاري الحديث ذو الرقم ٤٢١١

أنه اصطفاه لنفسه.



لقومها، وتحببها لهم في الإسلام، ولا يخفى ما في هذا الزواج من آثار في نفوس أعدائه، لأنه قد يخفف من حدة غضبهم، ويؤدي إلى إسلامهم.

(٣) أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب زعيم قريش، والعدو اللدود للنبي ﷺ والمسلمين قبل إسلامه، فكان تزوجه بها ذا أثر بالغ في قلب قلب أبي سفيان، حيث رأى ابنته يؤويها رسول الله نفسه، ويحميها من الذل والمهانة، وتحولت عداوته للإسلام ونييه فيما بعد إلى مودة، ودخل هو وقومه في دين الله أفواجاً<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) تعدد الزوجات في الإسلام: عبد التواب هيكل ص ١٣٧.

### خامساً

شبهة زواجه ﷺ بأم المؤمنين عائشة ؓ وهي صغيرة السن

أما شبهة زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين عائشة وهي صغيرة السن<sup>(١)</sup> فأردّ عليها بما ذكره سماحة المستشار الشيخ فيصل مولوي نائب رئيس المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء، حيث أجمله في الأمور الأربعة الآتية:

أ/ أن زواج الرسول ﷺ من أم المؤمنين عائشة ؓ كان أصلاً باقتراح من خولة بنت حكيم على الرسول ﷺ لتوكيد الصلة مع أحبّ الناس إليه أبي بكر الصديق ؓ، لتربطها أيضاً برباط المصاهرة الوثيق، وهذا دليل على أنها كانت في سنّ الزواج.

ب/ أن أم المؤمنين عائشة ؓ كانت قبل ذلك مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي، فهي ناضجة من حيث الأنوثة، مكتملة بدليل خطبتها قبل حديث خولة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) روى البخاري بسنده عن عائشة ؓ: «أن النبي ﷺ تزوّجها وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع». (صحيح البخاري رقم الحديث ٥١٣٣)، ورواه مسلم في صحيحه حديث رقم ١٤٢٢.

(٢) انظر: موسوعة حياة الصحابيّات: محمد سعيد مبيض ص ٥٢١.



ج/ أن قریشا التي كانت تتربّص بالرسول ﷺ الدوائر لتأليب الناس عليه من فجوة أو هفوة أو زلّة لم تدهش حين أعلن نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين وأوفى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أي أمر طيعي.

د/ أن أم المؤمنين عائشة ؓ لم تكن أول صبية تزوّج في تلك البيئة إلى رجل في سنّ أبيها، ولن تكون كذلك آخرهنّ، لقد تزوّج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عمّ آمنه، في اليوم الذي تزوّج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبية هي في سنّ هالة، وهي آمنه بنت وهب، ثم لقد تزوّج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو في سنّ جدّها، كما أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عرض بنته الشابة حفصة على أمير المؤمنين أبي بكر الصديق وبينهما من فارق السنّ مثل الذي كان بين الرسول ﷺ وعائشة ؓ<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أن هذا الزواج يعني زواج الكبار بالصغيرات كان واقعاً ومألوفاً في ذلك المجتمع، وكان نضج الفتاة في المناطق الحارة وفي البيئة الصحراوية مبكراً جداً وهي في سنّ الثامنة عادة، في حين تتأخر الفتاة في المناطق الباردة إلى سنّ الواحدة والعشرين، كما يحدث ذلك في بعض البلاد

(١) شبهة زواج النبي ﷺ بعائشة وهي في سنّ صغيرة.

الباردة<sup>(١)</sup>، فليس في زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين عائشة ما يعيب، لا من ناحية العرف الاجتماعي، ولا من ناحية الطب والصحة البدنية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال القياس بين فتيات البيئة الصحراوية في الجزيرة العربية وبين فتيات الغرب في البلاد الباردة، حيث لا تتزوج الفتاة الغربية عادة قبل سن الخامسة والعشرين، وذلك لوجود فروق شاسعة في العصر والإقليم، وفي البنية والصفات الوراثية.

على أي حال فإنه ﷺ لم يتزوج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أجل المتعة فقط، وقد بلغ الخامسة والخمسين من عمره، وإنما كان ذلك لحكم منها توكيد الصلة مع أحب الرجال إليه أمير المؤمنين أبي بكر الصديق عن طريق المصاهرة، خاصة بعد أن تحمّل أعباء الرسالة، وأصبحت حملاً ثقيلاً على كاهله، ولو كان ﷺ همّه النساء والاستمتاع بهنّ لكان فعل ذلك أيام كان شاباً، حيث لا أعباء رسالة يتحملها، ولم تدهمه الشيخوخة بعد، بل كان في عنفوان الشباب وشهوته الكامنة<sup>(٢)</sup>.

وهناك حكمة جليّة لزواج النبي ﷺ من أم المؤمنين عائشة في هذا السن المبكرة، وهي أن تنقل عنه سنته وسيرته فتعلّم الصحابة والمسلمين أحكام

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.



وتعاليم الدين الإسلامي، ولقد عاشت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد النبي ﷺ ثماني وأربعين سنة<sup>(١)</sup>، وحفظت عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث والسنن التقريرية والعملية التي اهتدى بها المسلمون في جوانب كثيرة من حياتهم، ولا سيما الجانب الأسري، فنفعت وانتفعت، حتى بلغ عدد أحاديثها التي روتها عشرة ومائتين وألفي حديث، ولو قورنت رواياتها بعدد روايات أمهات المؤمنين الأخريات لاتضح الحكمة من هذا الزواج<sup>(٢)</sup>، فكان زواجها من أهم وسائل نشر التعاليم الدينية في الأمة، وهذه هي الحكمة الجليلة والمصلحة العظيمة وراء زواجه ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة السن.

\*\*\*

(١) انظر: موسوعة حياة الصحابييات: محمد سعيد مبيض ص ٥٧٠.

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري ٦٤٩/٢.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فقد فرغت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث، وفي هذه الخاتمة أحب أن أجمل أهم النتائج والفوائد فيما يلي:

إن من الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول النبي ﷺ شبهة تعدد أزواجه، ووصفه بالشهوانية، وهي شبهة قديمة تتكرر بين حين وآخر، ولا تقوم على أساس علمي صحيح، والرد على هذه الشبهة يكون بالحجج والبراهين الآتية:

(١) أن محمدا ﷺ نبي إنساني، تزوج كما يتزوج البشر، وإن تعدد الزوجات قد وجد في الأنبياء العظام، كإبراهيم، وداود، وسليمان ﷺ، كما وجد في الأمم، وفي العرب في الجاهلية، حيث كان التعدد أمراً معتاداً مألوفاً لديهم، فلا يوجد أحد من أعدائه ﷺ من المشركين وغيرهم يثير هذه الشبهات، مع أنهم أحرص الناس على اتهامه بالباطل.





(٢) أن الواقع التاريخي من سيرة النبي ﷺ يشهد أنه رجل مستقيم، ومتعفف عن الفاحشة، ومع توافر أسباب الانحراف في المجتمع الجاهلي إلا أنه لم يعرف عنه إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائه، كما يشهد أنه رجل زاهد، أثر حياة الزهد والكفاف على حياة البذخ والترف، ولم يستطع أحد من أعدائه أن يعيره بشيء من ذلك.

(٣) أن النبي ﷺ لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر، وأول زواجه كان من خديجة ؓ وهي ثيب، التي تكبره بخمسة عشر عاما، ولم يبحث عن البكر كما هو عادة الشباب، بل عاش معها خمسة وعشرين عاما لم يتزوج غيرها.

(٤) لم يعدد النبي ﷺ أزواجه إلا بعد تجاوزه الخمسين من عمره، وهو سنّ الشيخوخة، وأول زوج تزوّجها بعد وفاة خديجة هي سودة بنت زمعة ؓ، وكانت أرملة ذات ثمانين سنة.

(٥) أن النبي ﷺ لم يتزوج إلا بكرا واحدة، وهي أم المؤمنين عائشة ؓ، فجميع أزواجه ثيبات، فكن ما بين أرملة ومطلّقة، ومعظمهنّ من كبريات سنّ، وقد خيّرهنّ بين الرضا بحياة التقشف معه وبين الطلاق والفراق فاخترن الأول، ورضين بالبقاء معه على حياة الكفاف والتقشف.

٦) أن تعدد أزواجه ﷺ خصوصية من خصوصياته النبوية، ولم يكن لغرض الاستمتاع، وإنما لأغراض نبيلة، وأهداف سامية، وحكم جليلة، أهمّها:  
أ/ الحكمة التعليمية. وتتجلى في تزوجه ﷺ بجميع أزواجه، وخاصة أم المؤمنين عائشة ؓ، التي تزوّجها في السن المبكرة.

ب/ الحكمة التشريعية. وتتجلى في تزوجه ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش، زوج ابنه بالتبني زيد بن حارثة، بعد أن طلقها، لإبطال عادة التبني التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي آنذاك.

ج/ الحكمة الاجتماعية. وتتجلى في تزوجه ﷺ بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وبأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ؓ، لتوثيق عرى المحبة بينه وبينهما برباط المصاهرة، وكذلك في تزوجه ﷺ بعدد من نساء قريش، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق.

د/ الحكمة الإنسانية. وتتجلى في تزوجه ﷺ بالأرامل اللاتي أسلمن، وتوفي أو قتل عنهن أزواجهن، ولم يكن لهن سبيل للرجوع إلى أهلهن المشركين، كأم المؤمنين سودة بنت زمعة، وأم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية، وأم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية، وميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنهن.



هـ/ الحكمة السياسية. وتتجلى في تزوجه ﷺ ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله، كأُم المؤمنين جويرية بنت الحارث من بني المصطلق الخزاعية، وأُم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية، وأُم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ؓ.

أما شبهة زواجه ﷺ بأُم المؤمنين عائشة ؓ وهي صغيرة السن فأردّ عليها:

أولاً: بأن زواج الصغيرات أمر معهود وطبيعي عند العرب، ولم يكن مستنكراً في أعرافهم، وأن أُم المؤمنين عائشة وإن كانت صغيرة إلا أنها ناضجة من حيث الأنوثة، تصلح للزواج وقتها، بدليل أنها كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي، وبدليل أن هذا الزواج كان باقتراح من خولة بنت حكيم وهي امرأة أعلم بشؤون النساء، علماً بأن نضج الفتاة في المناطق الحارة وفي البيئة الصحراوية يكون أسرع منه في المناطق الباردة، كما هو معروف، فلا يمكن القياس بين فتيات البيئة الصحراوية في الجزيرة العربية وبين فتيات الغرب في البلاد الباردة وأمثالها، لما بينهما من فروق شاسعة في العصر والإقليم، وفي البنية والصفات الوراثية.

ثانياً: إن النبي ﷺ لم يتزوج أُم المؤمنين عائشة ؓ من أجل المتعة فقط، وهو الذي بلغ الخامسة والخمسين من عمره، وإنما كان ذلك لحكم منها تأكيد

الصلة مع أحبّ الرجال إليه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، خاصة بعد أن تحمّل أعباء الرسالة، فلو كان رضي الله عنه رجلاً شهوانياً لكان فعل ذلك أيام كان شاباً، حيث لا أعباء رسالة، ولا شيخوخة.

ثالثاً: إنّ هناك حكمة جليّة لزواج النبي ﷺ من أم المؤمنين عائشة في هذا السنّ المبكرة، وهي أن تنقل عنه ﷺ سنته وسيرته فتعلم الصحابة والمسلمين أحكام وتعاليم الدين الإسلامي، وقد عاشت عائشة رضي الله عنها بعد النبي ﷺ ثماني وأربعين سنة، وحفظت عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث والسنن التقريرية والعملية التي اهتدى بها المسلمون في جوانب كثيرة من حياتهم، خصوصاً الجانب الأسري، ومعاملة الرجل لأهله، فنفعت وانتفعت، حتى بلغ عدد أحاديثها التي روتها عشرة ومائتين وألفي حديث، فكان زواجهما من أهمّ وسائل نشر الأحكام الدينية في الأمة، فكانت هذه الحكمة الجليّة والمصلحة العظيمة وراء زواجه ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة السنّ.

وقد تبين مما سبق أن تعدد أزواجه ﷺ الذي حدث بعد الخمسين من عمره لم يكن بدافع الهوى والشهوة، ولم يكن لغرض الاستمتاع كما يقول الظالمون، بل كان لغرض نبيل، وغاية شريفة، وحكمة جليّة، وانطلاقاً من مصلحة الإسلام العليا.



## توصيات:

وأودّ هنا أن أوصي بتوصيات مختصرة كما يلي:

١ - ضرورة الاهتمام الخاص بموضوع الشبهات المثارة حول النبي ﷺ والرد عليها في دراسات السيرة النبوية في الوقت الحاضر، لما لذلك من فوائد عظيمة في تصحيح مفاهيم خاطئة لدى بعض الناس، ومن أهم هذه الشبهات شبهة تعدد أزواجه ﷺ وشبهة زواجه بأُم المؤمنين عائشة ؓ.

٢ - حث المراكز الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي على القيام بدورها في الردّ على هذه الشبهات واستنكارها بعقد اللقاءات، والندوات، وإلقاء الكلمات في الجامعات والمنتديات والملتقيات العامة.

٣ - حث الأفراد على إرسال الرسائل الإلكترونية المتضمنة الاستنكار والردّ على هذه الشبهات إلى كل المنظمات والمؤسسات والأفراد المؤثرين، بأسلوب حضاري سلمي، مرتكز على الدليل الشرعي، والإقناع العقلي، والمثالية في سيرته ﷺ.

٤ - مناشدة أصحاب المؤسسات التعليمية والدعوية في العالم الإسلامي لإدراج موضوع الرد على هذه الشبهات في مناهج التعليم والمناهج الدعوية.

٥ - مناشدة أصحاب المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي لإعداد

برامج إذاعية وتلفازية عن سيرة النبي ﷺ حيث تبرز فيها حياته العائلية، وسيرته الزوجية، وتعامله مع أزواجه ﷺ

٦- حثّ الكتاب والمفكرين والعلماء المتمكنين على تأليف الكتب، وكتابة البحوث والمقالات الرصينة في هذا الموضوع، وترجمتها إلى لغات مختلفة حتى يعمّ نفعها للجميع.

٧- إنتاج قرص CD تعرض بشكل شائق وبطريقة فنية ملخصاً تاريخياً للسيرة النبوية، ومناقشة الشبهات المثارة حول النبي ﷺ.

٨- عقد مؤتمرات في بلاد أمريكا وأوروبا وآسيا وغيرها من البلاد غير الإسلامية، تعالج فيها هذه الشبهات، وتعرض للعالم نزاهة السيرة النبوية المشرفة، ويدعى لها غير المسلمين من المفكرين المهتمين بالأديان.

٩- الاستفادة من الوسائل الحديثة، مثل البرامج الحاسوبية، وشبكة المعلومات العالمية، في نشر المقالات والبحوث والمناقشات التي تتعلق بالرد على هذه الشبهات، ومن الأفضل أن يخصص موقع خاص في شبكة المعلومات العالمية للاهتمام الخاص بالموضوع.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان التام لحكومة المملكة العربية السعودية، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز



الذي يبذل الغالي والنفيس في سبيل الدعوة إلى الله بطرق وسبل مختلفة ومتنوعة،

منها عقد هذا المؤتمر بعنوان: نبي الرحمة محمد ﷺ.

وأسأل الله تعالى أن يوفقه لكل خير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ

العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

\*\*\*

## قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: المصادر والمراجع:

- (١) تعدد الزوجات في الإسلام: عبد التواب هيكل، ط ١ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، دار القلم دمشق - بيروت.
- (٢) تعدد الزوجات وأهميته للمجتمع المسلم: د/ ناصر بن عقيل الطريفي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٥ رجب، شعبان، رمضان شوال ١٤٠٩ هـ
- (٣) سنن الترمذي، أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس، دار مكتبة دار الدعوة حمص، سورية، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- (٤) سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عبيد الدعاس، ط ١ / ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م نشر وتوزيع محمد علي السيد، سورية.
- (٥) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، بدون تاريخ ولا ناشر.
- (٦) السيرة النبوية الصحيحة: د/ أكرم ضياء العمري، ط / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة.
- (٧) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية: د. مهدي رزق الله أحمد، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض.



- (٨) شبهة زواج النبي ﷺ بعائشة وهي في سن صغيرة.  
[http://www.emtiaz.net/vb/showthread.php?t=9564\(20/12/2009\)](http://www.emtiaz.net/vb/showthread.php?t=9564(20/12/2009))
- (٩) صحيح البخاري: الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط ١/١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض.
- (١٠) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- (١١) في ظلال القرآن: سيد قطب، ط ٩/١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، دار الشروق.
- (١٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط ٣/١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، دار الكتاب العربي بيروت.
- (١٣) موسوعة حياة الصحابييات: محمد سعيد مبيض، ط ١/١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، دار الثقافة الدوحة - قطر.
- (١٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

\*\*\*

ايض